جامعة الخليل

عمادة الدراسات العليا

سهولة الانتشار بين المغرب والأندلس، وأثرها على الحياة السياسية والعسكرية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية

(92-422هـ/710-1030م)

إعداد

حامد "محمد عدنان" إسماعيل شاهين

إشراف الدكتور

عمر راجح شلبي

قدمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل.

2012م

سهولة الانتشار بين المغرب والأندلس، وأثرها على الحياة السياسية والعسكرية

من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية

(92-422هـ/710-1030م)

The Ease of Deployment between Morocco and Andalusia, and its Effect on Political and Military Life from the conquest to the fall of the Umayyad Caliphate (92 -422 e / 710 -1030 AD)

نوقشت هذه الرسالة يوم الأربعاء بتاريخ 2012/6/27م، الموافق 7 شعبان 1433هـ، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
1- د. عمر راجح شلبي	مشرفًا ورئيسًا	....
2- د. عبد الرحمن المغربي	عضوًا خارجيًا	....
3- أ. د. خلقي خنفر	عضوًا داخليًا	....

المختصرات والرموز

- **ت: توفى**
- (د.ت): **دون تاريخ النشر.**
- (د.ط): **دون طبعة**
- (د.م): **دون مكان نشر**
- **ط: الطبعة**
- **ع: عدد**
- **ق: قسم**
- **ق.م: قبل الميلاد**
- **م: ميلادي**
- **مج: مجلد**
- **هـ: هجري**

إهداء

إلى والدي الكريمين

حفظهما الله، وأطال في عمرهما

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والامتنان إلى كل من:

أستاذي ومشرفي الدكتور عمر شلبي فكان خير معلم وخير رشيد

أساتذتي الأفاضل: الدكتور خلقي خنفر، والدكتور محمد العلامي بخاصة، وأساتذة قسم التاريخ بعامة.

إلى موظفي مكتبة البلدية، ومكتبة جامعة الخليل، ومكتبة الجامعة الأردنية على ما قدموه لي من مساعدة

إلى كل من قدم لي يد العون في إخراج هذه الدراسة

لهم جميعًا تقديري واحترامي

المحتويات

ملخص الدراسة باللغة العربية

تعنى هذه الدراسة بالبحث عن سهولة الانتشار بين العُدوتينِ: المغربية والأندلسية، وأثرها سياسيًا وعسكريا؛ إذ شكل التقارب الجغرافي بينهما_ الذي لا يفصلهما إلا خليج الزقاق (مضيق جبل طارق)_الأثر الأكبر في تحديد طبيعة وصياغة شكل العلاقات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية بينهما عبر تاريخهما الطويل؛ إذْ أصبح تاريخهما مشتركًا عبر العصور من القديم إلى المعاصر.

وقد برز هذا الأثر قديمًا في كثرة تنقُّل الجماعات بين شمال إفريقية وإسبانيا، وحرصت الأمم التي استولت على شمال إفريقية أو إسبانيا بالسيطرة على منطقة المضيق، لما يمثل من أهمية استراتيجية، حفاظًا على أمنهم واستقرارهم. كما كان لسهولة التنقل بين العدوتين: المغربية والإسبانية أن ازدهرت الحركة التجارية لكلا الطرفين، وتمثل هذا الازدهار بتأسيس المراكز التجارية، وبنقل الثقافة والعلوم المتنوعة لإسبانيا على أيدي الفنيقيين الذين توسعوا بتجارتهم نحو إسبانيا بعد أن تمركزوا على شواطىء المغرب. كما حرص القوط في إسبانيا للسيطرة على سبتة وطنجة المغربيتين لحماية جنوب إسبانيا من أي اعتداء يأتي من تلك المنطقة.

وظهرت أهمية التقارب بين العدوتين مع بداية الفتح الإسلامي، حيث تطلع عقبة بن نافع إلى فتح إسبانيا بعد أن قام بحملته في شمال إفريقية من أدناه إلى أقصاه، لكن عدم امتلاكه الأسطول البحري حال دون تنفيذ هذا الفتح، إلا أن موسى بن نصير حقق ذلك بعد أن استكمل فتح شمال إفريقية، وامتلك الأسطول البحري الذي اجتاز به المضيق.

كما تهدف الدراسة إلى إظهار أثر القرب الجغرافي بين المغرب والأندلس ودوره في انتقال الثورة البربرية إلى الأندلس التي هددت ولاة بني أمية وعمالهم في الجانبين، أثناء عصر الولاة. ويعود ذلك الانتقال إلى وجود البربر المغاربة الذين استقروا في بلاد الأندلس مع بداية الفتح الإسلامي وبعده من خلال هجرات البربر إلى الأندلس؛ لتحسين أوضاعهم المعيشية. تلك الثورة التي لولا تدخل الجند الشاميين _بقيادة بلج بن بشر_ لشكلت الخطر الأكبر على حكم العرب المسلمين في الأندلس.

وكان أيضًا لسهولة الانتشار بين الجانبين أثر كبير في توجه أنظار عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) المقيم على الجانب المغربي _آنذاك_ للتطلع نحو الأندلس بعد أن فشل في إقامة دولة تابعة له في المغرب. وقد ساعده وجوده في المغرب على تأسيس نواة جيشه الأولى من أجل السيطرة على الأندلس، كما أن حكام بني أمية ساروا في ترسيخ علاقاتهم مع الدويلات التي نشأت في المغرب، والمناوئة للعباسيين وعمالهم في إفريقية. تلك التحالفات اتخذت طابعًا سياسيًّا وأمنيًّا؛ فشكلت الدرع الواقية للإمارة الأندلسية في الجانب المغربي، كما شكلت شريان الحياة للإمارة من خلال بناء علاقات اقتصادية بينهما.

ويتجلى وضوح هذا التقارب على العلاقات الأندلسية المغربية أثناء وجود الدولتين: الفاطمية في المغرب الأدنى، والأموية في الأندلس؛ إذ رمى الأمويون ثقلهم السياسي والعسكري للسيطرة على المغرب الأقصى؛ لقطع الخط على الفاطميين من العبور إلى الأندلس والسيطرة عليها، وذلك بالسيطرة على الثغور المغربية، وشحنها بأسباب القوة، وتطوير الأسطول البحري الأموي، ودعم القبائل المغربية بالأموال والهدايا مثل:قبيلة زناتة، والتقرب إليهم. وبالمقابل، أخذ الفاطميون من الأعمال السياسية والعسكرية ما يلزم للحيلولة دون تقويض الأندلسيين لأركان دولتهم عبر دعم

القبائل المغربية كالصنهاجيين، وتحريك جيشهم نحو المغرب؛ للإطاحة بأنصار الأمويين،والسيطرة على الثغور الساحلية المغربية؛ للتمهيد إلى السيطرة على الأندلس، وقد دأبوا على ذلك إلى أن انتهت الدولة الفاطمية في المغرب، وانتقلت إلى مصر. وكذلك، عمل العامريون على توثيق التحالف مع القبائل المغربية، مشكلين قوة عسكرية من بربر المغرب؛ للدفاع عن البلاد من شمالها وفي المغرب من الجنوب.

وقد كان لهذا التقارب الجغرافي أثره في دخول البربر لبلاد الأندلس منذ فتحها وتدفقهم عليها وبالتالي اعتمد زعماء الأندلس عليهم في حماية الأندلس والعدوة المغربية، وكان لذاك التقارب وتلك السياسة، وهذا الاعتماد أن أدرك البربر أنهم أحق الناس بحكم البلاد، فكانت الثورة البربرية في الأندلس التي أدخلت البلاد في أتون حرب أهلية نتج عنها التفكك السياسي، فكان ما يسمى **(عصر الطوائف)**.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الطاهرين، ومن نهج نهجهم إلى يوم الدين، وبعد:

- **اختيار البحث وأهميته:**

لقد اتسمت العلاقة بين بلاد المغرب والأندلس (إسبانيا والبرتغال) بالتواصل والترابط منذ العصور القديمة، مرورًا بالفتح الإسلامي، إلى وقتنا الراهن؛ إذ ارتبط اسم بلاد المغرب بالأندلس وأصبح تاريخ البلدين تاريخًا مشتركًا في السلم والحرب، إذ لا يمكن التوصل إلى فهم دقيق للتاريخ الأندلسي من دون توجيه الاهتمام للأحداث في المغرب، فقد كان الاتصال بينهما مستمرًا قبل الإسلام وبعده سياسيًا، واقتصاديًا، وعسكريًا، وكان للسكان المحليين في المغرب وخبرتهم في شؤون شبه الجزيرة الأيبيرية دور مهم وعامل مشجع للفتح الإسلامي للأندلس، ففتحت البلاد على أيديهم بعد فتح المغرب مباشرة مما يدل على عمق الترابط السياسي والجغرافي الذي كان بين المغرب والأندلس. فكانت بلاد الأندلس والمغرب جزءًا واحدًا من ولاية إفريقية_ التي كان مركزها القيروان_في عهد الخلافة الأموية، وذلك لاقتناع الدولة بضرورة توحيد المنطقتين في ولاية واحدة.

لذلك، كانت الأحداث في المغرب يسمع صداها في بلاد الأندلس، وبالمقابل تتأثر بلاد المغرب من أصداء الأحداث الواقعة في بلاد الأندلس. ومما ساعد على سهولة الاتصال بين العدوتين: ضيق المسافة بينهما، إذ إن الساحل المغربي يكاد يتصل اتصالًا مباشرًا بالساحل الأندلسي، عند مضيق جبل طارق. لذلك أصبح تاريخ المغرب وحضارته يكاد يتمم بعضه بعضا.

ومن تتبع الأحداث والمجريات لتاريخ المنطقتين، نجد أن المضيق بينهما لم يشكل أي عائق أمام الانتشار والتواصل البشري الحضاري والمادي عبر العصور، بل كان ممهدًا للتواصل بين المغرب والأندلس، مما جعل المغرب هدفًا حيويًا للفاتحين وحكام الأندلس لحماية البلاد من جهة الجنوب من كل طامع منافس لهم في حكم الأندلس. وقد لفتت تلك الأحداث وصداها القويُّ على الجانبين الباحث للبحث والنظر حول ذلك التواصل، متوصلًا إلى أن هذا التاريخ المشترك لكلا البلدين ما كان يجري لولا هذا التقارب الجغرافي بينهما الذي من شأنه أن يسهل الانتشار البشري لكليهما والاتصال والتأثير على مجرى حياتهما في المجالين السياسي، والعسكري.

وترجع أهمية هذه الدراسة إلى عدم تطرق الدراسات السابقة لهذه المسألة أثناء دراسة التاريخ السياسي أو العسكري لكلا البلدين، فبالرغم من أهمية التقارب الجغرافي بين البلدين اللتين لا يفصل بينهما إلا مضيق جبل طارق، فإن الباحثين في هذا التاريخ، والكاتبين عنه لم يعطوا هذا الموضوع حقه في البحث إذ تناولوا تاريخ المنطقتين، بوصفه نظرةً تاريخية مجردة من ظروفها الجغرافية التي كانت تمثل الجسر المتين بين الجانبين، وإذا تناولوا الجغرافيا، فإنهم يتناولونها من زاوية تحديد الأماكن والحدود، فجاءت هذه الدراسة مسلطةً الضوءَ على بيان هذا التقارب، وسهولة الانتشار وأثرها على العلاقات السياسية والعسكرية بين المغرب والأندلس، وكيف دفع ذلك الأندلسيين ومناوئيهم إلى السيطرة على المغرب والثغور المغربية التي كانت تشكل الخط الدفاعي الأول عن الأندلس.

- **منهجية الدراسة:**

تتناول هذه الدراسة عرض وبيان أثر التقارب الجغرافي بين العدوتين: المغربية والأندلسية على تحديد واتخاذ الإجراءات السياسية والعسكرية اللازمة لحماية الأندلس من الجنوب، ذلك التقارب

الذي شكل استراتيجية لدى أهل العدوتين قبل التاريخ الإسلامي وبعده، وقد سلكت منهج عرض الأحداث التاريخية المتعلقة بتاريخ المغرب والأندلس من خلال المصادر التاريخية الأولية، وربطها بفكرة الدراسة، والتطرق إلى دراسة الروايات التي تم التعرض إليها، ونقدها، مُرجِّحًا فيها ما تضافرت القرائن والأدلة على ترجيحه منها، وتأييده لها.

- **الدراسات السابقة:**

على الرغم من أهمية التقارب الجغرافي الذي سهل الاتصال بين العدوتين وما شكله من أعمال سياسية وعسكرية لكلا الجانبين، إلا أن الدراسات السابقة لم تتناول هذه الجزئية، بل تناولتها تلك الدراسات، عارضةً تاريخ البلدين بشكل عام مفتوح، سواء في التاريخ القديم أم الإسلامي:

ففي التاريخ القديم لتاريخ المنطقة، جاء كتاب:**(أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين)** لمحمد حتاملة، الذي تناول فيه تاريخ أيبيريا والأمم التي سكنتها، الذين قدموا إليها من جهة المغرب أو الشمال وكذلك كتاب:**(تاريخ المغرب الكبير)** لرشيد الناضوري، الذي اشتمل على دراسة تاريخ المغرب القديم والتطرق للأبحاث الأثرية في ذلك.

وفي الفتح الإسلامي إلى سقوط الخلافة الأموية في الأندلس، فهناك بعض الأبحاث التي تناولت جزءًا يسيرًا من هذه العلاقة، مثل: بحث بعنوان:**(ثورات البربر في إفريقية والأندلس بين سنتي 102-136هـ)**، لحسين مؤنس، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد، م10، ج1، مايو، القاهرة، 1948.وبحث آخر لأحمد مختار العبادي بعنوان: **(سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس)**، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1957). ولعبد الجليل الراشد بحثه: **(المغرب في ظل الصراع الأموي الفاطمي)**، مجلة آفاق عربية، ع3، العراق، 1978.

إلا أن هذه الأبحاث تناولت أجزاء صغيرة في العلاقة بين بعض بلدان المغرب والأندلس، أو العلاقة بين الطرفين في عهد أحد الأمراء أو الخلفاء، بينما هذه الدراسة تلقي الضوء على العلاقات السياسية والعسكرية كافة، من الفتح إلى سقوط الخلافة بين المغرب والأندلس عامة، من خلال التركيز على أثر التقارب الجغرافي بين العدوتين اللتين لا يفصلهما إلا مضيق على تشكيل العلاقات السياسية والعسكرية بينهما، وهذا هو محور الدراسة.

- **صعوبات الدراسة:**

لقد واجهت الباحث صعوبات عدة، كان أبرزها: قلة الأبحاث الإنجليزية في مكتباتنا العربية المتعلقة بالحديث حول تاريخ العلاقات المغربية والأندلسية، وذلك لإظهار وجهات النظر لدى المفكرين الغربيين في رؤيتهم لتلك العلاقة. كما واجهت الباحث مشكلة يتعرض لها كل من يتطرق إلى أبواب التاريخ المغربي والأندلسي، ألا وهي: فقدان المصنفات التاريخية المغربية والأندلسية الأصلية، ولا سيما التي تتناول موضوع البحث، ككتاب:**(العبر)** لابن أبي فيّاض، وكتاب **(مغازي إفريقية)** لعيسى بن أبي المهاجر، وغيرهما من الكتب التي أصابها التلف أو عبثت فيها أيدي الزمان والضياع، وذلك إمَّا بسبب الغزو الأجنبي، وإمَّا جراء الصراع الداخلي الذي دار آنذاك.

- **مصادر الدراسة:**

استقت الدراسة مادتها من العديد من المصادر والمراجع، والتي تنوعت، وفق العرض الآتي:

أولًا_ **كتب التاريخ والفتوح:** التي اشتملت على معلومات مهمة حول الفتح الإسلامي في المغرب والأندلس، وسير الأحداث التاريخية (السياسية والعسكرية) للبلدين، وفي مقدمة تلك المصادر كتاب:**(فتوح إفريقية والمغرب)** لابن عبد الحكم(ت.257هـ/871م)، وكتاب:**(البيان المغرب)** لابن

عذاري (ت.695هـ/1295م)، وكتاب: **(افتتاح تاريخ الأندلس)** لابن القوطية (ت.367هـ/977م)وكتاب:**(أخبار مجموعة)** لمؤلف مجهول، وكتاب: **(الكامل)** لابن الأثير(ت.630هـ/1232م)وكتاب: **(نهاية الأرب)** للنويري (ت. بعد733هـ/1333م)، وكتاب: **(العبر)** لابن خلدون (ت. 808هـ/ 1406م)، وكتاب: **(نفح الطيب)** للمقري (ت. بعد1041هـ/1631م)، وكتاب:**(الاستقصا)** للسلاوي (ت.1315هـ/ 1879م).

ثانيًا_**كتب التراجم:** أسهمت تلك المصادر والمراجع في تقديم التعريفات للشخصيات التي تعرضت إليها الدراسة، والتي ساهمت في تزويد الدراسة بالمعلومات اللازمة عند التطرق لشخصية ما، وكان من أهمها كتاب:**(الحلة السيراء)**لابن الأبار(ت.635هـ/1238م)، وكتاب:**(وفيات الأعيان)** لابن خلكان(ت.681هـ/1282م)، وكتاب:**(أعمال الأعلام)** للسان الدين الخطيب(ت. 776هـ/ 1374م)، وكذلك كتاب: (القبائل الأمازيغية) لبوزياني الدراجي الذي تناول فيه نسب القبائل المغربية الأمازيغية وبطونها.

ثالثًا_**المصادر الجغرافية:** التي تحدثت عن البلاد وجغرافيتها، مزودةً الدراسة بالمعلومات المهمة حول كل منطقة تم ذكرها في الدراسة من حيث جغرافيتها وتاريخها، ومن أهمها كتاب:**(المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب)** للبكري(ت.487هـ/ 1049م)، وكتاب:**(نزهة المشتاق)** للإدريسي(ت.558هـ/1162م)، وكتاب:**(معجم البلدان)** لياقوت الحموي(ت.626هـ/1229م) وكتاب: **(روض المعطار)** لمحمد الحميري(ت.900هـ/ 1494م)، وغيرها من المصادر الجغرافية.

رابعًا_**المراجع الأجنبية والمعربة:**وقد أمدت الدراسة بمعلومات قيمة خاصة فيما يتعلق بتاريخ إسبانيا القديم، كان أهمها كتاب:**(التاريخ الإسباني)** لبيمان، وكتاب:**(تاريخ إسبانيا)** لليفي بروفنسال،

وكتب أجنبية معربة نحو كتاب:**(الحضارة الفنيقية في إسبانية)** ليولي تسيركين، وكتاب:**(المسلمون في الأندلس)** لدوزي، وكتاب:**(تاريخ إفريقية الشمالية)** لشارل جوليان وغيرها من الكتب الأجنبية والمعربة ذات الأهمية والفائدة.

خامسًا_**المراجع العربية:**لقد كان لأصحابها فيها من التحليلات والتفاسير حول تاريخ المغرب والأندلس ومن النقد حول الروايات التاريخية المعالجة للتاريخ ذاته ما أفاد الباحث في توسيع مداركه التاريخية والنقدية التي أضافها إلى الدراسة، وقد أظهرها من خلال تدوين تلك المراجع في الهوامش وقائمة المصادر والمراجع. وما ينطبق على هذه المراجع، ينطبق _كذلك_على الأبحاث العلمية المنشورة وغير المنشورة كأبحاث المجلات المحكمة، ورسائل الماجستير.

- **فصول الدراسة:**

حوت الدراسة تمهيدًا، وثلاثة فصول، وخاتمة: تناول التمهيد التواصل بين الجانبين المغربي والإسباني قبل الفتح الإسلامي_ تلك العلاقة التي نشأت بين الجانبين للقرب الجغرافي الذي لا يفصلهما إلا مضيق مائي _، ذلك التواصل الذي تمثل عبر تاريخ المنطقة القديم بتوثيق العلاقة السياسية والأمنية لكلتا العدوتين، وتعداه إلى الجانب الثقافي والاقتصادي والاجتماعي. فقد عبرت الشعوب والأمم من المغرب إلى إسبانيا وبالعكس، مجتازةً مضيق العدوتين، كما كان موقعًا استراتيجيًّا لكل من سيطر على تلك المنطقة من الفنقيين والرومان والقوط.

وقد تناول الفصل الأول العلاقات السياسية والعسكرية بين المغرب والأندلس من الفتح الإسلامي إلى إقامة الإمارة الأموية، ذلك الفتح الذي جاء استكمالًا للفتح الإسلامي للمغرب وقضاءً على الخطر القوطي المقابل للثغور المغربية. فجاء الفتح بعد اتخاذ التدابير العسكرية من

تطوير دار الصناعة لبناء الأسطول البحري، واختباره من خلال تحريكه في جزر البحر الأبيض المتوسط الغربية وإبعاد الأسطول الروماني عن شمال إفريقية، بالإضافة إلى الغارات العسكرية للعدوة الإسبانية، ثم تحرك الجيش الإسلامي بقيادة طارق بن زياد، وما تبع الفتح من مد الجيش بالإمدادات والمؤن اللازمة عبر السفن التي كانت تجول المضيق. كما تم التطرق إلى الصراع (البربري) العربي في عهد الولاة الذي نشأ نتيجة سوء معاملة الولاة العرب لأهل المغرب، الذي سرعان من انتقل صداه إلى إخوانهم في الأندلس، تلك الثورة التي كادت أن تطيح بالحكم العربي في المغرب والأندلس لولا مجيء كلثوم بن عياض الذي خاض حربًا مع البربر أدت إلى مقتله وتسلم القيادة من بعده بلج بن بشر_ وهو أحد أقربائه _، فحوصر في مدينة سبتة، ثم دخل الأندلس للمساعدة على إخماد ثورات البربر هناك، إلا أن دخوله إلى بلاد الأندلس عبر المضيق أدى إلى إيقاع الصراع العربي العربي في الأندلس.

أما الفصل الثاني، فقد تناول العلاقات السياسية والعسكرية بين المغرب والأندلس في عصر الإمارة الأموية، فقد بدأ الفصل بالحديث عن قيام الإمارة الأموية في الأندلس، تلك الإمارة التي خطط لإقامتها وتأسيسها عبد الرحمن بن معاوية أثناء وجوده بالمغرب بمساعدة القبائل المغربية التي حمته من عيون عمال العباسيين في إفريقية، واعتمد عليها في تشكيل قوته العسكرية، وركن إليهم في حماية العدوة المغربية من العباسيين وعمالهم من بني الأغلب، خوفًا من السيطرة على المغرب ودخول الأندلس عبر المضيق، فوثق علاقته بهم بالأموال والهدايا.وكان لموالي بني أمية بالأندلس دور كبير في إنجاح إقامة إمارته الذين تم الاتصال معهم بالعبور إليهم عبر المضيق،فرحبوا بعبد الرحمن، واستقبلوه ونصروه.

كما تناول الفصل بيانًا للصراع الذي دار بين العباسيين عبر رجالاتهم من بني الأغلب (حكام القيروان) والأمويين في الأندلس على أرض المغرب، بوصفه الحلقة التي يمكن من خلالها السيطرة على الأندلس ليتكامل جسم الخلافة العباسية، لذلك رمى العباسيون ثقلهم بالقوة تارةً، وبالسياسة تارةً أخرى؛ للسيطرة على المغرب والأندلس وإخضاعهما للحكم العباسي. لذلك، لم تهدأ الأوضاع السياسية والعسكرية في بلاد المغرب مما أعطى عبد الرحمن الداخل فرصة كبيرة في توطيد أركان إمارته ومحاربة الثورات الداخلية على أيدي الموالي ورجال القبائل البربرية التي انخرطت في جيشه.

كما حوى الفصل طبيعة العلاقات بين الأندلس والدويلات التي نشأت في المغرب الإسلامي، التي اتخذت طابعًا سياسيًا أكثر منه عسكريا. إذ أراد الأمويون عبر تلك العلاقات تأمين جهة المغرب من كل خطر محدق بهم، وكذلك هدفت تلك الدويلات _من ذلك_ تحقيق مصالحها، خوفًا من تهديد العباسيين وبني الأغلب في إسقاطها وضمها إلى جسم الدولة الإسلامية. فتم التحالف مع الأدارسة العلويين في المغرب الأقصى الذي انتهى منذ استقبال الأدارسة للمناوئين الساخطين على الإمارة الأندلسية من الربضيين، ثم جاء التحالف مع الرستميين في المغرب الأوسط، وذلك لدفع العدو من بني الأغلب، وتحجيم الأدارسة من التوسع أو التطلع إلى بلاد الأندلس. وقد جاء هذا التحالف مع الرستميين بمثابة شريان الحياة للإمارة سياسيًا، وعسكريًا، وأمنيًا، واقتصاديا. كما عقدت الإمارة العديد من التحالفات مع الدويلات الأخرى في المغرب من أجل المحافظة على نفسها من جهة العدوة المغربية.

بينما اشتمل الفصل الثالث على بيان العلاقات السياسية والعسكرية بين المغرب والأندلس في عهد الخلافة الأموية، تلك العلاقات التي اتسمت بسخونتها وتوترها بين الفاطميين الذين قاموا في المغرب الأدنى، والأمويين في الأندلس؛ للسيطرة على المغرب،وثغوره المطلة على العدوة الأندلسية

حتى يتمكن الفاطميون من تحقيق دولة شيعية لهم في الغرب الإسلامي تضاهي الخلافة العباسية السنية في المشرق، فقد قام الفاطميون بتوثيق العلاقة مع بعض القبائل المغربية كالصنهاجيين والتجسس على الأمويين لمعرفة أحوال البلاد وطرقها، وإيجاد قاعدة شيعية لهم في الأندلس تمهد لهم الطريق، لنشر المذهب الشيعي. لذلك، كثَّف حكام الخلافة الأموية عملهم لتوثيق العلاقة بينهم وبين القبائل المغربية القاطنة بالمغرب الأقصى، ومدوها بأسباب القوة والأموال والهدايا، ليكونوا يدهم الضاربة في المغرب،ودرعهم الواقية من هجمات الفاطميين وتوغلهم فيها تلك السخونة التي حركت الأسطول الأندلسي للقتال والدفاع عن الثغور المغربية المطلة على العدوة الأندلسية، خوفًا من سيطرة الفاطميين وأشياعهم عليه.لتحصين ثغور العدوتين ومدهما بأسباب القوة في حال تعرضهما لأي هجوم.

كما تطرق الفصل إلى بيان العلاقة بين الأندلس والمغرب أثناء الحكم العامري للأندلس (366-399هـ/976-1009م) التي لم تختلف عن سياسة بني أمية في حماية العدوتين من أي خطر يهدد الأندلس من جهة المغرب وذلك بدعم القبائل المغربية واستقبالها وتعيينها في وظائف الدولة، وذلك، لتمكين العلاقة بينهما. وانتهى الفصل بالحديث عن الثورة البربرية التي أطاحت بالخلافة الأموية وانهيارها في الأندلس تلك الثورة التي نتجت عن بغض دفين ستر عشرات السنين بين العرب الذين حُرموا من المناصب العليا في الحكم بعد قيام الإمارة الأموية بسبب تقديم المغاربة عليهم، وكذلك الحقد الذي كان عند البربر في المغرب والأندلس لسوء معاملة العرب لهم. فقامت الثورة من أهل قرطبة والأمويين وأطاحوا بالحكم العامري، وولوا عليهم محمد بن هشام "المهدي" الذي اصطف معه قادة المغاربة في الأندلس عندما أدركوا ضعف ابن المنصور بن أبي عامر، إلا أن المهدي قاتلهم وأراد إخراجهم وتصفيتهم من البلاد، فنكَّل بهم، فما كان من البربر إلا أن توحدوا تحت قيادة

المستعين الذي استطاع السيطرة على قرطبة آنذاك. ثم كان سقوط المستعين على يد الحموديين الذين انطلقوا في حملتهم من أرض سبتة، فدخلت بلاد الأندلس والمغرب في فوضى سياسية أدت إلى انقسام البلاد وتفككها.

ثم خُتمت الدراسة بخاتمة أوجز فيها أهم النتائج التي خلص إليها الباحث في بحثه، وملاحق من الخرائط لعرض الأماكن التي وردت في الرسالة، ثم قائمة المصادر والمراجع، وملخص للدراسة بالإنجليزية.

ومسك الختام، هو: إنَّ الله قد خصَّ كتابه بالكمال، وبحسن التمام، ونفى ذلك عن غيره بلا جدال؛ فحسبي أنِّي حاولت، واللهَ أسأل أن أكون قد وفقت لما أصبو إليه، وعملت عليه، ألا وهو: التوفيق في هذه الدراسة لما فيه الخير والنفع، إنَّه وليُّ ذلك، والقادر عليه.

الباحث

حامد "محمد عدنان" شاهين

التمهيد

التواصل بين العدوتين المغربية والإسبانية قبل الفتح الإسلامي

يشكل التقارب الجغرافي بين الجانبين: المغربي، والأندلسي المتمحور حول مضيق جبل طارق[1] أهميةً كبيرة لدى البلدين في أحوالهما السلمية والحربية؛ لما يمثله من خط دفاع أول لكليهما، وذلك منذ أقدم العصور إلى عصرنا القائم، فهو بمثابة همزة الوصل بين العدوتين[2] المغربية والإسبانية؛ إذ إنَّ المسافة بين جبل طارق وسبتة[3] قريبة جدًا_ إذ يبلغ طول المضيق ما يقارب ثمانين كيلومتر، وعرضه من الشرق إلى الغرب ثلاثة عشر إلى سبعة وثلاثين كيلومتر[4] _بحيث يرى الناس سورها ودورها، ويرى ثياب القصارين[5] بها[6]، ويعبر القلقشندي عن ذلك بقوله: "حتى إنه إذا كان الصحو ريئتْ إحداهما من الأخرى"[7]. ويروي الإدريسي: "إن أهل المغرب الأقصى من الأمم السالفة كانوا يغيرون على أهل الأندلس، بحيث يضرون بهم كل الإضرار وكذلك أهل الأندلس يكايدونهم ويحاربونهم جهد الطاقة"[8]. كل ذلك يدل على التقارب الجغرافي بين الجانبين مما سهل من عملية الانتشار البشري بينهما، والتأثير الثقافي لديهما.

لقد شكل هذا المضيق نقطة استراتيجية من الناحية الأمنية في تاريخ علاقات البلدين السياسية والعسكرية، لذا حرصت الشعوب والأقوام، التي لها أطماع سياسية أو عسكرية أو تجارية على بسط سيطرتها على المضيق؛ لما يشكل من جسر متين وتواصل قوي بين البلدين من عهد

---

[1] ويطلق عليه جبل قلب، وهي تسمية فينقية قديمة وتعني (الجبل المجوف)، ثم أطلق الإسبان على تلك المغارة الموجودة بالجبل باسم مغارة القديس ميخائيل، وأطلق الإنجليز عليها اسم مغارة القديس جورج، وجبل الأقدام، يصل ارتفاع الجبل في بعض أجزائه إلى 438مترًا. وسمي الجبل بعد الفتح الإسلامي باسم الصخرة، وجبل الفتح، وجبل طارق، أما المضيق، فقد عرف باسم أعمدة هرقل، و مضيق المجاز، أو الخليج الزقاق، أو البحر الزقاقي. الحميري،محمد، ***الروض المعطار***، 382؛ حتاملة، محمد، ***موسوعة الديار الأندلسية***، 359/1. ينظر: ملحق الخرائط، الشكل 1، 142.

[2] العدوتان مثنى عدوة، وهي الجانب؛ شلطيء الوادي وجانبه. ومنه قوله تعالى: **"إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى"** (الأنفال: 42). والمقصود بها هاهنا طرفا مضيق جبل طارق. الفيروز آبادي،محمد، ***المحيط***، مادة (عدا).

[3] من قواعد بلاد المغرب، تقع على برّ البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البرّ والجزيرة. سيطر عليها المسلمون صلحاً بعد أن هلك صاحبها الكونت يوليان. الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 3/ 182؛ القلقشندي أحمد، ***صبح الأعشى***، 159/5.

[4] حتاملة، محمد، ***موسوعة الديار الأندلسية***، 359/1.

[5] القصار: المبيِّض للثياب، وكان يُهيء النسيج بعد نسجه ببلِّه ودقه بالقصرة، الفيروز آبادي،محمد، ***المحيط***، مادة (قصر).

[6] العذري، أحمد، ***ترصيع الأخبار وتنويع الآثار***، 118.

[7] ***صبح الأعشى***، 158/5.

[8] ***نزهة المشتاق***، 526/2.

الفنيقيين إلى هيمنة الإنجليز عليه عام 1704م. ونتيجة لميوعة الفواصل وسهولة الاتصال بين الجانبين المغربي والإسباني، دفع الفرنسيين إلى القول: إن أوروبا تنتهي عند جبال البرتات_حدود فرنسا الجنوبية_، وبذلك أخرج الفرنسيون الإسبان من نطاق الدول الأوروبية، وعدّوها جزءًا لا يتجزأ من بلاد القارة الإفريقية المتخلفة نسبيًا[1].

كانت أولى الهجرات الإنسانية التي انطلقت من العدوة المغربية إلى الإسبانية هجرات الأيبيريين[2] وعرفت آنذاك تلك المنطقة باسم "شبه الجزيرة الأيبيرية". ثم عبر الفنيقيون[3] المضيق المضيق متجهين نحو العدوة الإسبانية بعد أن راقهم جمال إقليمها، وشاهدوا خصب أرضها، وغنى معادنها فأقاموا فيها قواعد تجارية في منتصف القرن الحادي عشر قبل الميلاد[4] على غرار المراكز التجارية التي أقاموها في القسم الغربي من البحر الأبيض المتوسط، فأسسوا مدينة قادش في إسبانيا التي تعرف الآن بالإسبانية (Cadiz) التي اتخذوها عاصمة لهم[5]، ومدينة سكسي (Sexi) التي لا تزال مصيف أهل غرناطة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط في جنوب شرق إسبانيا[6].

---

1 العبادي، أحمد، ***في تاريخ المغرب والأندلس*** 24،25؛ أرسلان، شكيب، ***الحلل السندسية***، 17/1.

2 وهم خليط من العناصر الحامية الليبية في شمال إفريقية، وقد اختلطوا في إسبانيا بالسلت الوافدين من شمال أوروبا، ومن هذا هذا المزيج تكون الشعب الإسباني القديم (**Celtiberos**). ووصل الأيبيريون إلى مستوى متقدم في فن النحت، وكانت آلهتهم متعددة، منها للزراعة، وللطب، والشمس، وقد اختاروا المناطق العالية للسكن فيها من أجل الدفاع عن أنفسهم، وقد مارسوا الرعي، وصناعة الملابس، والتماثيل. حتاملة، محمد، ***أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين***، 109،110؛ العبادي، أحمد، ***في تاريخ المغرب والأندلس***، 25،26.

3 فرع من الكنعانيين، أطلق عليهم اليونانيون اسم "الفينقيون" (**Phoenikes**) وتعني اللون الداكن أو الأرجواني، أو نسبة للصبغة الأرجوانية التي كان يصبغون بها ألبستهم والتي كانوا يستخرجونها من بعض المحارات البحرية. استقروا على شواطىء سوريا ولبنان، وذلك في القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد، وتعد مدينة صور(**Tyre**) بلبنان ملكة المدائن الفينقية، وقد اشتهروا بالتجارة مع مختلف الشعوب،فقد كانوا يصدرون ما يفيض عن حاجتهم من الحبوب، كما اشتهروا بصناعة المنسوجات والزجاجيات والمفروشات والجواهر، وقد أدى الفينقيون الخدمات الجلّى للعالم في الشرق القديم، فقد أسمهت تجارتهم بفضل انتشارها في الغرب المتوسطي وبفضل أسواقها التجارية في شرقي إسبانيا وفي قادش في تموين الشرق بالمعادن النادرة. مجموعة باحثين، ***موسوعة تاريخ الحضارات العام***، 1/ 260. ينظر: ملحق 1، الشكل 2، 142.

4 حتي،فيليب، ***تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين***، 111/1.

5 Martorell، **Historia de España**، p50

6 حتي،فيليب، ***تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين***، 111/1؛ حتاملة، محمد، ***أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين***، 126،127.

استمرت هيمنة القرطاجيين –أحفاد الفنيقيين– منذ القرن الثامن وحتى الرابع قبل الميلاد على بلاد شمال إفريقية وجنوب إسبانيا، محتكرين أغلب مجالاتها الاقتصادية[1]، ولم يسمحوا لغيرهم من الدول الأخرى بمشاركتهم في استغلال المنطقة، بل حددوا لها الساحل الإسباني الشرقي بوصفه أقصى حد غربي يمكن الوصول إليه، وأقاموا في جبل طارق أبراجًا للمراقبين، ولم يترددوا في إغراق كل سفينة تحاول عبور المضيق[2]. مما جعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة فنيقية، قبل أن يكون بحيرة يونانية أو رومانية حتى قيل للرومان: إنه لا يمكنكم غسل أيديكم في مياهه بدون إذن قرطاجة[3]، دلالةً على تسلط الأسطول القرطاجي على البحر.

لم تكن سهولة الانتشار بين العدوتين في عهد الفينقيين منوطةً بالعلاقات التجارية الاقتصادية فحسب، بل كان لها دور كبير في التأثير على كلا البلدين في الناحية الدينية، والاجتماعية والثقافية، من حيث العبادة، وتطور الكتابة، والفنون[4].

---

1 حتي،فيليب، ***تاريخ سوريا ولبنان وسوريا***، 104/1

2 العبادي، أحمد، ***في تاريخ المغرب والأندلس*** 30.

3 حتي، فيليب، ***تاريخ سوريا ولبنان وسوريا***، 116/1.

4 فقد تمت عبادة الإله ملقارت _وهو الإله الصوري الرئيسي واسع الشعبية في أوساط المستعمرين ولدى الشعوب القديمة قبل ذلك_ الذي كان هيكله في قادش من أشهر المعابد المقدسة في العصور القديمة، وامتدت شهرته وبلغ صيته في أرجاء العالم القديم منذ ظهوره في أواخر الألفية الثانية قبل الميلاد، والذي كان قبلة الكثير من الحجاج، وكانت عبادته غير محصورة في قادش، بل انتشرت في مختلف المستعمرات الصورية إذ إنَّ ملقارت إله ملكة المدائن (صور) في لبنان، فقد وجدت صور هرقليس_ملقارت على نقود مدينة سكسي. وعبدوا الإله عشتروت(Astarte)، والإله بعل همّون الذي كانت عبادته منتشرة انتشارًا واسعًا في غرب العالم الفينقي، وقد أدخلوا إلى إسبانيا عبادة إله النبات، والإله الشافي أشمون(Eshmun)، وإله الحظ هاغاد، والإله المجهول أريش في قرطاجة الجديدة. كما كانت طقوس الدفن في غالبيتها طقوسًا فينقية وأكثرها انتشارًا في مستعمراتهم.

وتزوج التجار الفنيقيون الذين أقاموا تلك المراكز من أهالي البلاد. وانتشرت لغتهم السامية بين سكان البربر بالمغرب وبقيت قائمة ولم تمح، مما ساعد ذلك على انتشار اللغة العربية السامية بين البربر بعد الفتح؛ إذ إنه توجد أوجه شبه بين اللغتين: الفنيقية والعربية، ويرجع إليهم الفضل في تطوير الحروف الهجائية الفنيقية، فقد تمكنوا من تطوير الكتابة التصويرية المصرية والبابلية ووضعوا أول حروف هجائية استخدمها الإنسان. وعلموا شعوب العدوتين بعض الصناعات المحلية وأساليب الفلاحة كطريقة غرس الأشجار، مثل: غابات الأرز والصنوبر، وهذا كان له الفضل في جعل العدوتين حديقة كبرى وافرة الظلال. ويتضح لنا من ذلك أن سيطرة الفينيقيين على المغرب دفعهم للسيطرة على إسبانيا؛ لسهولة التقارب بين الجانبين، مما عكس ذلك انتشار المظاهر الحضارية الفنيقية على ضفتي المضيق. تسيركين، يولي، ***الحضارة الفنيقية***، 104 وما بعدها؛ ديورانت،

وقد دخل الإغريق بوصفهم منافسين جددًا في الحياة التجارية في غرب البحر الأبيض المتوسط، إلا أن هؤلاء المنافسين قوبلوا بمعارضة من قبل القرطاجيين، فقد قام القرطاجيون بتدمير العديد من سفن الأسطول الإغريقي، مما أدى إلى نزوح الإغريق عن شبه الجزيرة الأيبيرية والتحول إلى إنشاء مراكز تجارية في مرسيليا _جنوب فرنسا_ سنة 600ق.م، وعلالية (Alalia) سنة 560 ق.م الواقعة في جزيرة كورسيكا بجنوب شرق فرنسا[(1)]. وقد تعلم الأيبيريون من الإغريق زراعة أشجار العنب والزيتون، وسك النقود، والقلائد والأقراط[(2)].

لقد كان من جراء توسع القرطاجيين –سلمًا– في إسبانيا وحوض البحر الألبيض المتوسط، أن اصطدمت قرطاجة بمصالح الامبرطورية الرومانية وتوسعها في الهيمنة على البحر الأبيض المتوسط، فأدى إلى اندلاع الحروب بينهما التي عرفت باسم الحروب البونية (Guerras Punicas)، وقد أسفرت عن هزيمة قرطاجة، فخسرت نفوذها بشبه الجزيرة الأيبيرية والبحر الأبيض المتوسط، وتم تدمير قرطاجة وحرقها في الحرب البونية الثالثة سنة 146ق.م، وبيع أهلها في سوق النخاسة، وأصبحت قرطاجة جزءًا من المقاطعات الرومانية. ثم خضعت نوميديا (الجزائر)، وموريطانية (مراكش) تحت الحكم الروماني سنة 106ق.م [(3)].

لقد كان من مظاهر الاتصال بين العدوتين المغربية والإسبانية في العصر الروماني انتشار اللغة اللاتينية، فانتشرت بشبه الجزيرة الأيبيرية بحيث أصبح سكان شبه الجزيرة يتقنون كتابتها أكثر من الرومان أنفسهم[(4)]. كما انتشرت الديانة المسيحية بين الجانبين في وقت واحد تقريبًا، ففي أواخر

ول، ***قصة الحضارة***، 84/9؛ حتاملة، محمد، ***أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين***، 140؛ Henri Terrasse، ***Histoire du moroc***، p46.

[1] حتاملة،محمد، ***أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين***، 147،146.

[2] Peman، **La Historia de España** ، p24

[3] عبد الوهاب، لطفي، ***معالم التاريخ الروماني***، 60،59.

[4] Peman، **La Historia de España**، p، 38 ؛ جوليان، شارل، ***تاريخ إفريقية الشمالية***، 248.

القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي انتشرت المسيحية بشكل كبير في طنجة بالمغرب؛ إذ انتشرت فيها المقابر والآثار المسيحية، وامتدت الديانة إلى جنوب المغرب حتى جبال أطلس، كما انتشرت في كامل شبه الجزيرة الأيبيرية[1]، وكان هذا الانتشار في أساسه منطلقًا من المراكز الحضارية الرومانية، وأهمها العدوتان المغربية والإسبانية[2].

وفي بداية القرن الخامس الميلادي تعرضت الإمبراطورية الرومانية لهجرات كبيرة من القبائل الجرمانية[3] التي خرجت من الجهات الشمالية الشرقية من أوروبا، وعلى أثرها سقطت الإمبراطورية الرومانية ومستعمراتها بيد هؤلاء البرابرة سنة 476م. وقد دخل الوندال[4] إسبانيا عبر جبال البرتات سنة 409م[5]، واستقروا في السهول الجنوبية وكان دخولهم بأسلوب همجي، وصفه المؤرخ بلي[6] بالوحشي؛ لما ارتكبوه من فظائع شنيعة ضد السكان.

ثم توالى إلى إسبانيا القوطيون[7] الذين هاجموا الوندال حتى اضطروا بقيادة ملكهم جنزريك(Genesrico) إلى مغادرة إسبانيا والانتقال إلى شمال إفريقية، فعبروا المضيق سنة 429م

---

1 يرجع هذا الانتشار الكبير للمسيحية في شبه الجزيرة الأيبيرية إلى جهد الكردينال أوسيو (Osio)، كردينال قرطبة الذي أرسى دعائم المسيحية فيها، والذي استطاع أن يؤثر على الإمبراطور قسطنطين الذي منح حرية العبادة للرعايا المسيحيين سنة 312م .

Peman، **La Historia de España**، p42، 43

2 العبادي، أحمد، ***في تاريخ المغرب والأندلس***، 32.

3 وهم الألمان، والفرنجة، والسكسون، واللمبارد، والبرجنديون، والقوط، والوندال، واللان، والسويف. عبد الفتاح عاشور، سعيد، ***تاريخ أوربا في العصور الوسطى***، 57،58.

4 الوندال (**Vandalos**) هم من الشعوب الذين سكنوا نهر الأودورو(**Oder**) ونهر الفيستولي (**Vistale**) في شرقي ألمانيا، زحفوا من الشمال إلى الجنوب حتى بلغوا مضيق جبل طارق، ثم وصلوا إلى إفريقية، وأطلق أهل إفريقية والمغرب على إسبانيا التي سكن فيها الفاندالس اسم "فاندالِيسيا" (**Vandaucia**)؛ ولما جاء العرب المسلمون إلى هذه البلاد وافتتحوها عرّبوا الاسم وأطلقوا عليها اسم الأندلس. المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 135/1؛ حلاق، حسان، ***العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب*** 15،16. ينظر: ملحق الخرائط، الشكل 3، 143.

5 جوليان، شارل، ***تاريخ إفريقية الشمالية***، 322.

6 **Manual de Historia de España**، p336

7 لقد هاجم القوطيون العديد من مدن الإمبراطورية الرومانية منذ نزوحهم من شمال أوروبا، إذ إنهم أغاروا على ولاية داسيا (رومانيا والمجر) أثناء حكم الإمبراطور إسكندر سيفروس(222-235م)، ثم خربوا ولاية ميزيا (بلغاريا) أثناء حكم الإمبراطور ديسيوس، وحاربهم الأخير بالبلقان إلا أنه هزم سنة 250م، ثم سار القوط إلى اليونان وخربوها، وقد حاربهم آنذاك الإمبراطور قسطنطين الكبير سنة 322م، وألحق بهم الهزيمة، ثم حاربهم الإمبرطو فاليس قيصر القسطنطينية وهزمهم سنة 369م. ثم دخل القوط تحت طاعة الإمبراطورية عندما هاجمتهم جماعة الهون سنة 375م، إلا أنهم ثاروا على الحكام

من ميناء (Traducta) _الذي أطلق عليه فيما بعد اسم طريف (Tarifa)_ ودخلوا بلاد البربر[1] ولم يتمكن حاكم شمال إفريقية آنذاك بوني فايثو (Bonifacio) من إيقافهم[2]، واستقروا في نوميديا(الجزائر)، واستولوا على قرطاجة سنة 439م، وأنشأوا أسطولًا قويًا[3]، ثم انتزعوا صقلية وسردينية، وهاجموا إيطاليا فخربوا روما ونهبوها سنة 455م، واستمر حكمهم الهمجي في شمال إفريقية 100 عام، حتى مات ملكهم جنزريك سنة 477م، فوقع الضعف فيهم، وانتهز الإمبراطور البيزنطي جستنيان هذا الضعف، فأرسل إليهم حملة عسكرية بقيادة بلزاريوس الذي دخل قرطاجة سنة 534م، وانتصر عليهم، ورجعت معظم بلاد إفريقية الشمالية تحت الحكم الروماني، مرةً ثانية[4]. واستولى البيزنطيون على صقلية، وإيطاليا والعدوة الإسبانية سنة 554م، واستمرت هيمنتهم على العدوتين سبعين عامًا حتى طردهم القوطيون من جنوب إسبانيا، ومن بعض الثغور المغربية لضمان سلامة أمن دولتهم من أي هجوم يأتي من جهة الجنوب[5].

وفي القرن السادس الميلادي، أخذ ملك القوط _آنذاك_ سونيتيلا (Suintila) (621_631م) قرارًا بتوسيع نفوذه؛ فعبر المضيق وبسط سلطانه على مدينة طنجة بالمغرب، وقد أدت انتصاراته _بالإضافة إلى ما كان يتمتع به من كرم وحكمة_ إلى ازدهار عهده، ووصفه "بأبي الفقراء" وعدّ

الرومانيين نتيجة عسفهم. وفي عهد الإمبراطور هونوريوس ثار القوطيون بقيادة زعيمهم الأريك، وخربوا اليونان، ثم عبروا إلى إيطاليا، واقتحموا روما سنة 410م ونهبوها، وبعد وفاة زعيمهم عقد القوط صلحاً مع الإمبرطور واندمجوا بالجيش الإمبراطوري، وقمعوا الثورات المحلية التي قامت ضد الإمبراطورية الرومانية في غاليا جنوب فرنسا وشمالي إسبانيا، ثم استقروا بوسط فرنسا وجنوبها متخذين من مدينة تولوشة عاصمة لهم تابعة للرومان. وقد عاون القوط الامبرطورية في محاربة الوندال واللآن والسويف، وقد ألحقوا بالهون الهزيمة بمعركة شالون سنة 451م، ثم توجه القوط نحو إسبانيا لانتزاعها من حكم الوندال والسويف، وخضعت إسبانيا لحكمهم في نهاية القرن الخامس الميلادي متخذين من طليطلة دار ملكهم بها - وضعوا لمملكتهم من القوانين والأنظمة متأثرين بروح الحضارة الرومانية- بعد أن طردوا من فرنسا على أيدي الفرنج الذين غزوهم من الشمال. مؤلف مجهول، ***ذكر بلاد الأندلس***، 91/1؛ طرخان، إبراهيم علي، ***دولة القوط الغربيين***، 35 وما بعدها؛ عنان، محمد، ***دولة الإسلام في الأندلس***، العصر الأول (ق.1)، 28،29

[1] جوليان، شارل، ***تاريخ إفريقية الشمالية***، 325.

[2] Bleye، **Manual de Historia de España**، p339

[3] جوليان، شارل، ***تاريخ إفريقية الشمالية***، 326-328.

[4] عبد الفتاح عاشور، سعيد، ***تاريخ أوربا في العصور الوسطى***، 72،73.

[5] العبادي،أحمد، ***في تاريخ المغرب والأندلس***، 34.

مؤسس القومية الإسبانية[1]، وظل القوطيون يحكمون إسبانيا إلى أن عبر المسلمون المضيق، وتغلبوا على القوطيين عام 92هـ/711م.

من خلال العرض الموجز للصلة بين المغرب وإسبانيا قديمًا يظهر لنا بوضوح مدى دور التقارب بين الجانبين الذي سهل من عملية التواصل والتأثير في مختلف الأصعدة: السياسية والاقتصادية، والثقافية. وإذا حق لنا القول: إنَّ تاريخ البلدين هو تاريخ مشترك في أمنهما وحربهما. وقد كان لهذا التقارب دور واضح في عملية الفتح الإسلامي لإسبانيا، فقد هيأت الظروف السياسية المضطربة في إسبانيا التي وصل أمرها إلى المغرب بالإضافة إلى التقارب الجغرافي الذي سهل عمليات التواصل بينهما إمكانية دخول المسلمين لإسبانيا وفتحها وحكمها لمدة ثمانية قرون (92/897هـ_711/1492م).

1 Bleye، **Manual de Historia de España**، p352

الفصل الأول

العلاقات السياسية والعسكرية بين المغرب والأندلس

من الفتح إلى قيام الإمارة الأموية

(أولاً) مقدمات الفتح

- **تمهيد**

بعد استكمال الفتح الإسلامي في شمال إفريقية[1]، تطلع القائد موسى بن نصير[2] إلى إسبانيا؛ لاستكمال الفتح الإسلامي هناك، إذ وجد أنه من غير المجدي أن تتوقف الفتوحات قبالة إسبانيا؛ لأنه سيؤدي إلى حدوث صدامات عدة بين المسلمين ودولة القوط في إسبانيا بحكم الجوار وسهولة الانتشار بينهما، وكذلك سيحاول كل طرف تأمين حدوده بالسيطرة على المنطقة المقابلة له. إضافة إلى أن الهدف الإسلامي الأعلى يقضي بعدم توقف الفتوحات؛ لإيصال رسالة الإسلام إلى الناس كافة، إذ يعد حملها حكمًا شرعيًا واجبًا على المسلمين والدولة، وهذا الالتزام يذكرنا بما قاله القائد عقبة بن نافع حين وصل مياه الأطلسي: "يا ربِّ، لولا أن البحر منعني، لمضيت في البلاد إلى مسلك ذي القرنين، مدافعًا عن دينك، مقاتلًا من كفر بك"[3].

لذلك، كانت الإستراتيجية العسكرية عند الدولة الإسلامية من الفتح في شمال إفريقية تهدف إلى عدم التوقف عند مياه المحيط الأطلسي، بل الاستمرار في الغزو نحو إسبانيا، ثم فرنسا وتطويق القسطنطينية من الغرب، فقد ذكر ابن خلدون[4] والمقَّري[5] هذه الغاية لموسى بن نصير؛ أنه يريد أن يُلحق بدار الخلافة في دمشق بعد قتال بلاد الأعاجم من الأمم النصرانية وفتح القسطنطينية

---

[1] للاطلاع على خط سير القوات الإسلامية في فتح شمال إفريقية، ينظر: ملحق الخرائط، الشكل 4، 144.

[2] أبو عبد الرحمن موسى بن نصير، ولد عام 19هـ/640م، لخمي الولاء، صاحب فتح الأندلس، كان من التابعين، وروى عن تميم الداري، كان أعرج مهيبا، ذا رأي وحزم، لم يهزم له جيش قط. وَلِيَ غزو البحر لمعاوية، فغزا قبرص. تولى إمارة إفريقية والمغرب عام 79هـ/698م وقد استعمل على أقصى المغرب مولاه طارقاً، فبادر وافتتح الأندلس، ولحقه موسى وتمم فتحها، ومات في مر الظهران أو بوادي القرى عام 97هـ/ 715م. الذهبي،محمد، ***سير أعلام النبلاء***، 497/4،496؛ ابن خلكان، أحمد، ***وفيات الأعيان***، 5/ 318-329؛ الضبي، أحمد، ***بغية الملتمس***،399؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 303/4؛ ابن العماد، عبد الحي، ***شذرات الذهب***، 390/1.

[3] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 27/1؛ النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 15/24.

[4] ***العبر***، 141/4.

[5] ***نفح الطيب***، 223/1.

والوقوف على أبوابها وأبواب رومة قائلًا: "تالله، لو ساعدتموني لسرت بكم حتى أقف على باب رومة والقسطنطينية العظمى وأفتتحهما بإذن الله"[1].

وهذا يدل على أن مشروع الفتح الإسلامي لأرض إسبانيا كان ضمن التخطيط الإسلامي في فترة مبكرة، حتى يتم لهم فتح القسطنطينية من جهة الغرب، ليتحقق على يدهم بشرى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) القائل: "**لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش**" [2].

وكان قادة الفتح على قناعة بأن هذا التقارب الجغرافي يحتم عليهم السير باتجاه الشمال أي باتجاه إسبانيا التي لا يفصلها عن بلاد المغرب سوى المضيق[3].

- **تدابير موسى بن نصير لعملية الفتح**

1– استيعاب البربر بين صفوفه من خلال نشر الإسلام بينهم، وتنمية روح الجهاد لديهم لتتشوق أنفسهم إلى الجهاد في سبيل الله، واستثمر تلك الحماسة والفداء للإسلام بإرسالهم إلى جنوب إسبانيا بقيادة قائد منهم هو طارق بن زياد[4]، إذ إن هؤلاء البربر _بوصفهم السكان المحليين للمغرب_ أكثر الناس خبرة ودراية في شؤون شبه الجزيرة الأيبيرية[5].

2– قيامه بالعمليات العسكرية على جزر البحر الأبيض المتوسط لاختبار البحرية الإسلامية والتأكد من قدراتها في أماكن بعيدة عن السواحل المغربية، ولإبعاد الأسطول البيزنطي أكبر

---

[1] ابن الكردبوس، عبد الملك، ***تاريخ الأندلس***، 49؛ ابن قتيبة، عبد الله، ***الإمامة والسياسة***، 94،95/2.

[2] ابن عبد البر، يوسف، ***الاستيعاب في معرفة الأصحاب***، 250/1 إسناده حسن؛ البخاري، محمد، ***التاريخ الكبير***، 81/2.

[3] طه، عبد الواحد ذنون، ***تاريخ المغرب والأندلس: مدخل لدراسة نقدية جديدة***، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج48، ج1، 2001، 184.

[4] طارق بن زياد بن عبد الله بن لغو، فاتح الأندلس، بربري الأصل، من قبيلة نفزة. كان مولى موسى بن نصير، ولاه على طنجة عام 85هـ/704م. ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 43/1؛ الذهبي، محمد، ***سير أعلام النبلاء***، 500/4؛ الصفدي صلاح الدين خليل، ***الوافي بالوفيات***، 16/ 220؛ مؤلف مجهول، ***ذكر بلاد الأندلس***، 98/1.

[5] طه، عبد الواحد ذنون، ***تاريخ المغرب والأندلس: مدخل لدراسة نقدية جديدة***، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج48، ج1، 2001، 184،185.

مسافة ممكنة عن مركز العمليات الإسلامية المحتملة فيما بعد _وهي إسبانيا_. وبناء السفن وتجهيزها وشحنها لإرسالها إلى السواحل المقابلة لإسبانيا[1].

3- مراقبة الأحوال السياسية والعسكرية والاجتماعية في إسبانيا التي كانت تعاني آنذاك من الضعف، نتيجة الخلافات بين أفراد الطبقة الحاكمة، وهيمنة الحكام ورجال الدين على طبقات المجتمع وصراعهما مع اليهود.

- **حال إسبانيا قبل الفتح الإسلامي**

- **الحالة الاجتماعية (طبقات المجتمع)**

❖ طبقة الملك والنبلاء (الأَرستقراطية القوطية): التي كانت تتنعم بخيرات البلاد وثرواته وتتميز بنفوذ غير محدود، وإعفاء من الضرائب، وامتلاكها لأفضل الأراضي الصالحة للاستثمار في البلاد وأجودها.

❖ رجال الدين: الذين بدروهم يباركون للملك الجديد بعد انتخابه ويثقفونه. وكان لهؤلاء سلطة روحية قوية على الشعب. كما أخذوا على عاتقهم وضع التشريع والقوانين للحاكم والدولة. وكانت لهم من أراضٍ شاسعة، وكان للكنائس أوقاف وحبوس تستغلها، واستغلت سذاجة الناس باسم الدين، وكانوا على مستوى النبلاء من الامتيازات كالإعفاء من دفع الضرائب، فوقعت ثروات البلاد وخيراتها تحت أيديهم وأيدي النبلاء، فعاشوا عيشة رغد وترف في قصور فارهة مطلة على أنهار إسبانيا[2].

---

[1] علي، سيد أمير، ***مختصر تاريخ العرب***، 111.

[2] Comas (Maria)، **Historia de España**، p98،

❖ الطبقة الوسطى (الكوريال): وهم صغار الملاك من التجار، والحرفيين، والزراع، وكان على هؤلاء دفع الضرائب الباهظة، وتعبيد الطرق، وحفر الترع، والتنازل عن بعض أراضيهم للنبلاء مقابل حمايتهم بعد أن لجأ النبلاء إلى انتزاع الأراضي من الزراع أصحاب الأرض[1].

❖ الطبقة الدنيا: وهي الطبقة الكبرى في المجتمع، العاملة في مزارع النبلاء ورجال الدين المحرومة من أبسط حقوق المواطنة، إذ تعرضوا لأبشع الاستغلال وعوملوا معاملة العبيد، فقد ارتبطت ملكية هؤلاء بملكية الأرض، فإذا بيعت الأرض انتقلت ملكيتهم مع الأرض للمشتري الجديد[2].

❖ اليهود: الذين كانوا يشكلون فريقًا كبيرًا كثير العدد، عظيم الثروة، وافر النشاط، فقد كانوا مضطهدين على يد ملوك إسبانيا، إذ كانوا منبوذين في المجتمع الإسباني لتعاطيهم الربا واختلاف عقيدتهم عن عقيدة حكام إسبانيا الكاثوليكيين. وقد فُرض عليهم التنصير أو النفي أو المصادرة، لذا اعتنق عدد كبير منهم النصرانية كرهًا وذلك في عهد سيسبوت (Sisebut)_ رئيس أساقفة طليطلة_ سنة 616م[3]. وتوالت عليهم المحن والاضطهاد على أيدي حكام القوط الكثير[4]، مما جعلهم يخططون لإسقاط العرش القوطي، فاتصلوا بإخوانهم في المغرب؛ لكي يقوموا بدورهم بالاتصال بالمسلمين الفاتحين في بلاد إفريقية والمغرب خصوصًا بعد أن علم يهود إسبانيا بالعدل والحرية الدينية التي تمتع بها بنو جلدتهم تحت حكم المسلمين فالأخبار والمجريات القائمة في المغرب لم تكن بعيدة عن مسامع سكان إسبانيا وأعينهم لتقارب الجانبين وسهولة حركة التنقل بينهما؛ إلا أن المؤامرة قد كشفت للملك إجيكا آنذاك

---

[1] Pedro Aguado،Bleye، **Manual de Historia de España**، p55

[2] إبراهيم، حسن، ***تاريخ الإسلام***، 253/1،252.

[3] طرخان، إبراهيم علي، ***دولة القوط الغربيين***، 118.

[4] بشير، عبد الرحمن، ***اليهود في المغرب العربي***، 58،57.

فأصدر المجمع الديني الثالث سنة 694م مرسومًا يتضمن مصادرة أملاك اليهود، وفصل أبنائهم عنهم بعد سن السابعة، وتعليمهم المسيحية[1].

كما لاقوا معاملة طيبة ولينة من قبل الفاتحين؛ لمؤازرتهم ومعاونتهم للمسلمين عند الفتح[2]، إذ أخذوا يدلون المسلمين على عورات البلاد، وقد اعتمد عليهم طارق في حفظ البلاد المفتوحة مع الحرس الإسلامي أثناء تفرغه بعملية الفتح[3].

- **الحالة السياسية**

أما الوضع السياسي، فقد شكل الخلاف السياسي قبيل الفتح الإسلامي لإسبانيا أزمة حادة أدى إلى نزاع حربي بين القوطيين لتقلد منصب الحكم. إذ دار النزاع بين الملك غيطشة (Witiza) بن إجيكا(Egica) من جهة، والمعارضة من النبلاء ورجال الدين من جهة أخرى؛ إذ استلم غيطشة مقاليد الحكم سنة 700م دون أن ينتظر قرار مجلس النبلاء بانتخابه، كما كان معهودًا بذلك[4].

كما حاول أن يحد من سلطتهم، ويجمع السلطة في يده، لذلك قام بتنصيب ابنه "وقلة" وليًا للعهد وجعله حاكمًا على أجزاء من الدولة[5].

---

[1] مؤلف مجهول، أخبار مجموعة،18؛ المقري، أحمد، نفح الطيب، 256/1؛ وات، مونتغمري، ***في تاريخ إسبانيا الإسلامية*** 25-27؛ دوزي، رينهرت، ***المسلمون في الأندلس***، 35/1-40؛ طرخان، إبراهيم علي، ***دولة القوط الغربيين***، 119؛ العبادي،أحمد، ***في تاريخ المغرب والأندلس***، 51،52؛ علي، سيد أمير، ***مختصر تاريخ العرب***، 113؛ إبراهيم، حسن، ***تاريخ الإسلام***، 253/1.

[2] الخطيب، لسان الدين، ***اللمحة البدرية***، 16؛ ***الإحاطة*** ، 101/1.

[3] الحجي، عبد الرحمن، ***التاريخ الأندلسي***، 29،30؛ بشير، عبد الرحمن، ***اليهود في المغرب العربي***، 58.

[4] إذ كان مجلس النبلاء -المكون من الأساقفة والأشراف- المخول باختيار ملكٍ للبلاد من أسرة الفاتح القوطي الأول، فكان شكل نظام الحكم في إسبانيا ملكيًا انتخابيا، لذلك لم يعترف النبلاء بنظام الوراثة أو الوصاية لشخص ما. وقد جر هذا النظام مشكلة للبلد وأهله، فقد كان اختيار الملك ترافقه الدسائس والمؤامرات، مما أضعف من وحدتهم واستقرارهم، وغالباً ما كان يصل إلى العرش الأقوى والأكثر مالاً وقوة وليس الأكفأ والأجدر. نعنعي، عبد المجيد، ***تاريخ الدولة الأموية في الأندلس***، 19؛ سالم، عبد العزيز، ***تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس***، 63.

[5] العبادي،أحمد، ***في تاريخ المغرب والأندلس***، 34؛ عنان، محمد، ***دولة الإسلام في الأندلس***، العصر الأول (ق.1)، 32؛ سالم، عبد العزيز، ***تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس***، 59.

لقد أخمد الملك غيطشة جميع الثورات التي قادتها المعارضة _الأشراف ورجال الدين_، فهدم حصونهم ومعاقلهم الداخلية؛ ليضعف من قوتهم، وجردهم من وسائل الدفاع، ورغم تلك الهزائم التي لحقت بخصومه الناقمين إلا أنهم ثاروا عليه مرة أخرى بقيادة ردريك أو رذريق(Rodrigo)_عامل قرطبة[1]_الذي التف حوله رجال الدين والأشراف، واستطاعوا أن يتغلبوا على غيطشة الذي توفي في وقتها ولم يتمكن ولي عهده وقلة من مسك زمام الحكم، إذ تمت هزيمته وإبعاده من البلاد فانشطر الناس شطرين: الأول يوالي الملك رذريق، والثاني يوالي الملك المهزوم وقلة، فوقعت إسبانيا في انقسام سياسي كبير، وأصبحت البلاد الأيبيرية في طليعة القرن الثامن الميلادي آيلة للسقوط عند أول ضربة هجوم تشن عليها.

اتجه أنصار الفريق الثاني إلى الجانب المغربي تجاه سبتة التي كانت تدور في فلك دولة القوطيين بإسبانيا، إذ دخلت سبتة تحت حماية الدولة القوطية عندما عجزت الإمبراطورية الرومانية من حمايتها من التوغل الإسلامي نحو أفريقية، فقد كانت القيادة العليا للإمبراطورية الرومانية منشغلة بعمليات الفتح الإسلامي، خصوصًا عندما سقطت قرطاجة (تونس) من ضمن ممتلكاتها سنة 78هـ/698م، ففي هذه الأوضاع الحرجة التي أصابت أقاليم الإمبراطورية، وبُعد الإمبراطور البيزنطي بعدًا كبيرًا عن سبتة جعله عاجزًا عن الحفاظ عليها[2]، لذلك دخلت سبتة تحت حماية دولة القوط وطاعتها[3]، فكان حاكم سبتة يوليان يقدم الطاعة لملوك القوط[4]، فالمصالح مشتركة بينهما، إذ إن أي هجوم يشن على سبتة يشكل خطرًا مباشرًا على العدوة الإسبانية. وهذا يدل على أثر هذا التقارب بين العدوتين على النواحي الأمنية لكلتيّهما، فسبتة تشكل مفتاح إسبانيا والمضيق.

---

[1] مؤلف مجهول، ***ذكر بلاد الأندلس***، 93/1؛ سالم، عبد العزيز، ***تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس***، 60؛ نعنعي، عبد المجيد، ***تاريخ الدولة الأموية في الأندلس***، 21. ويشير المقري وصاحب أخبار مجموعة أنه كان أحد "قوادهم وفرسانهم". ***نفح الطيب***، 242/1؛ ***أخبار مجموعة***، 15.

[2] دوزي، رينهرت، ***المسلمون في الأندلس***، 43/1.

[3] إبراهيم، حسن، ***تاريخ الإسلام***، 253/1؛ لينبول، ستانلي، ***العرب في إسبانيا***، 4.

[4] ابن عبد الحكم، عبد الرحمن، ***فتوح إفريقية والأندلس***، 72.

لذلك نرى الملك غيطشة يمد حاكم سبتة الكونت يوليان[1] بالطعام والإمدادات عبر المضيق عندما حاصر المسلمون أسوار سبتة وأرادوا فتحها[2].

وقد ساند القوطيون إمبراطور القسطنطينية يوستنيان الثاني (685م_695م) بقوة عسكرية عندما اقترب جيش حسان بن النعمان[3] بالسيطرة على قرطاجنة بعد أن خضعت برقة في ليبيا بيد الجيش الإسلامي سنة 73هـ/692م، إذ خشي القوط من اقتراب المسلمين على بلادهم وسيطرتهم عليها[4].

كما شكلت سبتة لقربها من العدوة الإسبانية ملجأ لكثير من العناصر الساخطة والمضطهدة من الحكم القوطي من اليهود والطبقات المحرومة[5].

وبالإضافة إلى الهجرة، فقد أدت تلك الأوضاع إلى تكوين عصابات من قطاع الطرق من العبيد وصغار الملاك، والمضطهدين في إسبانيا التي سرعان ما توحدت وأخذت تهدد المدن والقرى الإسبانية[6].

---

[1] يسميه العرب يليان أو إليان، وقد اختلفت المصادر في تحديد شخصيته، فبعضهم يعدّه قوطيًا، والآخر يدعي بأنه رومي، وهناك من ينسبه إلى البربر لطبيعة العلاقة القوية القائمة بين يوليان والقبائل البربرية حتى كسب ودها وأصبح كالزعيم عليها. ونميل إلى أن يوليان كان عاملاً على سبتة بأمر من الإمبراطورية البيزنطية، ويذهب المؤرخ ج.س. كولان أن يوليان كان نائب الإمبراطور في سبتة. وقربه من الملك غيطشة سببه الضعف الشديد الذي أصاب الإمبراطورية الرومانية، ففي ظل هذا الضعف دخل الكونت يوليان تحت حماية القوطيين. وكان لهذا التقارب الوثيق بين سبتة والقوطيين أن قام يوليان بالاتصال مع المسلمين للتغلب على المعارضة في إسبانيا وارجاع زمام الحكم لأنصار الملك غيطشة. ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 141/4؛ السلاوي، أحمد، ***الاستقصا***، 152/1؛ الحميري، محمد، ***روض المعطار***،34؛ طرخان، إبراهيم علي، ***دولة القوط الغربيين***، 121؛ عنان، محمد، ***دولة الإسلام في الأندلس***، العصر الأول (ق.1)، 35؛ مؤنس، حسين، ***فجر الأندلس***، 117؛ ج. س كولان، ***الأندلس***، 108.

[2] مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 15؛ المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 242/1.

[3] حسان بن النعمان بن عدي الأزدي الغساني، الملقب بالشيخ الأمين، ولي إفريقية في زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان، ثم أصبح عاملًا على مصر زمن الخليفة عبد الملك بن مروان. له غزوات مشهودة بعد قتل الكاهنة، قال أبو سعيد بن يونس: توفي سنة ثمانين، وقيل في حدود التسعين. الذهبي، محمد، ***سير أعلام النبلاء***، 140/4؛ الصفدي، صلاح الدين خليل، ***الوافي بالوفيات***،277/11.

[4] ابن الأثير، علي، ***الكامل***، 135/4؛ عنان، محمد، ***دولة الإسلام في الأندلس***، العصر الأول (ق.1) 21.

[5] العبادي،أحمد، ***في تاريخ المغرب والأندلس***، 55؛ دوزي، رينهرت، ***المسلمون في الأندلس***، 39/1.

[6] دوزي، رينهرت، ***المسلمون في الأندلس***، 30/1.

لقد قام الكونت يوليان بالاتصال بعامل موسى بن نصير على طنجة آنذاك طارق بن زياد فلاطفه حتى تهاديا[1]، ثم عرض عليه يوليان أن يدخل إسبانيا من سبتة _بوصفها أقرب نقطة للعدوة الإسبانية_؛ للتخلص من حكم رذريق وأعوانه[2]. وهذا هو التعليل التاريخي للتحالف بين المسلمين من جهة، ويوليان وأنصار الملك غيطشة وولده "وقلة" من جهة أخرى والذي انتهى بفتح الأندلس[3].

---

[1] ابن عبد الحكم، عبد الرحمن، ***فتوح إفريقية والأندلس***، 72؛ ابن كثير، إسماعيل، ***البداية والنهاية***، 436/12.

[2] لقد كان الاتصال بالمسلمين من قبل أبناء غيطشة وأنصارهم عبر يوليان لإسقاط حكم رذريق وإرجاع أموالهم وضياعهم التي سلبها منهم ليس أكثر. فقد اعتقد هؤلاء بأن العرب إنما يريدون بحروبهم الحصول على الغنائم، خصوصاً بعد أن علم موسى بن نصير -قائد الفتح في بلاد المغرب- عن طريق يوليان بفضائل وحسن ومنافع إسبانيا وضعف أهلها. ثم سرعان ما أن يخرجوا من إسبانيا بعد الإطاحة بالملك رذريق وجمع الغنائم. ولو اعتقد أو ظن هؤلاء القوم بأن غاية المسلمين من الفتح ليس الاستغلال وجمع الغنائم، وأنهم لن ينسحبوا من إسبانيا بعد دخولها وحكمها لما اتصلوا بهم. مما يعني أن أبناء غيطشة وأنصارهم وحاكم سبتة لم يكونوا قد ارتكبوا الخيانة العظمى بحق إسبانيا بل أرادوا باستعانتهم بالمسلمين إعادة حكمهم المسلوب. مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 15؛ المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 244/1؛ نعنعي، عبد المجيد، ***تاريخ الدولة الأموية في الأندلس***، 48.

[3] تقدم الرواية الإسلامية سببًا آخر لفتح إسبانيا والمتمثل بالاعتداء على ابنة الكونت يوليان فلورندا(**Florinda**) من قبل الملك رذريق، إذ بعثها أبوها إلى بلاد الملك بطليطلة على عادة النبلاء وحكام الولايات حتى يتربوا ويتأدبوا في كنف البلاط الملكي، إلا أنه يبدو أن إرسال الحكام لأبنائهم إلى البلاط الملكي ليس من أجل التأدب وإنما كرهائن لدى البلاط حتى لا يفكر آباؤهم بالثورة والإنقلاب على الملك. وقد أعجب رذريق بجمالها فاعتدى على شرفها، فكتبت إلى أبيها بذلك، فذهب إلى قصر رذريق وأخذ ابنته من هناك. وقد طلب رذريق منه أن يرسل له صقوراً للصيد، فرد عليه يوليان بقوله:"سأهديك صقوراً لم ترَ العين مثلها" ويقصد بذلك العرب. فاتصل بالمسلمين لفتح إسبانيا والإطاحة بالملك رذريق. إلا أن اتخاذ هذه الرواية سببًا لفتح الأندلس انتقاص لأهداف المسلمين العامة في فتوحاتهم وأهمها نشر الإسلام، كما أن فتح الأندلس هو فتح متواصل لفتح البلاد في إفريقية والمغرب. وفتح عظيم كفتح إسبانيا لا يكون سببه الانتقام لشرف امرأة لا علاقة للمسلمين بها ولا بقومها، بل سببه هو الجهاد لنشر دين الله، ذلك الفتح الذي لم يكتفِ بالأندلس، بل تعداه الى المحاولة لدخول بلاد الغال كعملية لفتح بلاد الفرنجة وحكمها بالإسلام. ووجود هذه الرواية في المؤلفات الإسلامية يرجع سببها إلى العقلية العربية ومدى اهتمامها بالشرف وقيمته والذي يستحق أن تزهق الأرواح من أجله، فالعقلية العربية تصدق مثل هذا السبب في فتح الأندلس.

المقري، أحمد، ***نفح الطيب***،243،244/1؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***،141/4؛ ابن القوطية، محمد، ***تاريخ افتتاح الأندلس***،34؛ مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***،16؛ الحميري، محمد، ***روض المعطار***،34؛ المراكشي، عبد الواحد، ***المعجب***،32؛ ابن عبد الحكم، عبد الرحمن، ***فتوح إفريقية والأندلس***، 72؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 267/4؛ النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 24/24.

وقد ذهب بعض المؤرخين المحدثين إلى حمل هذه الرواية. زيدان، جورجي، ***فتح الأندلس***،7؛ دوزي، رينهرت، ***المسلمون في الأندلس***، 43/1؛ عنان، محمد، ***دولة الإسلام في الأندلس***، العصر الأول (ق.1) 37؛ إبراهيم، حسن، ***تاريخ الإسلام***، 254/1؛ الجارم بك، علي، ***قصة العرب في إسبانيا***، 11،10.

وبالمقابل عارض العديد من المؤخين المحدثين تلك الرواية وردوها.العبادي،أحمد، ***في تاريخ المغرب والأندلس***،55؛ سالم، عبد العزيز، ***تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس***، 68؛ شلبي، عمر، ***أساطير الفتح الإسلامي في الأندلس***، مجلة جامعة الخليل للبحوث، مج3، ع1، 2007، 63-76.

لقد جاء هذا التحالف بمثابة عامل مساند للمسلمين في فتحهم لإسبانيا بعد فتحهم بلاد إفريقية والمغرب. وهذا ما يتفق والخطة الإسلامية المتمثلة في تأمين الثغور، وحمل رسالة الإسلام للعالم أجمع بالدعوة والجهاد. ففكرة فتح الأندلس كانت تجول في تفكير عقبة بن نافع[1]، إذ يروي ابن الأثير أنه عندما نزل عقبة أرض طنجة لقيه الكونت يوليان[2]، فأهدى لعقبة هدية حسنة، "ثم سأله عقبة عن إسبانيا _أي عن دخولها_ فعظم الأمر عليه"[3]. وفي رواية الرقيق القيرواني[4] والنويري[5] أن عقبة لقيه وسأله عن بحر الأندلس، فقال له: "إنه محفوظ لا يرام". ثم استمر عقبة في جهاده حتى غزا المغرب من أدناه إلى أقصاه حتى دخل بفرسه مياه المحيط الأطلسي قائلًا مقولته المشهورة: "يا ربِّ، لولا أن البحر منعني، لمضيت في البلاد إلى مسلك ذي القرنين، مدافعًا عن دينك، مقاتلًا من كفر بك"[6].

إلا أن الزحف نحو إسبانيا لم يتم آنذاك لعدم امتلاك المسلمين أسطولًا يجتازون به شبه الجزيرة الأيبيرية حتى تهيأت القوة في أيام موسى بن نصير. كما كان منشغلًا في إخماد ثورة البربر والروم

---

[1] عقبة بن نافع، بن عبد قيس، بن لقيط، بن عامر، الفهري، أمير المغرب، افتتح عامة بلاد البربر، وهو الذي اختط القيروان زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان. الصفدي، صلاح الدين خليل، ***الوافي بالوفيات***، 20/60؛ الطبري، محمد، ***تاريخ الرسل والملوك***، 240/5؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***. 320/3، 319؛ ابن الأثير، علي، ***أسد الغابة***، 4/ 58، 57.

[2] يرى المؤرخ عبد العزيز سالم أن يوليان الذي التقى بعقبة في طنجة كان حاكماً لسبتة وطنجة معاً آنذاك، وهذا ما أورده ابن الكردبوس إذ يقول: "وكان يليان صاحب سبتة وطنجة...". بينما يستبعد المؤرخ حسين مؤنس هذا الرأي، فيتسائل: هل يوليان هذا هو نفس يوليان صاحب طارق بعد ذلك بثلاثين سنة؟ فيرى أن ذكر العرب له يرجع إلى طريقتهم في تسمية الأعلام الأجنبية، فكل من وجد على القسطنطينية "هرقل"، وكل من وجد على مصر "مقوقس" وكل من وجد في إفريقية "جرجير"، وكذلك كل من أقام في طنجة أطلقوا عليه إسم "يوليان". ونرى في الرأي الثاني أنه يفتقد إلى الدليل ويتجاهل رأي ابن الكردبوس، فكلمة يوليان هي إسم شخص وليست صفة له، أما سؤاله فقد أجاب عليه في كتابه فجر الأندلس، وهو أن يوليان تولى ولاية مورطانية الطنجية (Mauretania Tingtana) وهو في سن صغير. سالم، عبد العزيز، ***تاريخ المغرب في العصر الإسلامي***، 178؛ ابن الكردبوس، عبد الملك، ***تاريخ الأندلس***، 43، 42؛ مؤنس، حسين، ***فتح العرب للمغرب***، 193.

[3] ***الكامل في التاريخ***. 451/3.

[4] ***تاريخ إفريقية والمغرب***، 43.

[5] ***نهاية الأرب***، 24/ 14.

[6] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 27/1؛ النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 15/24.

في إفريقية، فليس من الحكمة أن يخرج إلى إسبانيا والجبهة الداخلية منتفضة، وقد آلت إلى استشهاده أثناء قتاله زعيم بربر البرانس كُسَيلة[1] سنة 64هـ/682م[2].

وبهذا التحالف، شكلت سبتة قاعدة استراتيجية انطلقت منها القوة العسكرية الإسلامية نحو إسبانيا، كما كانت القاعدة التي تمد الجيش الإسلامي في إسبانيا بالإمدادات اللازمة من الجنود والعتاد والغذاء. وبدوره، أخبر طارق بن زياد أميره موسى بن نصير_ الذي كان مقيمًا في القيروان (تونس)_ بعرض يوليان عليه بغزو إسبانيا ومساعدته للمسلمين في دخولهم نحو إسبانيا، فكتب موسى إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك[3] بدمشق يستشيره بهذا العرض، فتردد الخليفة بقبوله، إذ خاف على المسلمين مغبة مخاطرة كهذه في بلاد غريبة عنهم، فكتب الوليد لموسى بقوله: "أن خضها بالسرايا حتى تختبر، ولا تُغَرِّر بالمسلمين في بحرٍ شديد الأهوال"[4]. فكتب إليه موسى موضحًا: "إنه ليس ببحر، وإنما هو خليج، يَصِف صِفَة ما خلفه ناظر"، فراسله الوليد بقوله: "وإن كان، فاختبره بالسرايا"[5]. إذ كانت القيادة العليا للمسلمين حريصة كل الحرص على سلامة المسلمين وأرواحهم، فلم تقدم على أي عمل عسكري، إلا بعد دراسة وافية متخذين كل الأسباب الموصلة إلى النصر المؤزر من التسليح وإعداد الخطط العسكرية اللازمة، ووضع الرجال الأفذاذ على قيادة الجيوش.

---

[1] كسيله بن كمرم، وقيل ابن بهرم، ويعرفه ابن خلدون بكسيله بن لمزم زعيم البرانس، وقد كان مرافقاً في جيش عقبة بن نافع في فتح بلاد المغرب، ويبدو أن عقبة أساء له وأهانه، مما جعل كسيله يضمر له وينتهز الفرصة للخروج عليه. وقد قتل سنة 67هـ/ 685م بمنطقة ممس -في نواحي القيروان- على يد جند حسان بن النعمان. ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 451/3؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 194/6،142؛ النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 16/24،15.

[2] الصفدي، صلاح الدين خليل، ***الوافي بالوفيات***، 20/60؛ مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***،14؛ ابن عبد الحكم، عبد الرحمن، ***فتوح إفريقية والأندلس***، 59؛ ابن أبي دينار، محمد، ***المؤنس***، 29.

[3] أبو العباس، الوليد بن عبد الملك، بن مروان، بن الحكم، بن أبي العاص، بن أمية، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه عبد الملك عام 86هـ/705م، توفي عام 96هـ/ 716م. الذهبي، محمد، ***سير أعلام النبلاء***، 348/4،347؛ ابن العماد، عبد الحي، ***شذرات الذهب***، 388/1؛ ابن كثير،إسماعيل، ***البداية والنهاية***، 402/12، 610؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 291/4.

[4] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***،5/2؛ مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 16

[5] مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***،16؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 267/4

(ثانياً) الفتح الإسلامي لإسبانيا

- التجهيزات العسكرية لفتح إسبانيا

إن مشروع الفتح هذا لم يكن وليد لحظة، أي: لم يكن نتيجة طلب يوليان أو أبناء غيطشة ذلك من موسى بن نصير، وإنما هو مشروع استراتيجي للدولة الإسلامية، ولموسى بن نصير ومن سبقه من قادة الفتح في شمال إفريقية، فعقبة بن نافع أراد ذلك عندما وصل المحيط الأطلسي، لكن عدم امتلاكه الأسطول منعه من اجتياز المضيق[1]. وعندما امتلك المسلمون الأسطول أيام حسان بن النعمان وموسى بن نصير، بدأ يتبلور هذا المشروع في أذهانهم، فالعمليات العسكرية التي قام بها موسى بن نصير في جزر البحر الأبيض المتوسط كجزر البليار وسردينية كانت تهدف إلى إضعاف النفوذ البيزنطي وابعاده عن سواحل شمال إفريقية؛ ليتسنى له فتح إسبانيا بدون عوائق. كذلك استثمر موسى الطاقة الكبيرة لدى البربر الذين دخلوا في الإسلام _كما أشرنا سابقًا[2]_. وهذا ما يُفسر أن الجيش الأول الفاتح لإسبانيا كان من البربر.

ومع بداية فتح المغرب الأقصى وافتتاح طارق تلك المناطق، أرسل إلى موسى أنه أصاب ستًا من السفن، فرد عليه موسى أن أتممها سبعا، ثم سيّرها إلى شاطىء البحر واستعد لشحنها[3]. كما تشير الأحداث التاريخية إلى وجود نية لدى موسى بن نصير عندما ولي إمارة إفريقية مطلع 79هـ/698م بفتح إسبانيا بعد السيطرة على بلاد المغرب، ويظهر ذلك من خلال اعتنائه بتوسيع دار الصناعة في تونس، للسيطرة على جزر الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط كجزر: البليار، وسردانية، وصقلية، إذ شكلت تلك المناطق _ ذات النفوذ البيزنطي_ خطًا دفاعيًا في مواجهة الزحف الإسلامي عبر الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط تجاه شمال إفريقية

---

[1] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 27.26/1.؛ النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 15/24.
[2] ينظر صفحة 11.
[3] ابن قتيبة، عبد الله، ***الإمامة والسياسة***، 85/2.

وشواطىء إسبانيا بالتنسيق مع القيادة البحرية العليا في صقلية _ التي لا يفصلها عن إيطاليا إلا مضيق مسينة[1]_ التي كان يحكمها القائد العام للبحرية البيزنطية في الغرب[2]. وقد كان لهذه المناطق جيش خاص بها أواخر القرن السابع الميلادي، وأسطول بحري[3] لمواجهة الحملات الإسلامية التي أخذت باكتساح سواحل شمال إفريقية، وقد انضم أسطول القوط إلى أسطولها في مراقبة سواحل إفريقية وحماية الجزر في غرب حوض البحر الأبيض المتوسط[4].

لذا، أدرك ابن نصير الخطر الذي تشكله تلك الجزر _ذات الحكم البيزنطي_ على استقرار دعائم الحكم الإسلامي في بلاد المغرب، وما تمثله من عوائق تقف، عثرة أمام تحقيق الفتح للمغرب وإسبانيا. ومن هنا، جاءت فكرة فتح تلك الجزر والعناية بتطوير دار الصناعة؛ لصناعة السفن التي أصبح يمتلك منها الكثير[5] بعد أن ساهم البربر بتزويد تلك الدار بالأخشاب الجيدة الملائمة لصناعة السفن وتجهيزاتها[6]. فشدّ موسى بن نصير على خناق الروم بغارات بحرية عديدة على جزر: البليار، وسردانية، وصقلية[7]. وقد جرى كل ذلك قبل أن يأتي الكونت يوليان _حاكم سبتة_ ويطلب المساعدة من المسلمين لغزو إسبانيا. لهذا نقول: إن طلب يوليان توافق مع ما كان يخطط له المسلمون، فاستثمروا ذلك لمصلحتهم.

---

[1] ويسميه الحموي بمجاز الفارو، وسمي مضيق المسينة حالياً نسبة إلى بليدة تقع على ساحل المضيق تجاه إيطاليا تسمى مسينة أو مَسِّيني. الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 131/5، 130، 416/3؛ أحمد، عزيز، ***تاريخ صقلية الإسلامية***، 8.

[2] لويس، أرشيبالد، ***القوى البحرية والتجارية***، 141، 114، 113.

[3] نفسه، 150.

[4] علي، سيد أمير، ***مختصر تاريخ العرب***، 111.

[5] المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 214/2.

[6] البكري، عبد الله، ***المغرب***، 39، 38؛ سالم، عبد العزيز، ***البحرية الإسلامية***، 34، 31.

[7] للوقوف على تلك الحملات، ينظر: البكري، عبد الله، ***المغرب***، 45؛ ابن قتيبة، عبد الله، ***الإمامة والسياسة***، 55/2-58؛ سيسالم، عصام سالم، ***جزر الأندلس المنسية***، 50-53.

ومن جهة أخرى، فإن استقرار المسلمين فيما فتحوه من بلاد شمال إفريقية يعد منقوصًا إذا لم يتم تأمين ذلك بفتح إسبانيا، أو _على الأقل_ المناطق الجنوبية والشرقية من إسبانيا لما تشكله هذه الجهات من خطر على الوجود الإسلامي في شمال إفريقية من البيزنطيين والقوط. فاعتزم موسى ابن نصير على فتح إسبانيا، بعد أن استشار الخليفة الوليد بن عبد الملك.

لقد أرسل موسى إلى الكونت يوليان برسالة ليتثبت مدى صدق دعوة الكونت، طالبًا منه بمنابذة أهل ملته من نصارى إسبانيا، فقال: "إننا لا نشك في قولك ولا نرتاب، غير أنَّا نخاف على المسلمين من بلاد لا يعرفونها، وبيننا وبينها البحر، وبينك وبين ملكك حمية الجاهلية، واتفاق الدين، فجز إليه بنفسك وشن الغارة على بلاده، واقطع ما بينك وبينه، وإذ ذاك تطيب النفس عليك ونحن من ورائك إن شاء الله". فحشد الكونت جنده وغار على الساحل الجنوبي، فقتل، وسبى، وغنم من القوطيين الشيء الكثير[1].

إلا أن موسى بن نصير لم يكتفِ بتلك الغارة؛ لخوفه على جنده في دخولهم تلك البلاد الغريبة، فقام بتجهيز فرقةٍ من الجند بقيادة ضابطه، طريف بن مالك المكنى بـ"أبي زرعة"، فانطلق من سبتة عابرًا

المضيق في مائة فارس وأربعمائة من المشاة، بعد أن أعد موسى بن نصير السفن اللازمة لفتح إسبانيا[2]، وذلك في رمضان من سنة 91هـ/710م[1].

---

[1] ابن الكردبوس، عبد الملك، ***تاريخ الأندلس***، 45.

[2] يذكر ابن عذاري أن المراكب التي نقلت المسلمين من العدوة المغربية للإسبانية -في غارة طريف وأثناء دخول طارق لإسبانيا- كانت تابعة لتجار من الروم تختلف إلى إسبانيا، ويذكر المقري، وابن عبد الحكم، وصاحب أخبار مجموعة أن المراكب كانت تابعة للكونت يوليان، وأنه هو من تولى عملية النقل في كلتا الحالتين. ونرى أن كلاً من الروايتين لا يتفق مع سياسة الدولة الأموية عموماً وسياسة الخليفة الوليد على وجه الخصوص. فقد تميزت تلك السياسة على التخطيط واتخاذ التدابير اللازمة كبناء القواعد، والأساطيل، وإرسال السرايا كل ذلك حرصاً على أرواح الجند وتحقيق الفتح. وفتح كفتح شبه الجزيرة الأيبيرية يحتاج إلى تجهيز على مستوى ذلك الفتح، فنقل آلاف الجند بعتادهم لفتح إسبانيا يحتاج إلى عشرات المراكب، وليس إلى أربعة مراكب، ولا يمكن أن يركن موسى وخليفته الوليد إلى شخص أجنبي ليتولى عملية النقل فيضعا أرواح المسلمين في يده. فقد بذل المسلمون جهدهم لتكوين دار صناعة (ترسانة بحرية) وأسطول بحري في الشمال الإفريقي ابتدأه حسان بن النعمان في تونس بأمرٍ من الخليفة عبد الملك بن مروان، وواصل موسى بن نصير تكوين الأسطول فقد أخذ

مما يدل على أن فتح إسبانيا كان مبنيًا على خطة محكمة وليس على مغامرة طائشة. وقد نزل المسلمون في جزيرة صغيرة تسمى بالوماس (Palomas) التي سميت فيما بعد باسم جزيرة طريف[2]، وقد قام أبناء غيطشة وقوة أرسلها يوليان بحراسة المعبر حتى نزل المسلمون الأرض الأيبيرية، فأغاروا على المناطق التي تليها الجزيرة الخضراء[3]، ثم عاد إلى ساحل إفريقية حاملًا الكثير من الغنائم[4]. وبهذه الغارة، تأكد موسى بن نصير من مدى قصور وسائل الدفاع في إسبانيا فشجعه ذلك على التقدم لفتح إسبانيا فاختار طارق بن زياد؛ ليتولى مهمة الفتح.

وفي شهر رجب من سنة 92هـ/711م، انطلق طارق بن زياد _ومعه جيش مكون من سبعة آلاف مقاتل[5]_ إلى عبور المضيق، ونجحت عملية العبور، وسيطروا على جبل قلب بكامله، بعد القضاء على حُماته، فقد "وجد بعض الروم وقوفًا في موضع وطيء كان عزم على النزول فيه إلى البر فمنعوه منه، فعدل عنه ليلًا إلى موضع وعر، فوطأه بالمجاذف وبراذع الدواب، ونزل منه في البر وهم لا يعلمون، فشن غارة عليهم وأوقع بهم وغنمهم"[6]. فقد كان هؤلاء مكلفين بمهمة حراسة

في عمل السفن حتى صار عنده منها عدة كثير. ويصف لنا صاحب أخبار مجموعة عملية النقل بين العدوتين التي تبين لنا حركة النقل المتواصلة في الذهاب والإياب، فقد كانت السفن تختلف بين العدوتين حاملة معها الرجال والخيل، مما يدلل على أن السفن كانت أكثر من أربع، كيف لا وقد سيطر المسلمون أثناء فتحهم لطنجة على ست سفن. وما نفهمه من تلك الروايات أن الكونت يوليان لم يكن بعيداً عن مساندة المسلمين أثناء دخولهم لإسبانيا. ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 6/2؛ المقري، أحمد، ***نفح الطيب***،246/1؛ ابن عبد الحكم، عبد الرحمن، ***فتوح إفريقية والأندلس***، 73؛ مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***،17،16 ؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***المقدمة***، 312؛ المقريزي، أحمد، ***الخطط***، 8/3.

[1] النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 24/24؛ ابن أبي دينار، محمد، ***المؤنس***، 34.

[2] جزيرة على البحر الشامي، تقع في آخر مجاز الزقاق، وهي مدينة صغيرة، تبعد عن الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلاً. الحميري، محمد، ***روض المعطار***، 35؛ الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، 539/2.

[3] الجزيرة الخضراء (Algecriras): تقع شرقي شذونة، وتعرف بجزيرة أم حكيم على إسم جارية لطارق كان قد حملها معه عند فتح إسبانيا، ثم تركها في هذه الجزيرة فسميت الجزيرة باسمها، وهي من أعمال كورة شذونة. وتعتبر الموضع الذي تتجمع فيه الجيوش الإسلامية الداخلة إلى الأندلس القادمة من العدوة المغربية، وذلك لقربها على العدوة وموقعها الجغرافي المتميز. الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 136/2؛ الحميري، محمد، ***روض المعطار***، 223؛ أبو مصطفى، كمال السيد، ***بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس***، 121.

[4] المقري، أحمد، ***نفح الطيب***،245/1؛ الحميري، محمد، ***روض المعطار***، 35؛ مؤلف مجهول، ***ذكر بلاد الأندلس***،98/1.

[5] كان جل جيشه من البربر والموالي، فلم يبقَ مع طارق إلا القليل من العرب الذين كانت مهمتهم نشر تعاليم القرآن والفقه لسكان البربر. المقري، أحمد، ***نفح الطيب***،246/1؛ السلاوي، أحمد، ***الاستقصا***، 152/1؛ ابن خلكان، أحمد، ***وفيات الأعيان***، 320/5.ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 264/4؛ مؤلف مجهول، ***ذكر بلاد الأندلس***،97/1.

[6] ابن الكردبوس، عبد الملك، ***تاريخ الأندلس***، 12.

الشواطىء، ومراقبة كل التحركات في الجنوب الإسباني، إذ كان الجبل يشكل خطًا أمنيًا من الجهة الجنوبية لإسبانيا، خصوصًا وأن الأوضاع الداخلية كانت متخلخلة وضعيفة[1].

كما كان القوطيون يتوقعون الأخطار من هذه المنطقة الحدودية الإستراتيجية، فالعمليات العسكرية في شمال إفريقية كانت تنذر بالخطر على إسبانيا، خاصة بعد أن وصل المسلمون المغرب الأقصى، وهنا نجد الملك غيطشة كان يدعم الكونت يوليان _سابقًا_ بالعتاد والجند للصمود أمام المسلمين، أثناء عملياتهم العسكرية في المغرب الأقصى[2]؛ لأن سقوط سبتة بيد المسلمين معناه انتقالهم إلى غزو إسبانيا. لهذا السبب اهتم القوطيون بحماية الجبل والدفاع عنه لما يشكله من خط دفاعٍ ثانٍ بعد سبتة.

كما يدل النص السابق على وجود تخطيط دقيق ومسبق لكيفية العبور والدخول نحو إسبانيا فلم يكن عملًا ارتجاليا، إذ عدل طارق عن الخطة المتفق عليها مع قائده موسى بن نصير، ونزل الجبل ليلًا بموضع آخر وعر؛ ليتجنب القوة القوطية التي تحرس المكان الذي كان قد عزم على النزول فيه، ثم قام بالالتفاف على هذه القوة ومباغتتها والقضاء عليها.

ولمزيد من الحماية لجنده، أحاطهم بسور أطلق عليه اسم "سور العرب"، كما أقام طارقٌ قاعدة عسكرية بجوار الجبل على الساحل؛ لحماية جيشه أثناء التراجع أو الهزيمة، وذلك في الجزيرة الخضراء، ومرسى يصل بينه وبين سبتة على الساحل المغربي[3].

---

[1] رمضان، عبد المحسن طه، ***الحروب الصليبية في الأندلس***، 153،152.

[2] مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 15؛ المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 242/1.

[3] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 9/2؛ مؤلف مجهول، ***ذكر بلاد الأندلس***، 98/1.

لقد كان الملك رذريق أثناء نزول طارق بجنوب إسبانيا وفرض سيطرته عليه مشغولًا في إخماد ثورة البشكنس، سكان نافارا في شمال إسبانيا[1]، فحاول أن يوقف هذا الزحف بجيشٍ تحت قيادة ابن أخت له يسمى بنج(Banj) أو بنشو(Bancho)، وقد اقتتل الطرفان في الجزيرة الخضراء. وقد أسفرت المعركة عن "قتل بنج، وهزم عسكره؛ فقوى المسلمون، وركب الرجَّالة الخيل، وانتشروا بناحيتهم التي جازوا بها"[2].

عندها، جمع رذريق جميع عساكره وأهل مملكته _قُدر تعدادهم مئة ألف[3]، وقيل: سبعون ألفا[4] وقيل: خمسون ألفا[5]، وفي رواية: أربعون ألفا[6]_، واتجهوا جميعهم صوب طارق وجيشه. وعندما علم طارق _من خلال عيونه التي بثها_ بضخامة الحشد، أرسل إلى أميره موسى برسالة يطلب فيها المساندة، قائلاً له: "إن الأمم قد تداعت علينا من كل ناحية، فالغوث الغوث"[7]. فأرسل له موسى خمسة آلاف جندي[8]، فبلغ عدد جيشه اثني عشر ألف جندي، عشرة آلاف منهم من البربر، والباقي من العرب والسودان[9]. وهذا الحشد الضخم من البربر يدلل على صدق إيمانهم ومدى استعدادهم للتضحية من أجل الإسلام، لذلك تحمسوا للجهاد في سبيل الله في خارج بلادهم.

---

[1] مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***،17.

[2] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 8/2.

[3] مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***،17؛ المقري، ***نفح الطيب***،1/ 248؛ وجدي، محمد فريد، ***دائرة معارف القرن العشرين***، 657/1.

[4] ابن قتيبة، عبد الله، ***الإمامة والسياسة***، 87/2.

[5] ابن عبد الحكم، عبد الرحمن، ***فتوح إفريقية والأندلس***، 19.

[6] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 141/4؛ البستاني، بطرس، ***دائرة المعارف***، 472/4. ونميل لهذا التقدير، إذ ليس من السهل على دولة منهكة بالحروب الداخلية خلال السنوات السابقة، كما أن طاقاتها مبعثرة، وجبهاتها الداخلية متصارعة. وعلى كل الأحوال فإن جيش القوطيين كان أضخم وأكبر من الجيش الإسلامي مما جعل طارق بن زياد يطلب المدد من أميره موسى القائم بالعدوة المغربية. رمضان، عبد المحسن طه، ***الحروب الصليبية في الأندلس***، 155،156.

[7] ابن قتيبة، عبد الله، ***الإمامة والسياسة***، 88/2.

[8] وكان موسى بن نصير قد أعد السفن اللازمة؛ لإتمام عملية الفتح حتى صارت عنده سفن كثيرة، فحمل إليه خمسة آلاف مقاتل. مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***،17.

[9] مؤلف مجهول، ***ذكر بلاد الأندلس***،98/1؛ السلاوي، أحمد، ***الاستقصا***، 153/1.

التقى الجيشان في الثامن والعشرين من رمضان سنة 92هـ/711م؛ واقتتلا على ضفاف نهر وادي لكُّه _بمقاطعة شذونة بجنوب غربي إسبانيا[1]_ لمدة ثمانية أيام، اقتتل فيها الطرفان قتالًا شديدًا حتى ظنوا أنه الفناء، ثم أنزل الله نصره؛ فَسُحِقَ رذريق وجيشه سحقا[2]. وفي أثناء ذلك، كان كان جيش طارق قد ازداد لوفود المسلمين إليه من أهل العدوة المغربية[3]. كما لم تنقطع الاتصالات بين العدوتين، فعندما علم يوليان بانتصار طارق على رذريق، نصحه بتفريق جيشه في جهات البلاد وبالذهاب إلى طليطلة[4]، فقال له: "قد فضضت جيوش القوم ورعبوا، فأصمد لبيضتهم[5]، وهؤلاء أدلاء_أي مرشدون_ من أصحابي مهرة، ففرق جيوشك معهم في جهات البلاد، البلاد، وأعمد أنت إلى طليطلة حيث معظمهم، فاشغل القوم عن النظر في أمرهم والاجتماع إلى أولى رأيهم"[6].

ويذهب صاحب أخبار مجموعة إلى أن هذا الاتصال كان مباشرًا، فيقول: "وأقبل يوليان إلى طارق..."[7].

وسواء كانت هذه النصيحة قد تمت بالاتصال المباشر أو عبر الذين وفدوا من العدوة المغربية نحو الأندلس[8]، فإن هذا يدل على مدى تأثير التقارب وسهولة التواصل بين العدوتين[9].

---

1 ينظر: ملحق الخرائط، الشكل 4، 144.

2 ابن عبد الحكم، عبد الرحمن، ***فتوح إفريقية والأندلس***، 77؛ مؤلف مجهول، ***ذكر بلاد الأندلس***، 98/1؛ ابن أبي دينار، محمد، ***المؤنس***، 34؛ الخطيب، لسان الدين، ***الإحاطة*** ، 100/1.

3 سالم، عبد العزيز، ***تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس***، 82.

4 من أعمال الأندلس، وهي على غربي ثغر الروم. الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 39/4.

5 صَمَدَ لبيضتهم: قَصَدَها. وفلان بيضة البلد: إذا عُرِف بالسيادة، أي رئيس البلد. الفيروز آبادي،محمد، ***المحيط***، مادة (أبياض). (أبياض).

6 المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 251/1؛ الخطيب، لسان الدين، ***الإحاطة***، 100/1.

7 ***أخبار مجموعة***، 19.

8 ينظر: ملحق الخرائط، الشكل 4، 144.

9 لقد أخذ طارق بنصيحة الكونت يوليان، فأرسل سبعمائة فارس بقيادة مغيث الرومي نحو قرطبة، وجيشاً إلى مالقة، وآخر إلى إلى غرناطة، وصار هو نحو كورة جيان يريد طليطلة. المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 251/1؛ مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 19،20؛ الخطيب، لسان الدين، ***الإحاطة*** ، 101/1.

ثم عبر موسى بن نصير المضيق من سبتة في رمضان من السنة التالية 93هـ/712م بوجوه العرب والموالي وعرفاء البربر[1]، كان مقدارهم ثمانية عشر ألف جندي[2]، جلهم من العرب بعصبياتهم اليمنية والقيسية، وقد عرفت هذه القوة بـ"طالعة موسى"[3]. وتابع القائدان فتوحاتهما في أرجاء الأندلس من جنوبها إلى شمالها، ومن غربها إلى شرقها؛ ليصلوا حدود فرنسا الجنوبية، التي حاول المسلمون بقيادة عبد الرحمن الغافقي[4] أن يدخلوها لولا هزيمتهم في معركة "بلاط الشهداء" أو "تور بواتيه" (Tours Poitiers) سنة 114هـ/732م، ليتوقف الزحف الإسلامي تجاه القارة الأوروبية، والوصول إلى القسطنطينية[5].

- **رغبة البربر في الهجرة إلى الأندلس**

لقد كان نشاط البربر نحو الأندلس بعد فتحها كثيفًا وسريعًا لمعرفتهم بما حبى الله البلاد من خيرات عظيمة دونتها لنا المصادر التاريخية الأندلسية. فقد أشارت تلك المصادر إلى الغنائم الهائلة التي غنمها المسلمون الفاتحون أثناء فتح طارق للأندلس من الذهب، والفضة، والياقوت والسبي والنحاس، والرصاص، والحديد، والتيجان، والأواني المذهبة منها والفضية، وأصناف الحجارة الثمينة... حتى قيل: إذا نظر أحدهم إلى حافر دابته وجد مسماراً من الذهب، أو الفضة، أو حصبات الجوهر معلق به[6].

---

1 ابن عبد الحكم، عبد الرحمن، ***فتوح إفريقية والأندلس***، 76.

2 ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 43/1؛ مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 24؛ مؤلف مجهول، ***ذكر بلاد الأندلس***، 99/1؛ المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 259/1؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 141/4.

3 العبادي، أحمد، ***في تاريخ المغرب والأندلس***، 74؛ كولان، ***الأندلس***، 110؛ طه، عبد الواحد، ***الفتح والاستقرار العربي الإسلامي***، 158؛ سالم، عبد العزيز، ***تاريخ المغرب في العصر الإسلامي***، 191؛ مؤنس، حسين، ***فجر الأندلس***، 151.

4 عبد الرحمن بن عبد الله، بن بشر، بن الصارم، الغافقي، يكنى بأبي سعيد، تولى إمارة الأندلس سنة 112هـ/730م. وقد استشهد في معركة بلاط الشهداء. الزركلي، خير الدين، ***الأعلام***، 312/3.

5 يروي الذهبي أنه لما تمادى موسى بن نصير في سيره نحو الأندلس، أتى أرضاً تميدُ بأهلها، فقال عسكره: إلى أين تريد أن تذهب بنا؟ حسبنا ما بأيدينا؛ فقال: "لو أطعتموني لوصلت إلى القسطنطينية". ***سير أعلام النبلاء***، 498/4.

6 ينظر: ابن قتيبة، عبد الله، ***الإمامة والسياسة***، 89/2،88؛ الرشاطي، عبد الله، وآخرون، ***اقتباس الأنوار***، 19؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 43/1؛ النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 28/24؛ الحميري،محمد، ***الروض المعطار***، 393؛ المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 277/1؛ ابن أبي دينار، محمد، ***المؤنس***، 34؛ مؤلف مجهول، ***ذكر بلاد الأندلس***،1/ 100؛ مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 24.

والإشارات الدالة على معرفة هؤلاء بما تتمتع به الأندلس من خيرات عديدة:

أ- الهجرات المتبادلة بين العدوتين المتواصلة الدائبة، فالمغرب والأندلس يؤلفان وحدة جغرافية وتاريخية لا يفصلهما إلا مضيق جبل طارق[1].

ب- كما أن الكونت يوليان قد أعلم طارقًا _منذ اتصاله به وعرضه عليه الدخول على الأندلس_ بخيرات البلاد لإغراء المسلمين، إذ اعتقد يوليان وأبناء غيطشة أنه متى امتلأت أيدي المسلمين من الغنيمة عادوا إلى بلادهم، ورجع الملك لهم[2].

ت- علم البربر بغنى البلاد عندما أعلمهم طريف بن مالك بسعة البلاد، وكثرة نعمها وخيراتها[3]. ويتبلور لنا مدى معرفة هؤلاء الناس بخيرات الأندلس _آنذاك_ بالخطبة المنسوبة إلى طارق[4] لجنده قبل الالتحام بجيش رذريق في المعركة الفاصلة، إذ يقول لهم: "... فلا

ونسأل إذا كانت إسبانيا بهذا الوصف من الذهب والمعادن الغالية بحيث كانت تعلق في حوافر الدواب لكثرتها، فلماذا كان رذريق يفرض الضرائب على شعبه ويرهقهم بها، مع هذا الغنى والخيرات الكبيرة للأرض الإسبانية؟ ولماذا نرى المجتمع الإسباني يكاد تنعدم فيه الطبقة الوسطى من مجتمع بحيث لا يوجد إلا طبقتان: الأولى هم الحكام والمتنفذون، والثانية طبقة المجتمع المعدومة، فلو كانت إسبانيا على نصف ذلك الوصف لما كان المجتمع بذلك التقسيم أو بتلك الأوضاع البائسة؟! وبالرغم من المبالغة في ذلك الوصف، فإنه يدلل على مدى عظم خيرات وثروات البلاد المعدنية.

1 سالم، عبد العزيز، ***تاريخ المغرب في العصر الإسلامي***، 186.

2 النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 25/24؛ مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 15؛ المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 244/1؛ نعنعي، عبد المجيد، ***تاريخ الدولة الأموية في الأندلس***، 48.

3 مؤلف مجهول، ***ذكر بلاد الأندلس***،1/ 98؛ مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 17.

4 على الرغم من عدم قناعتنا من انتساب تلك الخطبة لطارق بن زياد؛ لعدم فصاحته وبلاغته بوصفه أنه بربري، وأنه من غير المعقول أن يخطب طارق مثل تلك الخطبة بمعانيها السامية وتعبيراتها الأدبية الرفيعة ببربريته لتحميس جنده البربر على القتال، فهم لا يعون مثل ذلك الخطاب، إذ إنهم حديثو عهد بالإسلام وباللغة العربية، فلو نسب ذلك القول إلى موسى بن نصير لكان الأمر أقرب إلى التصديق. كما افتقرت الخطبة لأهم قضية ألا وهي: الآيات والأحاديث التي تتعلق بفرضية الجهاد والحياة الآخرة، كما أن مصطلح "بنات اليونان" هو مصطلح متأخر، إذ كان يطلق على هؤلاء القوم اسم "بني الأصفر" أو "العجم" ومما يدلل على عدم انتسابها لطارق أن هذه الرواية أول ما ذكرت في وفيات الأعيان لابن خلكان، وهو إنسان شرقي، ثم انتقلت الرواية إلى المغرب وإسبانيا، ثم جاء بالخطبة أن الوليد هو الذي اختار الجند مع أن الذي اختارهم هو موسى بن نصير فمن كتب الخطبة لا يدري بأن موسى هو المفوض عن الخليفة في ذلك، فلو كان طارق من تكلم حقاً بهذه الكلمة لنسب اختيار الجند لموسى وليس للخليفة الوليد. ومع ذلك كله، فإن مدلول الخطبة ينم عن إدراك القوم آنذاك بما تحتويه بلاد الأندلس من خيرات بالإضافة إلى ما أشرنا إليه في معرفة هؤلاء البربر بما تمتلكه أرض الأندلس من نعيم.

وفي هذا السياق فإن بعض المصادر التاريخية قد تناولت مسألة حرق طارق بن زياد للسفن التي حملت جيشه إلى العدوة الإسبانية، وهي قصة أسطورية ليست حقيقية للأسباب التي ذكرتها تلك المصادر منها: أن حرق المراكب يرجع إلى عدم ثقة طارق بالعنصر العربي في الجيش، مع أن المقري والإدريسي وغيرهما يذكرون أن عددهم –العرب- لم يكن إلا شيئًا يسيرا فالعرب لم يكونوا عماد جيش طارق حتى يقوم بحرق السفن، كما كانت السفن الوسيلة الوحيدة لنجاة المسلمين فيما لو خسروا معركتهم مع القوط، ولو فعل ذلك لكان تثبيطًا للجند من حلم الرجوع في حالة الهزيمة، وغباءً وتهلكة لطارق وجنده، كما أن ذلك الحرق يعد مخالفًا للسياسة العسكرية العامة التي وضعها القادة العسكريون من تجهيز الأسطول، وإمداد الجيش بالمؤن

ترغبوا بأنفسكم عن نفسي، فما حظكم فيه بأوفى من حظي، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان، من بنات اليونان، الرافلات في الدر والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان... وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه –أي الخليفة الوليد بن عبد الملك_ ومن دون المؤمنين..."[1].

وعلمهم بما تتميز به بلاد الأندلس من مناخ معتدل، وخضرة وافرة[2]، وأنهار تشق البلاد من شمالها إلى جنوبها[3]، وبالمقابل كانت بلاد المغرب بلادًا صحراوية تفتقر إلى تلك الثروة والخيرات. لذلك، هرعوا نحو الأندلس بغية التماس الغنائم، والاستقرار في هذه البلاد الغنية[4].

ث- ازدادت هجرة بربر المغرب للأندلس بشكل أسرع وأشد من هجرة العرب[5]؛ لشعورهم بالفضل الذي قدمه أبناؤهم في الفتح، وأخذوا يبحثون عن مواطن خضراء تعينهم على العيش بدلًا من بلاد الصحراء، فعندما "تسامع الناس من أهل بر العدوة بالفتح، على يد طارق وسعة المغانم فيها، أقبلوا نحوه من كل وجه، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب

اللازمة لعملية الفتح لأرض إسبانيا، وتذكر بعض المصادر أن تلك السفن كانت تابعة للكونت يوليان –حاكم سبتة- أو تابعة لتجار من الروم، فكيف يحرق ما لا يملك إذا صحت تلك الأقاويل؟!.

ابن الكردبوس، عبد الملك، ***تاريخ الأندلس***، 46؛ الإدريسي، محمد، ***نزهة المشتاق***، 540/1؛ الحميري، محمد، ***روض المعطار***،224؛ المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 221/1؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 6/1؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، 6-7؛ السلاوي، أحمد، ***الاستقصا***، 152/1؛ ابن خلكان، أحمد، ***وفيات الأعيان***، 320/5.ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 264/4؛ مؤلف مجهول، ***ذكر بلاد الأندلس***،97/1؛ شلبي، عمر، ***أساطير الفتح الإسلامي في الأندلس***، مجلة جامعة الخليل للبحوث، مج3، ع1، 2007، 65-68؛ بوفلاقة، سعد، ***خطبة طارق بن زياد بين الشك واليقين***، مجلة الذخائر، ع16،15، 2003، 48-62. للاطلاع على تلك الخطبة، ينظر: ملحق رقم 2، 148.

[1] المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 232/1؛ ابن خلكان، أحمد، ***وفيات الأعيان***، 5/ 322؛ ابن الكردبوس، عبد الملك، ***تاريخ الأندلس***، 47؛ ابن قتيبة، عبد الله، ***الإمامة والسياسة***، 87/2.

[2] فقد اشتهرت الأندلس بالقطن، وقصب السكر، والحنطة، والزيتون، والعنب، والتين، والحرير، والصوف، بالإضافة إلى أصناف المعادن التي ذكرناها سابقاً في التمهيد. البستاني، بطرس، ***دائرة المعارف***، 472/4.

[3] ومن أشهر تلك الأنهار نهر الوادي الكبير، وله العديد من الأسماء منها: نهر الأعظم، ونهر قرطبة، ونهر بيطي (Beatis) يبلغ طوله 310 ميلاً، وهو نهر بايتيكا أخصب جزء في شبه الجزيرة، ويروي قرطبة وإشبيلية، وأهم روافده وادي سنجيل الذي ينساب مخترقاً غرناطة ولوشة وإستجة، ووادي شوش والوادي الأحمر ووادي بلون. ومن تلك الأنهار نهر وادي آنة وطوله 320ميلا، ونهر منيو الذي يخترق جليقية من الشرق إلى الغرب وطوله 300ميل. مجموعة باحثين، ***دائرة المعارف الإسلامية***، 1315/5.

[4] سالم، عبد العزيز، ***تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس***، 122.

[5] العبادي، أحمد، ***صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس*** 58.

وقشر، فلحقوا بطارق"[1]، فلو كانت حياة هؤلاء عكس ذلك لما انطلقوا نحو الأندلس، تاركين أراضيهم وأعمالهم. فكان لسهولة التواصل وقربه بين العدوتين الأثر البالغ في تشكيل تاريخ المنطقتين، فبعد فتح الأندلس شكلت عمليات التنقل والانتشار نحوها إلى حدوث أزمات سياسية وعسكرية فيها، دارت بين العرب والبربر فيما بعد.

مما سبق، يتبين أن المغرب كان القاعدة العسكرية الرئيسة للانطلاق منها لفتح إسبانيا، فعلى سواحل المغرب صنعت السفن العسكرية، وتم حشدها على سواحل مدينة سبتة، وشحنها بالرجال والخيل والعتاد، كما كان أهل المغرب هم طليعة الجيش الفاتح الأول وذلك بعد غرس الإسلام في نفوسهم وحب الجهاد والتضحية في سبيل الله. وعلى أرض المغرب تم وضع الخطط العسكرية اللازمة لإجتياز المعركة الرئيسة، والعبور إلى إسبانيا عبر المضيق. كما تمت التحالفات السياسية والعسكرية بين موسى بن نصير وحاكم سبتة، يوليان من أجل فتح إسبانيا. لهذا يمكن القول: إن المغرب شكل القاعدة العسكرية والسياسية لفتح إسبانيا عبر المضيق.

(ثالثاً) الصراع العربي البربري في المغرب، وأثره في الأندلس في عصر الولاة (91_138هـ/ 711_756م)

لقد كانت سياسة الدولة الأموية القائمة على سيادة الجنس العربي، وتفضيله على الأجناس الأخرى كالفرس والروم، والقبط والبربر، أن أذكت العداء في نفوس سكان البلاد المفتوحة في منطقة المغرب على العرب _رغم دخولهم في الإسلام_، إذ لاقى سكان المغرب من بعض ولاة بني أمية الذين تحكمت بهم عقدة التعالي والغرور والرغبة في الهيمنة، لاقوا معاملة السيد للمسود[2]، فتشكل

[1] المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 163/1.
[2] نعنعي، عبد المجيد، ***تاريخ الدولة الأموية في الأندلس***، 108.

من جراء تلك السياسة طبقتان، أولها: أرستقراطية، وهم العرب الحاكمون، وثانيها: طبقة مستضعفة من أهل الأمصار المفتوحة الذين حرموا من أعمال الحكم والسيادة في المجتمع[1]. وسنذكر أبرز الولاة والعمال الذين لعبوا دورًا في تأجيج الصراع بين العرب والبربر لسوء رعايتهم بهم.

- **حكم الولاة الأمويين**

نشب الصراع بين العنصرين: العربي، والبربري أثناء ولاية يزيد بن أبي مسلم[2] على إفريقية سنة 102هـ/720م، أيام حكم الخليفة يزيد بن عبد الملك (101–105هـ/719–723م)[3]، فقد كان الوالي عنيفًا وشديدًا في تعامله مع البربر لعصبيته للعرب، فصادر أموالهم، وسبى نساءهم البربريات، "وكان ظلمومًا غشومًا، وكان البربر يحرسونه فقام على المنبر خطيبًا، فقال:" إني رأيت أن أرسم اسم حرسي في أيديهم كما تصنع ملوك الروم بحرسها، فأرسم في يمين الرجل اسمه، وفي يساره "حرسي" ليعرفوا بذلك من بين سائر الناس؛ فإذا وقفوا على أحد أسرع لِما أُمرت به"[4]. لذلك ثارت نفوس البربر عليه، فقتلوه لما خرج من داره متجهًا إلى المسجد لصلاة المغرب فأجهزوا عليه في مصلاه[5]. ثم خلفه بشر بن صفوان الكلبي سنة 103هـ/721م[6] الذي سار على خطى سلفه باضطهاده للبربر حتى توفي عام 109هـ/ 727م[7].

---

[1] فيلالي، عبد العزيز، ***العلاقات السياسية***، 43.

[2] يزيد بن أبي مسلم دينار الثقفي ، يكنى بأبي العلاء، كان مولى الحجاج بن يوسف الثقفي وكاتبه. ابن خلكان، أحمد، ***وفيات الأعيان***، 309/6.

[3] يزيد بن عبد الملك، بن مروان، بن الحكم، بن العاص، بن أمية، يكنى بأبي خالد. البلاذري، أحمد، ***أنساب الأشراف***، 243/8؛ الصفدي، صلاح الدين خليل، ***الوافي بالوفيات***،29/28 .

[4] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 48/1؛ ابن عبد الحكم، عبد الرحمن، ***فتوح إفريقية والأندلس***، 88،89؛ الرقيق، إبراهيم، ***تاريخ إفريقية والمغرب***، 62.

[5] البلاذري، أحمد، ***فتوح البلدان***، 324؛ الرقيق، إبراهيم، ***تاريخ إفريقية والمغرب***، 64؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 48/1؛.

[6] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 49/1؛ النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 30/24؛ الرقيق، إبراهيم، ***تاريخ إفريقية والمغرب***، 63.

[7] البلاذري، أحمد، ***فتوح البلدان***، 324؛ النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 30/24.

ولما تولى عبيد الله بن الحبحاب ولاية إفريقية سنة 116هـ/734م[1] استخف بالبربر، إذ عدّهم فيئًا للمسلمين أو عبيدا، إذ أنه أقام على طنجة عامله عمر بن عبد الله المرادي، فأساء السيرة، وتعدى في الصدقات والعشر، وأراد تخميس البربر، وزعم أنهم فيء المسلمين، وبذلك تجاوز من سبقه في معاملته السيئة للبربر، وإنما كان الولاة يخمسون من لم يُجب للإسلام، فكان فعله هذا سبباً لوقوع الفتن[2]. كما كثر عبث عمال ابن الحبحاب بأموال البربر بغير حق[3].

- **اعتناق البربر مذهب الخوارج وتمردهم**

وقد جرى ذلك في وقت ساد فيه مذهب الخوارج ببلاد المغرب[4]، فاستغلوا سخط الأهالي أثناء دعوتهم لفكرة أن الخلافة ليست محصورة في بيتٍ أو جنسٍ معين، فالأمة هي التي تختار الحاكم إذا استوفى شروط عقد الخلافة[5]. فأقبل البربر على اعتناق المذهب، إذ رأوا فيه دعوة إلى الحرية

---

[1] النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 31/24.

[2] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 52/1،51؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 416/4.

[3] السلاوي، أحمد، ***الاستقصا***، 162/1.

[4] يعود فشل الخوارج في تحقيق أهدافهم في المشرق إلى افتقارهم للتنظيم السياسي، والقيام بثورات ارتجالية غير منظمة العمل، فكان استئصالها من قبل الدولة الأموية أمراً سهلاً. فلجأت كل من الفرقة الصفرية والإباضية إلى إعادة تنظيم وترتيب العمل بأسلوب مختلف بجعل دعوتها سرية وانتشارها نحو أرجاء العالم الإسلامي لنشر دعوتيهما، وإعداد القوة اللازمة للقضاء على الدولة الأموية. فوجدوا في بلاد المغرب التربة الخصبة لنشر تعاليمهم، والتفاف الناس معهم، للوقوف أمام ولاة وأمراء دولة بني أمية، وقد ظهرت أول فتنة للخوارج في المغرب في زمن الخليفة هشام بن عبد الملك، وولاية ابن الحبحاب على إفريقية. وكانت الصفرية- نسبة إلى زياد بن محمد الأصفر- والإباضية –نسبة إلى عبد الله بن إباض المري- أكثر فرق الخوارج اعتدالاً ورواجاً في المغرب من الأزارقة-نسبة إلى نافع بن الأزرق- في المشرق، إذ لا يرون إباحة دماء المسلمين ولا يرون جواز سبي النساء والذرية لمخالفيهما، ولا يقاتلان إلا جيش السلطان، إسماعيل، محمود، ***الخوارج في بلاد المغرب*** 43،42؛ خطاب، محمود، ***قادة فتح المغرب العربي***، 217/1؛ الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، ***موسوعة تاريخ المغرب العربي*** 169/1؛ أبو زهرة، محمد، ***المذاهب الإسلامية***، 125،124؛ عويس، عبد الحليم، ***العصبية القومية وأثرها في سقوط الأندلس***، ندوة الأندلس الدرس والتاريخ، القاهرة، 1994، 318.

[5] يصف لنا ابن خلدون دور الخوارج في تحريك البربر ضد الحكم الأموي، فيقول:" ثم نبضت فيهم (أي البربر) عروق الخارجية، فدانوا بها ولقنوها من العرب الناقليها من منبعها بالعراق. وتعددت طوائفهم، وتشعبت طرقها من الإباضية والصفرية كما ذكرنا في أخبار الخوارج. وفشت هذه البدعة، وأعقدها رؤوس النفاق من العرب، وجراثيم الفتنة من البربر ذريعة إلى الانتزاء على الأمر فاختلوا في كل جهة ودعوا إلى قائدهم طغام البربر تتلون عليهم مذاهب كفرها، ويلبسون الحق بالباطل فيها إلى أن رسخت فيهم كلمات منها، وشجت بينهم عروق من غرائسها. ثم تطاول البربر إلى الفتك بأمراء العرب". ***العبر***، 129/6.

والعدل، وقتال الغاصبين لزمام الحكم[1]. وهكذا تنوعت أسباب الثورة البربرية التي نشبت سنة 122هـ/740م بين أسباب عنصرية، وسياسية، واقتصادية.

لقد كانت سنة 122هـ/740م وقتًا مناسبًا لتمرد البربر، إذ انتهزوا فرصة خروج معظم جيش ابن الحبحاب نحو جزيرة صقلية بقيادة حبيب بن أبي عبيدة الفهري، فثاروا بقيادة أحد زعمائهم وهو ميسرة المدغري[2] بعد أن فشل في لقاء الخليفة هشام بن عبد الملك[3] في دمشق؛ ليشكوا له سوء أفعال ولاته وعماله، فثاروا على عامل طنجة عمر بن عبد الله المرادي، وقتلوه، وبايعه أشياعه بالخلافة[4]، ثم تركوا طنجة بعد أن وضع عليها ميسرة عبد الأعلى بن حديج الإفريقي، ثم زحفوا نحو منطقة السوس الأقصى، وقتلوا عاملها إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب، واستولوا على المغرب الأقصى، إلا أن هذا الانتصار لميسرة المدغري لم يشفع له عند قومه فقتلوه، إذ أنكروا عليه سوء سيرته، وتغُّيره عما كانوا بايعوه عليه، وبايعوا مكانه خالد بن حميد الزناتي[5].

وأمام هذه القوة الثورية الكاسحة، جهز عبيد الله بن الحبحاب جيشًا عظيمًا بقيادة خالد بن حبيب الفهري، وأردفه بالقائد حبيب الفهري[6]، والتحم الفريقان بالقرب من طنجة سنة 123هـ/740م 123هـ/740م وانتهت بهزيمة الجيش العربي شر هزيمة، فقد قتل فيها من حماة العرب وفرسانها وأبطالها، فسميت الغزوة "غزوة الأشراف"[7].

---

[1] عنان، محمد، ***دولة الإسلام في الأندلس***، العصر الأول (ق.1)، 117.

[2] من قبيلة مدغرة البربرية، عرف بالحقير أو الحقور، بائع الماء، إذ كان يبيع الماء في أسواق ومساجد القيروان. ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 394/1؛ ابن القوطية، محمد، ***تاريخ افتتاح الأندلس***،39.

[3] هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية، تولى الخلافة عام 105هـ/723م، إلى أن توفي عام 125هـ/743م. الصفدي صلاح الدين خليل، ***الوافي بالوفيات***، 71/26؛ الذهبي، محمد، ***سير أعلام النبلاء***، 351/5.

[4] ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 416/4.

[5] ابن عبد الحكم، عبد الرحمن، ***فتوح إفريقية والأندلس***،94؛ الرقيق، إبراهيم، ***تاريخ إفريقية والمغرب***،67؛ ابن عذاري أحمد، ***البيان المغرب***، 53/1؛ النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 32/24.

[6] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 226/4.

[7] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 54/1؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 417/4؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 130،131/6؛ الرقيق، إبراهيم، ***تاريخ إفريقية والمغرب***، 68؛ النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 32/24.

لم يكن أمام الوالي ابن الحبحاب _آنذاك_ إلا أن يطلب النصرة والمعونة من الأندلس، لقربها وسهولة الاتصال معها، فأمر والي الأندلس، عقبة بن الحجاج السلولي أن يدخل إلى طنجة ويخلصها من يد الثوار، فعبرت قوة كبيرة مضيق جبل طارق، وتقابلت مع الثوار فهزمت هزيمة نكراء، عند ذلك توجه عقبة بن الحجاج على رأس قوة عسكرية ثانية نحو المغرب، والتحم الفريقان بنواحي طنجة، فانتهى الالتحام بهزيمة الجيش الأندلسي، فاضطر ابن الحجاج إلى العودة نحو الأندلس يجر ذيول الخيبة. وكان من نتائجها أن ثار أهل الأندلس على ابن الحجاج، فعزلوه وولوا مكانه عبد الملك بن قطن الفهري[1].

وعندما بلغت أنباء الهزائم مسامع الخليفة هشام بن عبد الملك، غضب غضبة عربية، قائلًا: "... والله لأغضَبن لهم غضبةً عربية، ولأبعثن إليهم جيشًا أوله عندهم وآخره عندي، ثم لا تركت حصنًا بربريًا إلا جعلت إلى جانبه خيمة قيسي أو تميمي"([2]). وقد استدعى واليه ابن الحبحاب إلى دمشق سنة 123هـ/ 741م، وأرسل مكانه أحد أعيان القيسية _وهو كلثوم بن عياض_ على رأس جيش شامي، وجعل له نائبين: بلج بن بشر، وثعلبة بن سلمة العاملي[3]، كما كتب إلى ثغور مصر وطرابلس(ليبيا) أن تمد الوالي الجديد بالجند والسلاح، فبلغ عدد جيشه سبعين ألفا[4]. وقد وجه كلثوم بن عياض _بوصفه والي الغرب الإسلامي_ أنظاره شطر الأندلس كاتبًا إلى أهلها بإرسال المدد والقوة نحو طنجة، إلا أن واليها عبد الملك بن قطن رفض تقديم أية معونة؛ لخوفه أن يجري له ما جرى لسلفه عقبة بن الحجاج[5].

---

[1] ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 417/4؛ ابن القوطية، محمد، ***تاريخ افتتاح الأندلس***،39؛ النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 32/24.

[2] النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 32/24؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 417/4؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 54/1.

[3] مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***،36.

[4] المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 16/4؛ مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***،37.

[5] ابن عبد الحكم، عبد الرحمن، ***فتوح إفريقية والأندلس***، 99.

لقد اشتبك الجيشان _مرة أخرى_ سنة 124هـ/741م على مقربة من طنجة، في مكان يعرف بوادي سبو(Sebou) بالقرب من بليدة بقدورة، وانتهى بهزيمة الجيش العربي الشامي، وقتل كلثوم ابن عياض، والعديد من زعماء العرب وقادتهم[1]. وفر بلج بن بشر بعشرة آلاف من الجند نحو سبتة فتحصنوا في داخلها، فحاصرهم الثوار محاولين اقتحام أسوارها لكنهم فشلوا لشدة بأس فرسان الشام، فقاموا بنسف المزارع وتخريبها؛ لتجويع المتحصنين حتى كادوا أن يموتوا جوعا، فأخذوا يذبحون من دوابهم وأكلوا جلودها[2].

أمام هذه الأزمة التي عصفت ببلج وجنده، نظر إلى العدوة الأندلسية المقابلة له بوصفها منفذًا ينجيهم من مأزقهم، مرسلًا إلى واليها برسالة يستأذنه بالدخول إلى الأندلس، شارحًا له ما أصابهم من ضيق وقتل، إلا أن عبد الملك بن قطن لم يكترث لهذا النداء؛ لخوفه على سلطانه[3]، فقد نصحه أهل الرأي بعدم إدخالهم، فقالوا له: "إن دخل عليك هذا الشامي_يقصدون بلجًا_عزلك"[4] كما أن ابن قطن قد ذاق من مرارة موقعة الحرة وآلامها، إذ كان من أهالي المدينة المنورة الذين شاركوا فيها[5].

ومع هذا الرفض الذي يعني سحق الجيش الشامي المحاصر داخل سبتة، هب أحد عرب الأندلس _وهو عبد الرحمن بن زياد الأحرم اللخمي_ إلى انقاذ أهل عصبيته قدر استطاعته، فأرسل لهم قاربين شحنهما بالشعير والأدم، إلا أن تلك المعونة لم تكفِ لإشباع آلالاف من الجند المحاصرين وعاقبه ابن قطن بالتعذيب والتنكيل[6].

---

[1] من هؤلاء القادة: حبيب بن أبي عبيدة، ومغيث الرومي، وهارون القرني، وسليمان بن أبي المهاجر. النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 32/24؛ مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 39؛ ابن عبد الحكم، عبد الرحمن، ***فتوح إفريقية والأندلس***، 99.

[2] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 30/2؛ مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 42،40.

[3] مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 42.

[4] ابن القوطية، محمد، ***تاريخ افتتاح الأندلس***، 40؛

[5] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 32/2.

[6] مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 42؛ السلاوي، أحمد، ***الاستقصا***، 167/1. ويروي المقري أنه ضربه سبعمائة سوط، وسمل وسمل عينيه، وضرب عنقه ثم صلبه. ***نفح الطيب***، 4/ 16.

- **انتقال الثورة البربرية إلى الأندلس**

لقد انتقل صدى الثورة البربرية إلى إخوانهم في الأندلس ذات الصلة السياسية والإدارية بإفريقية ويرجع أسباب هذا الانتقال إلى عدة عوامل:

1) إن البربر هم الذين فتحوا الديار الأندلسية تحت قيادة ابنهم طارق بن زياد، وأسهموا في تدعيم الوجود الإسلامي في الأندلس، فقد كان الجيش الفاتح للأندلس يتألف من أربع قبائل بربرية وهي: مدغرة، ومديونة، وهوارة، ومكناسة، وكان معظمها من فروع قبيلة زناتة البترية[1].

2) وكما قلنا _بالسابق_، كان لقرب المسافة وسهولة الاتصال بين العدوتين أثر بالغ في هجرة الكثير من القبائل البربرية إلى الأندلس، بشكل كبير بالنسبة لهجرة القبائل العربية لشعورهم بالفضل العظيم الذي قدموه في فتح البلاد، بالإضافة إلى بحثهم عن أسباب الحياة الرغيدة بدلاً من عيشهم تحت لهيب الشمس وفقر الصحراء، وبالمقابل لم يفد من العرب على الأندلس بعد عصر الولاة إلا اليسير من الأفراد أو من بعض الجماعات القليلة[2].

3) تولي العرب زمام الحكم في الأندلس، وسيطرتهم على النصيب الأوفر من خيراته، إذ استأثروا بالأراضي الخصبة من المزارع والبساتين والضياع من دون البربر، فعاشوا على سهول الأندلس الخضراء، وأحواض الأنهر الكبيرة، مثل: حوض نهر الوادي الكبير وحوض التاج[3]، فقد كانت الأندلس عندما دخلها المسلمون تشتهر بكثرة الضياع والمزارع ووسائل الري المختلفة، ويرجع أصول تلك المزارع والبساتين إلى الألف الثانية قبل الميلاد

---

[1] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 106/6.

[2] مؤنس، حسين، ***فجر الأندلس***، 420؛ عنان، محمد، ***دولة الإسلام في الأندلس***، العصر الأول (ق.1)، 205.

[3] عويس، عبد الحليم، ***العصبية القومية وأثرها في سقوط الأندلس***، ندوة "الأندلس الدرس والتاريخ"، القاهرة، 1994، 310؛ الراشد، عبد الجليل، ***دور البربر في سقوط الدولة الأموية في الأندلس***، مجلة المؤرخ العربي، ع3، 1977، 81.

حينما وفد عليها من الفنيقيين الذين أسسوا مدنًا تجارية على سواحلها، وعلموا أهلها صيد السمك، والأساليب الفلاحية، وفن غراسة الأشجار كالصنوبر والزيتون والكروم. ثم جاء الرومان الذين أقاموا القنوات المائية فوق القناطر الضخمة، وزرعوا القمح والغلال[1]. وقد ملك العرب إلى جانب المدن والأنهار مزايا الثروة، ورواج التجارة[2].

أما البربر، فقد أعطوا الهضاب الوسطى التي تتميز بجفاف مناخها وقلة مياهها، كما انتشروا في المناطق الجبلية الواقعة في الشمال الغربي، وفي مرتفعات الجنوب الشرقي لبلاد الأندلس[3]. وكانت تلك المناطق أقل خصوبة من المناطق التي استوطنها العرب، فهي مناطق وعرة وذات طقس بارد[4].

4) لم ينل البربر الفاتحون أيَّ دورٍ من شأنه أن يرفع من مكانتهم ويعظم من شأن ما بذلوه من جهاد ونصر، بل وقع عليهم من الظلم والتعذيب من ولاة الأندلس على أبسط المشكلات، وإذا تجرأوا على الشكوى كان عذابهم أكبر[5]. وربما كان الدافع وراء تلك السياسة هو خوف عرب الأندلس من كثرة البربر في هذه البلاد، إذ كان العرب في الأندلس يشكلون أقلية بالنسبة للبربر، لذلك أبعدوهم عن مراكز السلطة والنفوذ من جهة وشعور العرب الفاتحين بأنهم سادة المغرب، ومن الطبيعي أن يكونوا سادة الأندلس _أيضًا_ من جهة أخرى[6].

---

[1] العبادي، أحمد مختار، ***الزراعة في الأندلس***، ندوة "الأندلس الدرس والتاريخ"، القاهرة، 1994، 108.
[2] الجارم بك، علي، ***قصة العرب في إسبانيا***، 37.
[3] L. Provencal، ***Histoier de Espagne***، T.1، p84.
[4] نعنعي، عبد المجيد، ***تاريخ الدولة الأموية في الأندلس***، 109.
[5] مؤنس، حسين، ***ثورات البربر في إفريقية والأندلس بين سنتي 102هـ-136هـ***، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج1، ع10، 1948. 52، 51.
[6] الراشد، عبد الجليل، ***دور البربر في سقوط الدولة الأموية في الأندلس***، مجلة المؤرخ العربي، ع3، 1977، 81.

5) مشاطرة إخوانهم المضطهدين في المغرب لما تعرضوا له على أيدي الولاة العرب، فتوحدت مشاعرهم في كره العرب الذين قاموا بالاستيلاء على حكم الأندلس والسيطرة على مقدراته بحيث أخذوا يصرفون أمور البلاد وحدهم دون مشاركتهم، رغم أن فتح البلاد كان على كاهلهم، فلم تذكر المصادر التاريخية أن بربريًا تولى إمارة الأندلس.

6) لا يستبعد أن يكون قد خرج نفر من دعاة الثورة من الخوارج أو غيرهم نحو الأندلس لإثارة الثورة، لاستئصال حكام بني أمية من إفريقية والأندلس، فالاتصال بين الجانبين سهل والمسافة قريبة[1].

7) ونشير في هذه النقطة إلى قضية متقدمة في الطرح؛ لكنها تدخل ضمن إطار العوامل التي ساندت في انتقال الأحداث من المغرب إلى الأندلس، وسرعة نشوب الثورات، ألا وهي: اعتماد خلفاء بني أمية وأمرائهم في الأندلس في تكوين الجيش الأندلسي على العنصر البربري، وتقديمه على العنصر العربي، بل وإقصاء العنصر العربي، وتطهير الجيش منه لشدة عصبيتهم العربية على بعضهم بعضًا، مما استدعى دخول الآلاف من بربر المغرب على الأندلس، وازدحام قرطبة بهم مع قلة العنصر العربي الوافد على الأندلس، إذ تمثل دخولهم من خلال الطوالع الثلاث وهي: طالعة موسى بن نصير سنة 93هـ/712م وطالعة الحر بن عبد الرحمن الثقفي سنة 97هـ/716م، وكانت هاتان الطالعتان من اليمنيين، وتسموا بـ"البلديين"، وطالعة بلج بن بشر سنة 123هـ/740م، التي كانت من القيسسين، وعرفوا بـ"الشاميين". فكان عدد العرب في الأندلس قليلًا بالنسبة إلى جموع البربر الذين استقروا في الأندلس منذ فتح طارق بن زياد لها، فقد شهد القرن الثامن

---

[1] عنان، محمد، ***دولة الإسلام في الأندلس***، العصر الأول (ق.1)،69؛ مؤنس، حسين، ***ثورات البربر في إفريقية والأندلس بين سنتي 102-136هـ / 720-753م***، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج1، ع10، 1948. 52،51.53.

الميلادي تدفقًا كبيرًا من سكان بربر المغرب على الأندلس، مما قلب ميزان المراكز السكنية الأصلية وثقلها، وطبقة الملاك الإسبان تدريجيًا[1].

وعندما نظم الثوار صفهم، وتوحدت قيادتهم تحت إمرة ابن هدين[2]، "وثبوا في أقطار الأندلس فأخرجوا عرب جليقية[3] وقتلوهم، وأخرجوا عرب أسترقة[4]، والمدائن التي خلف الدروب، فلم يرع ابن قطن إلا فلهم قد قدم عليه، وانضم عرب الأطراف كلها إلى وسط الأندلس، إلا ما كان من عرب سرقسطة[5] وثغرهم، فإنهم كانوا أكثر من البربر، فلم يهج عليهم البربر..."[6].

وبعد أن حققوا فوزهم، قسموا أنفسهم إلى ثلاثة جيوش كبرى: الأول يتجه نحو طليطلة، والثاني يتجه نحو قرطبة، بينما الثالث يتجه نحو الجزيرة الخضراء؛ للاستيلاء على الأسطول الراسي في خليجها، ثم عبور المضيق؛ لسحق جيش بلج المحاصر في سبتة، والدخول نحو بلاد المغرب وإفريقية[7]. ولعلهم أرادوا بفعلتهم هذه أن يضربوا ضربتهم الأخيرة للقضاء على الحكم العربي في هذه البلاد، وإخضاع البلاد لسيادتهم ونفوذهم.

لقد أدرك ابن قطن أن أركان السلطة آلت إلى السقوط، وأن التاريخ الذي مر على الجيوش العربية في المغرب من الهزائم يعيد نفسه الآن في الأندلس، فاتصل فورًا بالمحاصرين في سبتة طالبًا منهم الدخول إلى الأندلس وإنقاذ الموقف، مشترطًا أن يخرجوا من الأندلس بعد سنة واحدة وأن يعطوه عشرة رهائن يحتفظ بهم في جزيرة أم حكيم، فقبل بلج بهذا العرض مشترطًا على ابن

---

[1] L. Provencal، ***Histoier de Espagne***، T.1، p168، 169.

[2] ابن هدين ويقال له زقطرنق، لم نجد له تعريفًا في كتب التراجم، فلم يذكر اسمه إلا في كتاب: (أخبار مجموعة) باسم ابن هدين. مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 42.

[3] ناحية قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمالي الأندلس في أقصاه من جهة الغرب. الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 157/2.

[4] تقع على أبواب إقليم جليقية في الشمال الغربي من الأندلس. العذري، أحمد، ***ترصيع الأخبار وتنويع الآثار***، 22؛ حتاملة، محمد، ***موسوعة الديار الأندلسية***، 63/1.

[5] تقع في شرق الأندلس، وهي المدينة البيضاء. الحميري، محمد، ***روض المعطار***، 317.

[6] مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 42.

[7] العبادي، أحمد، ***في تاريخ المغرب والأندلس*** 93؛ محمود، منى، ***المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة***، 27.

قطن أن يتم نقل الشاميين على مراكب أهل الأندلس دفعة واحدة إلى شمال إفريقية بعد انتهاء المهمة، ثم عبر بلج وجنده (الطالعة البلجية)[1] المضيق عبر سفنٍ أرسلها لهم ابن قطن عام 123هـ/740م[2]، وقد "أفضل عليهم الناس حتى لبسوا وشبعوا"[3].

اندمج جيش بلج بجيوش ابن قطن، والتحموا بجيش الثوار الثالث بالقرب من شذونة، فقاتل الشاميون قتالاً مستميتًا يدلل على ثأر ملتهب في النفوس، ثم اتجهوا نحو الجيش الثاني المتجه نحو قرطبة وهزموه، ثم انتقلوا إلى طليطلة التي كانت محاصرة بجيش الثوار الأول، واقتتلا عند وادٍ يقال له وادي سليط من حوز طليطلة[4]، وانتصر فيها الشاميون وأطفأوا جمرتهم[5]. فأسفرت تلك الهزيمة بترك البربر الأقاليم الشمالية، وعبروا المضيق، قاصدين بلادهم في الشمال الإفريقي، مما هدد من سلامة الثغور الشمالية في الأندلس المتاخمة للحدود المسيحية، فقد ظهر عليها الإسبان بقيادة القائد "بلاي" (Pelayo)[6].

مما سبق، يتضح _مرة أخرى_ أن الصراع بين العرب والبربر في الأندلس يرجع _في أحد أسبابه_ إلى كثرة البربر في الأندلس الذين تدفقوا إليها بعد الفتح الإسلامي، وأرادوا الإستئثار بخيرات الأندلس وحكمها دون العرب، خاصةً وأنهم ينسبون النصر والفتح إليهم، فالمسافة الفاصلة بين المغرب والأندلس المتمثلة بالمضيق لم تكن تشكل عائقًا جغرافيًا يذكر ليحد من سهولة التنقل والإنتشار بين العدوتين، مما أحدث الثورات وعدم الإستقرار السياسي للأندلس. وقد أدرك الأمويون تلك المسألة ومدى أهميتها وخطورتها أيام الفتح لإسبانيا، لذلك نراهم قد ربطوا الأندلس بعد فتحها

---

1 الخطيب، لسان الدين، ***اللمحة البدرية***، 16؛ ***الإحاطة***، 102/1.

2 المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 163/1؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 30/2.

3 مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 43.

4 ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 31/2؛ مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 44.

5 مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 44؛ L. Provencal، ***Histoier de Espagne***، T.1، p85.

6 مجموعة باحثين، ***دائرة المعارف الإسلامية***، 1290/5؛ مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 61.

بولاية إفريقية لاقتناعهم بضرورة توحيد المنطقتين تحت سلطانهم وهيمنتهم[1]. لذا ارتبط مصير العدوتين، فما حدث في المغرب من ثورات بربرية انتقل صداها مباشرة إلى الأندلس في محاولة لتوحيد الهدف السياسي للبربر، كما أن الجهود العسكرية العربية توحدت ابتداءً بين المغرب والأندلس؛ للقضاء على الثورات العربية، إلا أن هذه الجهود كللت بالهزيمة لتعاظم الثورات وتكاتفهم.

(رابعاً) الصراع العربي العربي، وأثره في المغرب والأندلس في عصر الولاة

عندما رجعت الجيوش المنتصرة نحو قرطبة، طلب ابن قطن بإلحاحٍ من بلج وجنده بالرجوع إلى المغرب، وذلك وفق ما اتفقوا عليه، إلا أن ما خشيه ابن قطن قد تحقق فعلًا، إذ رفض بلج الخروج من الأندلس، وهاجم ابن قطن فقتله، ويرجع عدم التزام بلج بعهده إلى عدة أسباب:

- عجز ابن قطن من نقل طالعة بلج بن بشر باتجاه العدوة المغربية دفعة واحدة كما أبرم في الاتفاق.
- خوف بلج من الرجوع إلى الجحيم بيده.
- إعجاب الشاميين بالازدهار الذي كانت تتمتع به البلاد، وبغنى المستقرين الأوائل.
- موت أحد الرهائن من أشراف دمشق عطشًا فحمل الشاميون (مقتله) لعبد الملك بن قطن.
- ادعاء بلج لنفسه بإمارة الأندلس، وأنه الأمير الشرعي لحكم البلاد بعهدٍ من عمه المقتول القائد كلثوم بن عياض[2].

---

[1] طه، عبد الواحد ذنون، ***تاريخ المغرب والأندلس: مدخل لدراسة نقدية جديدة***، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج48، ج1، 2001، 185.

[2] مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 44،45؛ عنان، محمد، ***دولة الإسلام في الأندلس***، العصر الأول (ق.1)، 124؛ طه، عبد الواحد ذنون، ***الفتح والاستقرار العربي الإسلامي***، 329.

فألحق الهزيمة بابني عبد الملك بن قطن، وهما: أمية، وقطن، وعبد الرحمن بن حبيب، وخضعت البلاد لحكم بلج بن بشر، "وقد امتلأت أيدي الشاميين وأنفسهم غنمًا، ونصرًا، وسرورا"[1].

إلا أنه لم يتمتع بمنصبه الجديد، فقد توفي بعد أيام نتيجة جروح في جسده، فعاد القتال بين البلديين (العرب المحليين) والبربر من جهة، والشاميين من جهة أخرى، وبقي هذا الصراع إلى أن تولى حنظلة بن صفوان بن نوفل الكلبي ولاية الغرب الإسلامي، فبعث إليه أهل الأندلس؛ ليضع حدًا لهذا الصراع، فأرسل إليهم أبا الخطار الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي سنة 125هـ/742م[2] الذي استطاع بحنكته السياسية أن يجمع كلمة المسلمين[3].

أمام هذه الترتيبات التي أعادت صياغة الأمور لحكام بني أمية، غادر عبد الرحمن بن حبيب قرطبة متجهاً نحو تونس خوفًا على نفسه، وأخذ يجمع الناس ويحشدهم حوله في القيروان، مقر الوالي الجديد، حنظلة بن صفوان، فانقض عليه مستغلاً اضطراب الأوضاع في دمشق، وذلك عقب مقتل الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة 126هـ/743م[4]، وخروج عدد من القواد الشاميين نحو دمشق، فما كان من حنظلة إلا أن سلم مقاليد الولاية لعبد الرحمن أواخر سنة 127هـ/744م وقد أرسل الوالي الجديد للخليفة مروان بن محمد هدية ثمينة، فقبلها الخليفة، وأقره على أعماله[5].

---

[1] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 31/2،30.

[2] ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء***، 61/1.

[3] فقد قام بإخراج عدد من قادة الجيش الشامي من الأندلس إلى طنجة بتهمة الإفساد بالأندلس، وأطلق الأسرى والسبي، كما وزع جند الشام نحو الأقاليم الأندلسية فأنزل كل جماعة في إقليم شبيهٍ بمناخ المنطقة التي كانت قاطنة فيه، فأنزل أهل دمشق إلبيرة، وسماها دمشق، وأهل الأردن أنزلهم في مالقة وسماها الأردن، وأهل حمص في إشبيلية وسماها حمص، وأنزل أهل مصر على تدمير (مرسية)، وجعل غلة الأقاليم لهم على أن يرسلوا الفائض لبيت المال. مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 49،48؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 33/2،32؛ المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 227/1؛ ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء***، 62/1،61؛ الخطيب، لسان الدين، ***اللمحة البدرية***، 17.

[4] ابن العماد، عبد الحي، ***شذرات الذهب***، 108/2؛

[5] الرقيق، إبراهيم، ***تاريخ إفريقية والمغرب***،73،72؛ النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 35/24،34.

وبعد الهدوء النسبي الذي تم على يد أبي الخطار، عاد النزاع _مرة أخرى_، ولكن بشكل آخر، متخذًا الطابع العربي المحض، وذلك بين القيسيين واليمنيين. فقد نشبت حروب داخلية في أواخر عهد الدولة الأموية اتسمت بالعصبية القبلية بين المضرية واليمنية أو العدنانية والقحطانية ففي الأندلس انقسمت القبائل الشامية عن الحجازية، وكان زعيم الأولى أبا الخطار الكلبي (اليمني) بينما ترأس زعامة المضرية الصميل بن حاتم(1) حفيد شمر بن ذي الجوشن، قاتل الحسين في كربلاء، وكان الصميل قد دخل الأندلس مع طالعة بلج بن بشر(2).

فلم يلبث أبو الخطار أن تعصب لليمانية وفضلهم على المضرية، إذ تحامل على المضرية وأسخط قيسًا، وتجلى هذا الميل الذي كان بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير في خلاف رجلين أحدهما مضري والآخر يمني، فذهبا عند أبي الخطار ليحكم بينهما، فمال إلى اليمني، مما أدى بالمضري إلى أن يشتكي لزعيمه الصميل؛ لينصفه، فاتجه الأخير إلى أبي الخطار لتقصي الواقعة ومعرفة الحقيقة، فطال الجدال بينهما، فانتهى إلى إهانة الصميل، فخرج الأخير من المجلس غاضبًا وكانت عمامته على رأسه مائلة، فقال له أحد الحراس: "أصلح عمامتك يا أبا الجوشن" فرد عليه الصميل قائلاً:" إن كان لي قوم فسيقيمونها"(3)، وهي كناية عن الانتقام.

فدعا الصميل أهل فلسطين، ولخم، وجذام، وغيرهم من المضرية لنصرته، وردوا عليه بقولهم: "نحن تبعٌ لك"(4)، ولما علم أبو الخطار بذلك خرج إليهم فهزموه، وخلعوه وولوا مكانه سلامة الجذامي سنة 128هـ/ 745م، والذي نكل باليمنية واستبد بهم، وبقي القتال على أشده بينهما إلى أن استطاع يوسف بن عبد الرحمن الفهري _الذي خلف سلامة الجذامي سنة 129هـ/ 746م_ بالاشتراك مع

---

1 ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء***، 65/1.

2 ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 34/2 ؛ ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء***، 67/1؛ العبادي، أحمد، ***في تاريخ المغرب والأندلس***، 94

3 المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 228/1.

4 ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 34/2؛ مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 58

الصميل أن ينتصر على أبي الخطار في موقعة "شقندة"(Secunda) _جنوبي قرطبة_ سنة 130هـ/747م التي قتل فيها أبو الخطار وعدد كبير من اليمنية، فخضعت بلاد الأندلس للسلطان يوسف بن عبد الرحمن والصميل بن حاتم[1]، وقد وافق أمير إفريقية عبد الرحمن بن حبيب على ولاية يوسف للأندلس[2].

لقد أسفرت تلك الحروب والفتن بين المسلمين إلى توقف حركة الجهاد في شمال الأندلس وتراجعت أوضاعهم الزراعية والاقتصادية، فقد حلت مجاعة بسكان الأندلس دامت أكثر من خمس سنين 136/131هـ_ 748 /753م، فقد تركت الأرض من دون فلاحة[3]. كما تدهورت أحوالهم الاقتصادية التي أدت إلى هجرة الكثير من العدوة الأندلسية إلى العدوة المغربية، فعبرت جاليات عديدة المضيق واستقرت في طنجة وأصيلا[4]. وانتهز نصارى الشمال هذا النزاع والنزوح لإسترداد إسبانيا من حكم المسلمين الذين بدأوا باسترداد المناطق الشمالية كجيلقية وأسترقة[5]، كما تنصر كل مذبذب في دينه، فانهارت سيادة الإسلام فيما وراء جبال البرنيه جنوبي فرنسا[6]، وخسر المسلمون ربع ما فتحوه[7].

ومما سبق، يتبين لنا أن مصير الأندلس مرتبط بمصير أفريقية والمغرب، فالطرفان مرتبطان بكل النواحي الإدارية، والسياسية، والاقتصادية، والبشرية كما تقدم. كما أن الصراع السياسي والعسكري العربي في الأندلس كان له الأثر في رحيل عبد الرحمن بن حبيب إلى المغرب، ومن ثم استيلاؤه على الحكم في القيروان؛ ليصبح زعيمًا على المغرب الإسلامي.

---

[1] مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 60؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 37/2.

[2] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***،، 62/1.

[3] مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 61.

[4] أصيلا أو أزيلا بلد من بلاد البربر بقرب طنجة. الحميري،محمد، ***الروض المعطار***، 42؛ الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 170/1؛ فيلالي، عبد العزيز، ***العلاقات السياسية***، 60.

[5] ينظر: رمضان، عبد المحسن طه، ***الحروب الصليبية في الأندلس***، 320 وما بعدها.

[6] مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 62،61؛ عنان، محمد، ***دولة الإسلام في الأندلس***، العصر الأول (ق.1)، 137.

[7] حسن محمود، منى، ***المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة***، 33.

الفصل الثاني

العلاقات السياسية والعسكرية بين المغرب والأندلس

في عصر الإمارة الأموية (138_316هـ /755_928م)

(أولاً) قيام الإمارة الأموية في الأندلس

عصفت بالخلافة الأموية في نهايتها ثورة جامحة قادها العباسيون، ومن لفَّ لفيفهم من الأحزاب المعارضة للدولة الأموية من الشيعة والموالي، الذين لاقوا من حكام بني أمية الشدة والعنف، إذ نحُّوهم عن المناصب الكبيرة، وأساءوا معاملتهم[1].وكانت تلك الثورة من الأسباب التي أدّت إلى سقوط الدولة الأموية على أثر معركة "الزاب"[2]، حيث قام العباسيون بملاحقة الأمويين بالقتل والسجن[3].

واستطاع أحد أمراء بني أمية _وهو عبد الرحمن بن معاوية[4]_، الهرب من قبضة العباسيين متجهًا متجهًا نحو المغرب مع مولاه بدر[5]، إذ شكلت بلاد المغرب ملاذًا آمنًا لمعارضي الحكم الجديد المتمثل بالخلافة العباسية، فلم يجد هؤلاء أفضل من المغرب للحفاظ على أرواحهم من بطش بني العباس لبعد هذه البلاد عن مركز الخلافة العباسية في بغداد من جهة، وما تتميز به البلاد من اتساع وتنوع في التضاريس التي تعطي المعارضين حماية طبيعية من جهة ثانية، وتعدد ولاءات أهل المغرب من جهة ثالثة.

فقد كانت ولاءات أهل المغرب متنوعة وغير ثابتة لطرف دون آخر، لهذا كله هرب عبد الرحمن نحو المغرب يتنقل بين القبائل المغربية، مستترًا خائفًا على نفسه من عيون العباسيين وأعوانهم في

---

[1] للاطلاع على أسباب تلك الثورة، ينظر: خنفر، خلقي، ***الدولة الأموية***، 244-255.

[2] وقعت بجانب نهر الزاب الصغير، وهو أحد فروع نهر دجلة في الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة 132هـ/ 749م. الحميري، محمد، ***روض المعطار***، 281؛ المسعودي، علي، ***مروج الذهب***، 257/3؛ ابن أسعد، عبد الله، ***مرآة الجنان***، 217/1؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 160/3؛ ابن كثير، إسماعيل، ***البداية والنهاية***، 255/13؛ المسعودي، علي، ***مروج الذهب***، 257/3؛ ابن العماد، عبد الحي، ***شذرات الذهب***، 138/2.

[3] إذ سفكوا دماء المئات من بني أمية، فقد دعا والي الشام الأمير عبد الله بن علي العباسي مئات الأمويين على وليمة كبيرة ثم قتلهم عند نهر فطرس الواقع بين فلسطين والأردن. الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 315/5.

[4] عبد الرحمن بن معاوية، بن هشام، بن عبد الملك، بن مروان، يكنى بأبي المطرف، وقيل أبي زيد، وقيل أبي سليمان، ولد في في تدمر سنة 103هـ/ 721م، أول من ملك الأندلس. وتوفي عام 172هـ/788 ودفن في قصر قرطبة. الصفدي، صلاح الدين خليل، ***الوافي بالوفيات***، 167/18؛ ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء***، 35/1؛ الذهبي، محمد، ***سير أعلام النبلاء***، 8/ 244،253؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***،، 47/2؛ مؤلف مجهول، ***ذكر بلاد الأندلس***،109/1.

[5] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 145/4.

بلاد المغرب[1]، فقد تخفى من والي إفريقية عبد الرحمن بن حبيب الذي استقل بالولاية عن بغداد عاصمة الخلافة العباسية، فقد كان ابن حبيب يخاف من أمراء بني أمية أصحاب الحسب والنسب وسادة العرب وأشرافهم الذين أخذوا يتوافدون إلى بلاده، فعمد إلى مطاردتهم والتخلص منهم، فقتل ابني الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وهما: العاصي، وموسى عندما دخلا إفريقية[2]. كما أراد ابن حبيب من إلقائه القبض على عبد الرحمن بن معاوية وتسليمه للعباسيين من باب حسن النوايا مع الخليفة العباسي[3]. فاستجار عبد الرحمن بن معاوية بقبائل تاهرت[4]، وقبيلة مكناسة[5]، ثم احتمى احتمى عند أخواله النفزاويين في المغرب الأقصى، إذ كانت أمه "راح" من سبي هذه القبيلة[6]، وهذا وهذا هو العامل الأساسي في قدوم عبد الرحمن بن معاوية إلى المغرب، إذ أراد من خلالهم أن يحيي دولة آبائه وأجداده الأمويين بحيث تكون نقطة ارتكازها ونموها في المغرب.

ولم يكتفِ بحماية أخواله له فحسب، بل دخل _كذلك_ تحت حماية قبيلة مغيلة، إذ نزل عند شيخها المكنى بأبي قرة[7]، إذ أراد أن يكسب إلى جانبه أكبر قدر ممكن من القبائل المغربية، حيث تتصف تتصف قبائل المغرب "بعز الجوار وحماية النزيل...والوفاء بالقول والعهد، والصبر على المكاره، والثبات في الشدائد..."[8]. فهو من جهة يريد أن يشكل خط رجعة يحميه ويحتضنه في حالة فشله في تحقيق مشروعه في بلاد الأندلس، لأنه لا ملجأ له إن أراد الفرار من الأندلس إلا المغرب، ومن

---

[1] ابن القوطية، محمد، ***تاريخ افتتاح الأندلس***، 46.

[2] مؤلف مجهول، ***ذكر بلاد الأندلس***،111/1؛ المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 317/1؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 145/4.

[3] دياب، محمد، ***تاريخ العرب في إسبانيا***، 57.

[4] تقع تاهرت في المغرب الأوسط (الجزائر) على طريق المسيلة من تلمسان. المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 24/4؛ الحميري،محمد، ***الروض المعطار***، 126.

[5] مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 56.

[6] مؤلف مجهول، ***ذكر بلاد الأندلس***،109/1؛ المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 42/4.

[7] أبو قرة وانسوس، أو دوناس المغيلي اليفرني التلمساني، زعيم بني يفرن. ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 41/2؛ المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 317/1؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 148/6؛ مؤلف مجهول، ***ذكر بلاد الأندلس***،111/1؛ السلاوي، أحمد، ***الاستقصا***، 185/1؛ الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 8؛ ابن حزم، علي،***جمهرة أنساب العرب***، 51. الدراجي، بوزياني، ***القبائل الأمازيغية***، 171/1، 172.

[8] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 104/6.

جهة أخرى، يشكل خطًّا دفاعيًّا مهمًا لدولته الجديدة إن قامت في الأندلس من ناحية العدوة المغربية.

وأمام سعيه الحثيث في تحقيق مشروعه في بلاد المغرب _ بوصفه نقطة ارتكاز لإقامة دولة بني أمية من جديد_، إلا أنه لم يجد من القوة والالتفاف الجماهيري حول فكرته من قبلهم، إذ أرهقوا بسبب النزعات القبلية والعنصرية في بلادهم وبلاد الأندلس التي أسفرت عن قتل أبنائهم، وخلق الفوضى في ديارهم. لذلك، ولى وجهه نحو العدوة الأندلسية التي لا تبعد عنه سوى بضعة كيلو مترات؛ ليحقق مشروعه في إحياء دولة الآباء والأجداد، مستغلًا أوضاع الأندلس المضطربة من الحروب الأهلية، فأرسل مولاه إلى موالي بني أمية في الأندلس[1]، موجهًا لهم رسالة يشكو فيها ما حل بالأمويين "ويعظم عليهم حقه، ونزوعه إليهم... ويعرض أنه إنما يريد الاعتزاز بهم وأن يمنعوه وأن تهيأ لهم ما فيه طلب سلطان الأندلس أن يعلموه"[2].

وقد استقر بدر عند بني وانسوس المغاربة _وهم من قبيلة مغيلة_ التي احتمى بها عبد الرحمن بن معاوية[3]. وقد كللت مهمة بدر بالنجاح، إذ وافق الموالي _أنصار بني أمية_ وأهل الشام على فكرة فكرة عبد الرحمن بن معاوية ورحبوا باستقباله، وتكفلوا في نقله إلى الأندلس[4]، كما أخذوا يمهدون لفكرته في الأندلس عند المضرية واليمنية[5].

---

[1] لقد ذكر اسم "موالي بني أمية" لأول مرة عند ابن القوطية، وقد دخل هؤلاء مع طالعة بلج بن بشر الذين كانوا محاصرين في سبتة، وقدر عددهم في جيش بلج بألفين شخص من أصل عشرة آلاف. ابن القوطية، ***تاريخ افتتاح الأندلس***، 40.

[2] لقد كانت أحوال هؤلاء الموالي ومكانتهم في الأندلس جيدة، إذ كانوا يمتلكون من الثروة والممتلكات الشيء الكثير وخصوصًا زعماؤهم كأبي الحجاج يوسف بن بخت –رئيس موالي جيان- وأبي عثمان عبيد الله بن عثمان، وعبد الله بن خالد اللذين كانا من رؤساء الموالي في جند دمشق في البيرة. وقد كان لهؤلاء القادة القوة والهيبة والنفوذ في الأندلس. مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 66-70؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 42/2،41.

[3] ابن القوطية، محمد، ***تاريخ افتتاح الأندلس***، 44.

[4] فقد تكفل زعماء الموالي والمروانيين بالأندلس ومنهم: عبيد الله بن عثمان، وعبد الله بن خالد، وتمام بن علقمة، بنقل عبد الرحمن بن معاوية تجاه عدوتهم، إذ اشتروا مركباً وجهزوه بما يحتاج، وأعطى للمولى بدر خمسمائة دينار برسم النفقة، كما رافقه بالمركب علقمة بن تمام، وانطلقا حتى وصلا الجانب المغربي، ثم أخذوا عبد الرحمن وانطلقوا نحو الأندلس. المقري أحمد، ***نفح الطيب***، 42/4.

[5] مؤلف مجهول، ***ذكر بلاد الأندلس***، 112،111؛ المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 317/1.

إلا أن الصميل بن حاتم قد رفض الفكرة وصاحبها، وهدد بقتله في حالة دخوله للأندلس، إذ خشي على حكمه، قائلًا: "إني رأيت في الأمر، فوجدت الفتى الذي دعوتموني إليه من قوم لو بال أحدهم بهذه الجزيرة، غرقنا نحن وأنتم في بوله. واعلموا أن أول سيف يسل عليه هو سيفي"[1].

ثم عرض الموالي الأمر على اليمنية، فقبلوا الفكرة ورحبوا باستقباله، لا لشيء إلا لينتقموا من المضرية[2]. ثم عاد بدر إلى العدوة المغربية بمركب عليه أحد عشر شخصاً من الموالي، فحملوا عبد الرحمن الذي كان بانتظارهم إلى العدوة الأندلسية في ربيع الآخر من سنة 138هـ/755م فالتف أنصاره من الموالي واليمنية حوله حتى قويت شوكته[3].

أخذ عبد الرحمن منذ نزوله أرض الأندلس يطوف في أقاليم الأندلس الجنوبية مدة سبعة أشهر يدعو زعماء العرب والبربر للإنضمام إليه، يحرضهم على حاكمي الأندلس: يوسف الفهري والصميل بن حاتم. عندها أدرك الصميل والفهري بخطره عليهما فخرجوا عليه وقاتلوه بالمصارة[4] جنوب غربي قرطبة على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير، وذلك في العاشر من ذي الحجة سنة 138هـ/755م، وانتصر فيها عبد الرحمن وأنصاره، وتولى بعدها عبد الرحمن زمام إمارة الأندلس وأصبح يعرف بالداخل، لأنه أول من دخل من بني أمية إلى الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية في دمشق، واستطاع أن يحكمها[5]، وبحكمه انتهى عصر الولاة.

---

[1] ابن القوطية، محمد، ***تاريخ افتتاح الأندلس***، 46،47؛ المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 25/4.

[2] المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 25/4.

[3] ابن الكردبوس، عبد الملك، ***تاريخ الأندلس***، 55،56؛المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 26/4؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب*** 44/2؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 145/4.

[4] عرفت هذه الموقعة في المصادر الإسبانية بالأميدا (**Alameda**)، إذ تنتشر في تلك المنطقة أشجار الميدا وبكثرة. العبادي أحمد، ***في تاريخ المغرب والأندلس***، 98. ينظر: ملحق الخرائط، الشكل 5، 145.

[5] المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 318/1؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 46/2؛ ابن القوطية، محمد، ***تاريخ افتتاح الأندلس***، 50.

لذا، نستطيع القول: إن إمارة بني أمية في الأندلس قد تأسست من أرض المغرب، لقرب الاتصال وسهولته بين العدوتين، مما سهل عليه الدخول واصطناع الأتباع، إذ إنّ عبد الرحمن بن معاوية فكر في إقامة مُلك له في المغرب أولًا، وعندما فشل في ذلك انتقلت أنظاره مباشرة _وبصورة طبيعية_ إلى الأندلس، وبهذا تظهر لنا حتمية المصير المشترك بين المغرب والأندلس. واستمر أثر هذا القرب بين البلدين في عصر الإمارة والخلافة الأموية في الأندلس.

(ثانياً) إشراك عبد الرحمن الداخل البربرَ المغاربةَ في تشكيل الجيش الأندلسي

جاء إحياء الدولة الأموية في بلاد الأندلس بعد مضي ست سنوات على هدمها في دمشق، فقد دخل عبد الرحمن الداخل قرطبة متسلمًا زمام حكم الأندلس في العاشر من ذي الحجة سنة 138هـ/755م[1].

لم يكن الأندلس أفضل حالًا أيام حكم عبد الرحمن الداخل عما كانت عليه الأوضاع في عصر الولاة، فقد "لقي فيها حروبًا وقاسى خطوبًا"[2]، إذ عانى منذ تقلده حكم البلاد من الفتن والاضطرابات، فأمضى طيلة سنوات حكمه الثلاث والثلاثين في إخماد الثورات ومقارعة مناوئيه، وصد المؤامرات الداخلية والخارجية من قبل الخلافة العباسية على وجه الخصوص.

فاليمنيون الذين ساندوه ووقفوا إلى جانبه حتى نال مراده لم يكونوا على إخلاص وولاء تامين له، إذ كانت مساندتهم له نابعة من رغبتهم في الانتقام من أعدائهم المضريين، لذلك كانت أولى أهداف سياسته السيطرة الكاملة على البلاد، والتقليل من نفوذ رجال القبائل، وجعل سلطة الدولة ممثلة به محل سلطة القبائل، وخصوصًا عندما علم بالمؤامرة التي تحاك ضده بعد انتصاره على يوسف الفهري، والصميل بن حاتم، إذ علم ما يخطط له أبو الصباح بن يحيى اليحصبي_ زعيم اليمنية في

---

[1] المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 26/4.

[2] ابن الكردبوس، عبد الملك، ***تاريخ الأندلس***، 56،55.

غرب الأندلس_ عندما صرح لثعلبة بن عبيد الجذامي _أحد قواد جند فلسطين_ بعد معركة المصارة، قائلاً له: "يا ثعلبة، هل لك رأي في فتحين في فتح؟ قال: وكيف ذلك؟ قال أبو الصباح: قد استرحنا من يوسف، فاسترح بنا من هذا _أي عبد الرحمن الداخل_ وتكون الأندلس قحطانية"(1). وهو بذلك يعبر عن نواياه المعادية وغير الراضية بحكم عبد الرحمن بن معاوية.

فأسس أول جهاز للشرطة للحكم الجديد، وأحاط نفسه بالمؤيدين من موالي الأمويين، وقلد أقرباءه وبعض القادة الموالين من الأجناد الذين قامت الإمارة على كواهلهم مناصب حساسة في البلاد، إذ ساندوه في دخوله للأندلس، وقاتلوا معه. كما كان لانعدام الوحدة بين خصومه دور كبير في التخلص منهم، الواحد تلو الآخر، وقام بترسيخ أقدام حكمه بإطفاء نيران الفتنة بين القيسيين واليمنيين، وحاول أن يوفق بين البلديين والشامين(2). كل ذلك ليثبت نفوذه، ويوحد صفه؛ ليصد كيد العباسيين والمعارضين.

كان على عبد الرحمن الداخل أن يوطد نفوذه في الأندلس، ويرسخ الأمن فيها، إلا أنه وجد عدم القدرة على تحقيق ذلك من خلال الاعتماد على العرب هناك؛ لكثرة ثوراتهم بتحريض من رؤسائهم، خاصةً العرب اليمنية، لذلك نراه يضطر إلى تعيين زعيم اليمنية أبي الصباح حاكمًا على مدينة إشبيلية، إذ أراد أن يكيف نفسه للظروف القائمة باسترضاء قادة القبائل العرب من اليمنيين. يقول المقري في ذلك: "...وكثرت ثورة رؤساء العرب بالأندلس على عبد الرحمن الداخل، ونافسوه ملكه، ولقي منهم خطوبًا عظيمة، وكانت العاقبة له، واسترابَ في آخر أمره بالعرب، لكثرة من قام عليه منهم، فرجع إلى اصطناع القبائل من سواهم، واتخاذ الموالي..." (3).

---

1 ابن القوطية، محمد، ***تاريخ افتتاح الأندلس***، 52؛ المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 28/4.

2 العبادي، أحمد، ***في تاريخ المغرب والأندلس***، 104؛ فيلالي، عبد العزيز، ***العلاقات السياسية***، 66.

3 ***نفح الطيب***، 321/1.

لذلك، ولى وجهه شطر العدوة المغربية، وأدرك أهميتها في سلامة أراضيه، وتوطيد حكمه على الأندلس، بوصفها الخط الأمامي الواقي لبلاد الأندلس من أي هجوم يشن عليها من جهة الجنوب فأراد أن يقطع الخط على أعدائه العباسيين من استخدامهم للمغرب، بوصفها قاعدة عسكرية لمهاجمته، فقام بكسب ولاء المغاربة باستقدام أعدادٍ كبيرةٍ من بربر زناتة، فأحسن إليهم وأدخلهم في ديوان الجند، إذ قدموا من الجهود لحمايته من بطش ابن حبيب الفهري طوال السنوات الأربع التي قضاها في المغرب، فكان يثق بهم بعد هذه الفترة من العيش بينهم، لذلك نراه يعتمد على القائد البربري إبراهيم بن شجرة الأودي في معركة المصارة[1].

فشكل منهم ومن الذين اشتراهم من الصقالبة[2] جيشًا كثيفًا بلغ تعداده أربعين ألفا، كان أغلبه من بربر المغرب[3]، وقد أشار المقري إلى ذلك بقوله: "واستكثر_عبد الرحمن_ منهم _البربر والعبيد_ فاتخذ أربعين ألف رجل، صار بهم غالبًا على أهل الأندلس، فاستقامت مملكته وتوطدت"[4].

وبذلك، يكون عبد الرحمن بن معاوية قد أسس جيشًا يقوم على إبعاد العنصر العربي من الجند والضباط، والاعتماد على الموالي والبربر والعبيد، ومنهم اتخذ حرسه الخاص[5]. ومن جملة هؤلاء المماليك الذين اشتراهم عبد الرحمن بن معاوية، سودانيون، واضعًا لهم عرافة خاصة بهم، سميت بـ"عرافة السود"، ونظم جيشه في فرقتين: الفرسان، والرجال[6]. وبعملية إقصائه للعنصر العربي في الجيش، اطمأن على حكمه وإمارته من الثائرين والطامعين بها من العرب الذين قاتلهم في المصارة

---

[1] مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 81؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 47/2.

[2] الصقالبة أو الصقالب: هم ما يسمون اليوم السلاف (**Slaves**)، ويرجعون في الأصل إلى الجنس الآري، وظهرت قوتهم حوالي القرن العاشر الميلادي، وازدادوا توسعًا في شرق ووسط أوروبا. وقد انقسم السلاف إلى شعوب عديدة سكنت بلدانًا منها:بلغاريا، وبولندا، وتشيكوسلوفاكيا. فالصقالبة كانوا من الرقيق والخصيان، وكانوا يفدون من بلاد الفرنجة وحوض الدانوب، وبلاد اللونبارد، ومختلف ثغور البحر الأبيض. عبد الفتاح عاشور، سعيد، ***تاريخ أوربا في العصور الوسطى***، 58.

[3] عنان، محمد، ***دولة الإسلام في الأندلس***، العصر الأول (ق.1)، 198؛ سالم، عبد العزيز، ***قرطبة***، 80/1.

[4] ***نفح الطيب***، 36/2.

[5] سالم، عبد العزيز، ***تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس***، 192.

[6] مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 99؛ العبادي، أحمد، ***صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس***، 62.

ومن غيرهم، وبهذه القاعدة يكون عبد الرحمن قد خرج عن نهج أسلافه بالاعتماد على العنصر غير العربي[1].

وبعد أن عقد الألوية، ودانت الأندلس، واستقل له الأمر فيها [2]، واطمأن على ترتيب أوضاعه الداخلية وخصوصًا العسكرية منها، وكسبه ولاء أهل العدوة المغربية، بعد ذلك كله، أعلن عبد الرحمن بن معاوية استقلاله عن الدولة العباسية في بغداد، وقطع الدعاء لهم، ولعنهم على المنابر [3].

وقد نهج أمراء بني أمية وخلفاؤهم _الذين أتوا من بعده_ نهجه في الاعتماد على القوة المغربية في تشكيل قوة جيشهم الأندلسي، فقد مالوا إلى اصطناع الموالي والبربر آلافًا مؤلفة لتكون سندًا لهم، وعونًا يركن إليهم، يثق بهم وقت الحاجة[4]. وسنذكر ذلك عند ذكر أمراء بني أمية وخلفائهم في الأندلس في هذا الفصل والذي يليه.

من هنا، يظهر الدور المغربي في ضبط الأمن داخل الأندلس في هذه المهلة المبكرة من عصر الإمارة، باعتماد الداخل عليهم في تكوين جيشه وتوطيد نفوذه.

---

[1] فيلالي، عبد العزيز، ***العلاقات السياسية***، 67.

[2] المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 310/1.

[3] اختلفت المصادر التاريخية حول المدة التي دعا فيها للخليفة العباسي على منابر مساجد الأندلس أثناء حكم عبد الرحمن الداخل، فابن الأبار يشير إلى فترة أشهر دون السنة، والمقري يحدد المدة في عشرة أشهر. بينما يرى ابن حزم أن الدعاء انقطع للخليفة العباسي بعد سنوات عديدة، أما ابن أبي دينار وابن الكردبوس فيحددان فترة قطع الدعاء لبني العباس على المنابر في عهد حكم عبد الرحمن الناصر (ت. 350هـ/961م). وجاء في كتاب ذكر بلاد الأندلس أن الداخل خطب لأبي جعفر المنصور مدة سنتين، ثم قطع له الخطبة، وأمر بلعن المسودة على المنابر. وما نرجحه هو أن الخطبة قد انقطعت عند دخول أحد أفراد الأسرة الأموية إلى الأندلس سنة 140هـ/660م، وهو عبد الملك بن عمر بن مروان "المرواني"، الذي هدد بقتل نفسه إن لم تقطع الخطبة والدعاء لخلفاء بني العباس، فنزل عبد الرحمن الداخل على رأي المرواني، وقطع الدعاء للخليفة العباسي على المنابر. ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء***، 35/1؛ المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 50/4؛ ابن حزم، علي، ***نقط العروس***، نقلاً عن العبادي، أحمد، ***في تاريخ المغرب والأندلس***، 102. ؛ ابن أبي دينار، محمد، ***المؤنس***، 32؛ ابن الكردبوس، عبد الملك، ***تاريخ الأندلس***، 60،61؛ مؤلف مجهول، ***ذكر بلاد الأندلس***، 114/1.

[4] عنان، محمد، ***دولة الإسلام في الأندلس***، العصر الأول (ق.1)، 198.

(ثالثاً) دور المغرب في الصراع بين العباسيين والأمويين للسيطرة على الأندلس

انحصر تفكير الخليفة العباسي، أبي جعفر المنصور[1] بعد القضاء على مناوئيه في المشرق[2]، في توحيد بلاد العالم الإسلامي، واخضاعها لسلطانه ولا سيما بلاد المغرب والأندلس اللتين انفصلتا عن السلطة المركزية ببغداد[3]، ولم يتمكن من إرجاعهما إلى حظيرة الخلافة؛ لانشغاله في مقارعة مناوئيه وملاحقتهم من جهة، وبعد المسافة بين عاصمة الخلافة العباسية وبلاد المغرب والأندلس في أقصى العالم الإسلامي من جهة أخرى.

---

[1] عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، الملقب بأبي الدوانيق؛ لمحاسبته العمال والصناع على الدوانيق والحبات، ولد سنة 95هـ/14 7م، تولى الخلافة سنة 136هـ/ 755م ، توفي سنة 158هـ/775م. السيوطي، جلال الدين، ***تاريخ الخلفاء***، 208،207.

[2] من أبرز هؤلاء المعارضين المناوئين للخليفة المنصور عمه عبد الله بن علي، الذي خرج عن طاعته وبايع لنفسه بالخلافة في حران بالجزيرة معتمدًاعلى الجيش الذي تحت قيادته، وقد تخلص منه المنصور سنة 147هـ/764م. وكذلك أبو مسلم الخراساني الذي كان يستخف بأوامر المنصور وكتبه، وخصوصاً بعد أن رفض أمر المنصور في تولي ولاية مصر والشام، وأراد أن يبقى عند أهله بعد أن تملك خراسان، وقد اتخذ معه المنصور سياسة التهديد والترغيب إلى أن ذهب الخراساني لمقابلة المنصور، وقد وجه إليه الأخير تهماً تتعلق بنواياه في السيطرة على الخلافة بالانتساب إلى النسب العباسي، ثم أمر المنصور رجاله من الحرس بقتله فقتلوه وذلك عام 136هـ/755م. كما أجهز على ثورة العلويين بقيادة محمد بن عبد الله (النفس الزكية)، فقد كان النفس الزكية يرى أنه أحق بالخلافة من العباسيين بصفته حفيد الحسن بن علي بن أبي طالب واستناداً إلى مبايعة الهاشميين له بالخلافة عند نهاية الخلافة الأموية. فكان المنصور يخشاه وخصوصاً أنه تخلف عن المثول أمام يديه عندما طلبه بالحضور هو وأخوه إبراهيم في وقت الحج عام 140هـ/757م، وكانا مختبئين في الحجاز، وفي سنة 144هـ/761م قام باعتقال كل آل الحسن، وأرسلهم إلى العراق، وسجنهم بالكوفة، لتسترهم عن محمد النفس الزكية، وبعد أن خدعه المنصور بحيلته بإظهار أن دعوته قد انتشرت في الأقطار، وأصبح له اتباع ومؤيدون، خرج النفس الزكية في المدينة المنورة ثائراً على الخلافة العباسية عام 145هـ/762م بعد أن اتفق مع أخيه إبراهيم بالثورة في البصرة، فتاخر إبراهيم عن إعلان ثورته بسبب مرض أصيب به، مما مكن المنصور من التخلص على النفس الزكية -بعد أن فشل المنصور في حل الخلاف حلاً سلمياً بواسطة المراسلات- وقطع رأسه سنة 145هـ/762م بعد هزيمة جيشه بالحجاز. الذهبي، محمد، ***دول الإسلام***، 127/1، 132، 138؛الطبري، محمد، ***تاريخ الرسل والملوك***،474/7، 552، 7/8؛ السيوطي، جلال الدين، ***تاريخ الخلفاء***،209،208؛ العبادي، أحمد، ***في التاريخ العباسي والفاطمي***، 46-53.

[3] لقد خرجت بلاد إفريقية والمغرب الأوسط من نفوذ السلطة المركزية ببغداد عند سيطرة عبد الرحمن الفهري عليها. ثم باستلام قبيلة ورفجومة النفزوية التي أطاحت بالفهريين، التي كانت من غلاة المذهب الخارجي الصفري، وقد استولوا على القيروان سنة 140هـ/757م بقيادة زعيمها عاصم بن جميل –قيل عنه إنه ادعى النبوة-، وقد استحل حرماتها وسبى أطفالها، وهذا ما جعل الخوارج الإباضية من أهل طرابلس يهبون لحمايتها والدفاع عنها، فاستطاعوا طرد الخوارج الصفرية منها والسيطرة على حكم البلاد بزعامة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري سنة 141هـ/758م. وقد عقد المعافري لعبد الرحمن بن رستم على ولاية القيروان، ثم عاد إلى طرابلس بعد أن علم بتجهيزات الخليفة المنصور لإعادة إفريقية وبلاد المغرب لنفوذه. ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 1/ 70، 71؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 229/4.

ولهذه الغاية، جهز جيشًا بقيادة أبي الأحوص، عمرو بن الأحوص العجلي سنة 142هـ/759م. وقد قابل بربر ورفجومة[1] الجيش العباسي عند منطقة سرت[2] التي أسفرت عن هزيمة الجيش العباسي الذي عادت فلوله إلى مصر[3].

إلا أن الخليفة المنصور لم ييأس من تلك الهزيمة، فأرسل جيشًا بلغ عدده أربعين ألف جندي بقيادة محمد بن الأشعث[4] _والي مصر_ وثمانية وعشرين قائدًا. فخرج الجيش إلى تجمع أبي الخطاب المكون من قبيلتي زناتة وهوارة في نواحي منطقة سرت. وقد استطاع ابن الأشعث من إلحاق الهزيمة بأبي الخطاب وقتله وإرسال رأسه إلى بغداد، ثم تابع قتاله مع أحد أعوان أبي الخطاب _وهو أبو هريرة الزناتي_، وقد استطاع ابن الأشعث تمزيق صفه وهزيمته في ربيع الأول سنة 144هـ/761م[5]، واستطاع إخضاع القيروان لنفوذ السلطة العباسية بعد أن فرَّ عاملها عبد الرحمن ابن رستم[6] إلى قبيلة لماية[7]، والتفت حوله القبائل البربرية كقبيلة لواتة ونفزاوة، ثم انتقل إلى

---

[1] إحدى بطون ولهاصة من بطون نفزاوة. تعد قبيلة ورفجومة من القبائل التي اعتنقت المذهب الصفري في بلاد المغرب، وينتسب إليها القائد طارق بن زياد. ابن خلدون، ***العبر***، 107/6؛ الدراجي، بوزياني، ***القبائل الأمازيغية***، 196/1، 197.

[2] مدينة في برقة، بينها وبين طرابلس مائتان وثلاثون ميلاً، وبينها وبين البحر ميلان. الحميري،محمد، ***الروض المعطار***، 312. ويذكر ابن عذاري أنها حصلت بمنطقة مقداس على شاطىء البحر. ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 1/ 71؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 229/4؛ السلاوي، أحمد، ***الاستقصا***، 183/1

[3] النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 39/24.

[4] محمد بن الأشعث، بن عقبة، الخزاعي، من كبار القواد في عصر الخليفة العباسي المنصور، ولاه ولاية مصر عام 141هـ/758م، خرج من القيروان بعد أن أخرجه جماعة من جنده وعلى رأسهم عيسى بن موسى بن عجلان، فعاد إلى العراق، ثم غزا مع العباس عن المنصور بلاد الروم ومات في الطريق. الذهبي، محمد، ***دول الإسلام***، 139/1؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 189/5؛ الزركلي، خير الدين، ***الأعلام***، 39/6.

[5] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 1/ 72

[6] عبد الرحمن بن رستم بن بهرام، فارسي الأصل، مولى عثمان بن عفان، أول من ملك من الرستميين، كان أحد فقهاء الإباضية بإفريقية، بايعه أتباعه بالإمامة بعد أن بنوا مسجدًا وبيوتًا لهم بتاهرت عام 161هـ/ 780م. ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 1/ 196؛ الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 8/2؛ الزركلي، خير الدين، ***الأعلام***، 306/3.

[7] إحدى القبائل البترية من بطون فاتن بن تمصيت إخوة مطغرة، كان جمهورهم بالمغرب الأوسط، اتخذوا برأي الإباضية. ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 143/6 الدراجي، بوزياني، ***القبائل الأمازيغية***، 134/1.

المغرب الأوسط (بالجزائر) وبنى فيها مدينة تاهرت[1]. في الوقت نفسه، بقي المغرب الأقصى منفصلًا عن مركز الخلافة منذ ثورة الخارجي الصفري ميسرة المدغري سنة 122هـ/739م[2].

وفي خضم هذه الأحداث، كان عبد الرحمن الداخل يثبت أركان دولته، إذ ساهمت هذه الثورات بطريقة أو بأخرى في نجاحه بإقامة الإمارة الأموية في الأندلس.

وبنجاح الجيش العباسي في إفريقية على الخوارج الإباضية حقق أبو جعفر المنصور الخطوة الأولى في السيطرة على المغرب والأندلس، وأخذ يمهد للخطوة الثانية المتمثلة بثورة داخلية؛ لإسقاط الإمارة الأموية من خلال الاتصال مع أحد زعماء سكان مدينة باجة _جنوب غربي الأندلس_، وهو العلاء بن مغيث الجذامي[3].

أمام هذه الأحداث التي كانت تعصف بالإمارة الأموية في الأندلس التي كادت أن تجهز عليها، لم يكتفِ الداخل بسحق ثورة العلاء الجذامي والتنكيل بأتباعه فحسب، بل عمل على ترسيخ الولاء مع قبائل زناتة من أهل المغرب، فالمغرب هو الطريق المرشح لعبور القوة العباسية نحو

---

[1] يرجع اختيار موقع بناء تاهرت بوصفها عاصمة للرستميين إلى بعدها عن خطر العباسيين، كما أنها محاطة بقبائل أغلب أفرادها من أنصار المذهب الإباضي، وتتميز تاهرت بغنى أرضها زراعياً وكثرة مراعيها لكثرة مصادر مياهها. ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 132/6؛ الحريري، محمد، ***الدولة الرستمية***، 96،95.

[2] لقد أسفرت تلك الثورات في بلاد المغرب إلى قيام دويلات عديدة مستقلة عن الخلافة العباسية عديدة في المغرب الأوسط والأقصى، منها: دولة برغواطة في تامسنا، ودولة بني سلول في سجلماسة، واستقرت قبائل بنو يفرن ومغراوة ومغيلة بتلمسان، وسيأتي الحديث عن هذه الدويلات في هذا الفصل.

[3] إذ اتفق الخليفة المنصور مع العلاء الجذامي أو اليحصبي بإسقاط حكم عبد الرحمن الداخل مقابل منح الأخير حكم الأندلس وقد أرسل له الخليفة لواء الدولة العباسية وبسجل تعيينه على الأندلس. وقد أخذ العلاء يدعو الناس سراً للدخول في طاعة الخليفة العباسي، فجمع حوله العناصر الساخطة على حكم عبد الرحمن الداخل وخصوصاً اليمنيين الذين لم يروا في عهده النفوذ الذي كان يسعون للحصول عليه في عهده نظير مساعدتهم له في كفاحهم مع المضرية، بالإضافة إلى دخول عدد من المرتزقة من أفريقية إلى الأندلس الذين وقفوا مع العلاء في ثورته. وفي سنة 147هـ/764م ثار العلاء في باجة وقد رفع أعلام العباسيين، فتوجه إليه عبد الرحمن بجيشه إلا أنه هزم وحاصره العلاء في قرمونة (Carmona) _شرقي إشبيلة _ مدة شهرين، ثم هب عبد الرحمن مهاجماً بسبعمائة رجل حتى شتت صفوف المحاصرين وقتل منهم الكثير وعلى رأسهم زعيمهم العلاء الجذامي الذي وضع رأسه _بعد أن حشاه بالكافور والملح_ في قفة، وفيها السجل واللواء العباسي وأرسله مع بعض الحجاج الأندلسيين، وقد استلمها الخليفة المنصور في الحج معقباً: "الحمد لله الذي جعل بيننا وبين هذا الشيطان بحرا". كما أطلق عليه فيما بعد لقب "صقر قريش". أما القتلى الآخرون فقد قطع عبد الرحمن رؤوسهم، وكتب اسم كل واحد منهم على بطاقة علقت في أذنه وأرسلها –الرؤوس- إلى القيروان -التي خضعت للنفوذ العباسي- وألقيت في إحدى أسواق القيروان مع كتاب سجل فيه خبر مقتل العلاء. المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 30/4؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 147/4، 148؛ الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 9؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 2/ 52؛ ابن القوطية، محمد، ***تاريخ افتتاح الأندلس***،54،55؛ مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***، 94،95؛ مؤلف مجهول، ***ذكر بلاد الأندلس***، 114،115/1؛العبادي، أحمد، ***في تاريخ المغرب والأندلس***، 105. ينظر: ملحق الخرائط، الشكل 5، 145.

الأندلس؛ لقرب العدوتين المغربية والأندلسية لاستعادة بلاد الأندلس للحكم العباسي، لذلك، اهتم بتأمين المغرب؛ خصوصًا أنه لا يستطيع توجيه حملات عسكرية ضد العباسيين في إفريقية لبعد المسافة من جهة، والاضطرابات التي لم تنتهِ في بلده من قبل مناوئيه من جهة أخرى. فقرر اللجوء إلى قبائل المغرب _التي حمته عندما كان مطاردًا من عيون العباسيين_، لتشكل خطًّا دفاعيًّا أمام هجمات العباسيين للسيطرة على المغرب والأندلس، فلجأ إلى أخواله من قبيلة نفرة، وقبائل زناتة عمومًا كبني رستم وقبيلة مغيلة التي كان أبو قرة المغيلي شيخها، فقد كانت هذه القبائل _عدا أنها حمته من عيون العباسيين_ تزود جيشه في الأندلس بالمقاتلين الأقوياء[1].

لقد اعتمد عبد الرحمن الداخل في صد كيد العباسيين في بلاد المغرب على أبي قرة المغيلي_ شيخ قبيلة مغيلة_ الذي لعب دورًا كبيرًا في الحفاظ على المغرب من هيمنة الولاة العباسيين ونفوذهم. فقد زار الأندلس بعد أن أمسك عبد الرحمن زمام حكمها، وقد استقبله عبد الرحمن استقبالًا حافلًا، وقربه إليه، وأحسن إلى زوجته "تكفات" التي حمته بالسابق بملابسها عندما أقبل جند عبد الرحمن الفهري إلى بيتها للبحث عنه[2]. وقد مكث أبو قرة بالأندلس عشر سنوات، أي: منذ استلام عبد الرحمن لحكم البلاد حتى عام 148هـ/765م، أي: بعد هزيمة العلاء الجذامي. وقد بايعه أتباعه للمرة الثانية في المغرب منذ أن وصلها بعد غيبته عنهم. ويبدو أن رجوعه بعد هزيمة رجل العباسيين الثائر في باجة كان بإيعاز من عبد الرحمن الداخل، ليكون سندًا له في بلاد المغرب من كيد العباسيين[3].

[1] فيلالي، عبد العزيز، ***العلاقات السياسية***، 76.
[2] المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 322/1.
[3] فيلالي، عبد العزيز، ***العلاقات السياسية***، 77.

لقد كانت أولى مناوشات أبي قرة المغيلي ضد الولاة العباسيين عندما خرج لمهاجمة الوالي العباسي في القيروان الأغلب التميمي[1]، فقد حشد له حشدًا كبيرًا من البربر، فسار إليه الأغلب التميمي بجيشٍ كبير، إلا أن أبا قرة هرب وتفرق أصحابه، وأمام هذا الموقف عزم الأغلب التميمي على دخول تلمسان[2] _مملكة زناتة وقاعدتها_ ثم طنجة، وهذا يتفق والخطة العباسية الهادفة إلى السيطرة على بلاد المغرب؛ للتمهيد إلى السيطرة على الأندلس، وبالتالي جعل أقطار العالم الإسلامي تحت السيادة العباسية. إلا أن جند الأغلب التميمي صرحوا له بقولهم: "قد هرب أبو قرة الذي خرجنا إليه" وأخذوا يتسللون بالرجوع إلى القيروان[3].

ثم هاجم أبو قرة الوالي العباسي، عمرو بن حفص[4] بعد أن جمع بربر المغرب حتى وصل عددهم سبعين ألف مقاتل، تقدم بنصفهم نحو مدينة طبنة[5] سنة 154هـ/ 770م؛ لمقاتلة الوالي الذي جاء لتحصين المدينة، وقد استطاع أبو قرة أن يفرض عليه حصارًا في داخلها، فاضطر الوالي إلى رشوة أحد قواد العسكر البربري بمبلغ مالي مقابل أن ينسحب من جيش أبي قرة. فأوجد القائد بانسحابه تصدعًا في حلف أبي قرة، فقرر الأخير الانسحاب والرجوع إلى تلمسان دون قتال.

---

[1] الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي، جد الأغالبة من ملوك إفريقية، أحد القواد الذين خرجوا في جيش محمد بن الأشعث لقتال أبي الخطاب، ولاه الخليفة المنصور على إمارة إفريقية سنة 148هـ/765م. مات على إثر سهم أصيب به عند قتال الثائر، الحسن بن حرب الكندي في تونس سنة 151هـ/ 768م. ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 1/ 75،74؛ الزركلي، خير الدين، ***الأعلام***، 335/1.

[2] قاعدة المغرب الأوسط، أول مدينة في أول الصحراء، وهي على طريق إلى سجلماسة وغيرها من بلاد الصحراء. الحميري محمد، ***روض المعطار***، 135.

[3] النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 41/24؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 186/5.

[4] عمرو أو عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة ابن أبي صفرة المهلبي، المعروف "بهزار مرد"، أي: ألف رجل، عينه الخليفة المنصور والياً على السند وفارس وهمذان، ثم ولاه على أفريقية بعد قتل الأغلب التميمي سنة 151هـ/ 768. ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 1/ 75؛ السلاوي، أحمد، ***الاستقصا***، 186/1؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 132/6؛ ابن وردان، ***تاريخ مملكة الأغالبة***، 47.

[5] بلدة في طرف إفريقية مما يلي المغرب على ضفة الزاب. الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 3/ 124؛ الحميري،محمد ***الروض المعطار***، 387.

كما رجع عبد الرحمن بن رستم عندما عجز عن تحقيق النصر على ابن حفص، فرجع إلى تاهرت منهزمًا[1].

كما ثار زعيم إباضية طرابلس أبو حاتم المغيلي[2] على الوالي العباسي في القيروان، فحطمها وقتل عمر بن حفص سنة 154هـ/ 770م[3]. ولا نستبعد وجود تنسيق بين ثورتي أبي حاتم وأبي قرة على ولاة العباسيين في القيروان؛ لاشتراك رجال في فتنتهم كجرير بن مسعود أمير قبيلة مديونة_ من بطون فاتن البترية_[4]. وربما كان هذا بإيعاز من عبد الرحمن الداخل لأبي قرة لتنسيق الجهود مع المناوئين للعباسيين في إفريقية.

أمام هذه الهزائم للولاة العباسيين في إفريقية، أرسل الخليفة المنصور بقوة أخرى لإنقاذ الموقف بقيادة يزيد بن حاتم[5]. وقد استطاع هذا القائد القضاء على الثائر أبي حاتم المغيلي، فعادت إفريقية تحت السيطرة العباسية للمرة الثانية سنة 155هـ/ 771م[6].

لقد عجز البربر عن طرد العباسيين عن بلاد إفريقية بعد سيطرة الوالي يزيد بن حاتم عليها إذ كان رجلًا صلبًا ومتمرسًا في مواجهات مثل هذه الأحداث من جهة، كما كان للخلافات القبلية الأثر الكبير في ضعف القوة البربرية من قتال العباسيين من جهة أخرى. وكانت لكل هذه الصراعات التي دارت على مسرح أرض المغرب وإفريقية دورٌ في إشغال وابعاد ولاة العباسيين

---

[1] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 132/6.

[2] أبو حاتم يعقوب بن لبيب، بن مُدين، بن يطوفت، أحد أمراء مغيلة، ويسمى أبا قادم. نفسه، 132/6، 148.

[3] النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 45/24؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 133/6؛ ابن العماد، عبد الحي، ***شذرات الذهب***، 242/2.

[4] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 149/6،148؛ الدراجي، بوزياني، ***القبائل الأمازيغية***، 142/1.

[5] أبو خالد يزيد بن حاتم، بن قبيصة، بن الملهب، بن أبي صفرة، الأزدي، أرسله المنصور لقتال الخوارج، استمر على ولاية إفريقية خمس عشرة سنة. توفي سنة 171هـ/788م. النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 46/24؛ الذهبي، محمد، ***دول الإسلام***، 158/1؛ ابن وردان، ***تاريخ مملكة الأغالبة***، 50،49.

[6] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 1/ 78؛ السلاوي، أحمد، ***الاستقصا***، 188/1؛ ابن العماد، عبد الحي، ***شذرات الذهب***، 252/2.

وخليفتهم، المنصور عن التطلع إلى الأندلس مدة اثنتي عشرة سنة (161/147هـ_764 /777م)[1].

وبالرغم من هذه الأحداث، إلا أن العباسيين أصروا على بسط نفوذهم في بلاد المغرب والأندلس فقد حاول الخليفة العباسي الثالث، المهدي (158–169هـ/ 774–785م)[2] استرداد تلك البلاد من خلال تحالف ثلاثي تمثل بالخليفة العباسي، وملك الفرنجة شارلمان (Charlemagne)(768م_814م)[3]، وزعيمين محليين من المغرب والأندلس[4]. وقد انتهت تلك المؤامرة الثلاثية بالفشل على يد عبد الرحمن الداخل سنة 162هـ/778م، ويعود ذلك إلى عدم وجود تنسيق دقيق بين الأطراف المتآمرة من جهة، وبعد المسافة وصعوبة المواصلات من جهة أخرى. ولم يكتفِ عبد الرحمن بإلحاق الهزيمة على الحلف بل قام بتجهيز جيشٍ لإزالة الحكم العباسي من أساسه ردًا على مؤامرتهم السابقة، إلا أن الظروف لم تسعفه، فقد نشبت ثورة في بلاده فاضطر إلى توجيه ذلك الجيش لإخمادها[5].

ثم حاول الخليفة العباسي الثامن، المعتصم بالله[6] أن يجيش الجيوش؛ لإعادة سلطان الخلافة العباسية على المغرب والأندلس، إلا أنه اشتد عليه مرضه ومات[7].

---

[1] فيلالي، عبد العزيز، ***العلاقات السياسية***، 79.

[2] أبو عبد الله محمد بن المنصور، بن محمد، بن علي ،المهدي بالله، ولد بإيذج من كور الأهواز 127 هـ/ 744 م، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه أبي جعفر المنصور عام158 هـ/ 775م. توفي عام 169 هـ/ 785م. السيوطي، جلال الدين، ***تاريخ الخلفاء***، 217.

[3] لقد كانت مصلحة شارلمان من هذا التحالف تأمين حدوده الجنوبية في الأندلس من جهة، وتحقيق هدفه في إحياء الإمبراطورية الرومانية. العبادي، أحمد، ***في تاريخ المغرب والأندلس***، 106.

[4] وهما: عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي، والثاني سليمان بن يقظان الكلبي الأعرابي حاكم مدينة سرقسطة، فقد كان يعادي عبد الرحمن الداخل لميوله للمضرية، ويعادي اليمنية التي ينتمي إليها سليمان الكلبي. نفسه، 107.

[5] فقد ثار عليه بالأندلس الحسين بن يحيى الأنصاري بمدينة سرقسطة سنة 163هـ/779م، فوجه إليه ذلك الجيش الذي تمكن من القضاء على الثورة، وقطع رأس الحسين، وتم إعادة سرقسطة إلى حكم عبد الرحمن الداخل سنة 166هـ/782م. مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***،105؛ النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 24/24.

[6] أبو إسحاق، محمد بن الرشيد، ولد سنة 180هـ/797م، بويع للخلافة بعد المأمون سنة 218هـ/833م، توفي عام 227هـ/ 842م. السيوطي، جلال الدين، ***تاريخ الخلفاء***، 265.

[7] يروي أحمد بن الخصيب أن المعتصم قال له: إن بني أمية ملكوا وما لأحد منا ملك، وملكنا نحن ولهم بالأندلس هذا الأموي، فقدر ما يحتاج إليه لمحاربته، وشرع في ذلك، فاشتدت عليه علته ومات. نفسه، 267.

يعود نجاح عبد الرحمن الداخل في صده لتلك الهجمات إلى جيشه المنظم الذي كان يقوده بنفسه، أو من خلال قواد أكفاء مخلصين له من جهة، وتوحيده لقبائل أهل الأندلس من جهة ثانية، ومن جهة ثالثة ولاء القبائل القاطنة في العدوة المغربية كقبيلة زناتة البربرية التي كانت تعبر إلى الأندلس بانتظام لتغذي الجيش الأندلسي بالمقاتلين [1].

ومما زاد من متانة العلاقة والإخلاص من زناتة إلى عبد الرحمن الداخل هو ولاؤها لبني أمية وللمروانيين في الأندلس، وهذا ما جعل من بطون زناتة كبني يفرن ومغراوة محافظين على المذهب السني (مذهب الإمارة الأندلسية)[2]. وبذلك، استطاع الداخل أن يمسك جبهة العدوة المغربية من أي خطر يهدد إمارته من الجنوب.

بعد وفاة أمير الأندلس، عبد الرحمن الداخل سنة 172هـ/ 788م، تولى ابنه هشام (ت. 180هـ/ 796م) حكم البلاد، فثار أخواه سليمان(ت. 184هـ/ 800م)، وعبد الله(ت. 208هـ/ 823م) عليه، إذ طالباه بالعرش. وقد تمكن من إخضاعهما متفقًا معهما بمغادرة البلاد، ومنح لأخيه سليمان ستين ألف دينار مقابل تنازله عن الإمارة، بوصفه الأخ الأكبر، وقد غادر الأخوان الأندلس، متجَهين نحو العدوة المغربية التي تعد مركزًا للاجئين السياسيين والثائرين المنفيين من الأندلس[3]. إذ تعد العدوة المغربية أقرب نقطة للعدوة الأندلسية، يسهل على المقيم فيها معرفة

---

[1] فقد كان لهذه القبائل دور كبير في مناوشة ولاة العباسيين في أفريقية والمغرب بعد أن أحسن إليهم الدلخل، وإلى زعمائهم كأبي قرة _زعيم مغيلة_ الذي استقبله خير استقبال طيلة مكوثه بقرطبة العشر سنوات مع زوجته، مفضلهم بذلك على العنصر العربي. لذلك مال بربر المغرب إلى دخول الأندلس والإنتماء للجيش الأندلسي، إذ إنه لا يستطيع الاعتماد على اليمنيين الطامعين بالحكم، ولا على القيسيين الذين والوا خصمه الصميل بن حاتم ويذكرون مرارة هزيمتهم على يده، بالإضافة أنه لا يستطيع الاعتماد على بربر الأندلس الذين حاربوا إلى جانبه كرهًا بأخصامه لا حبًا ببني أمية، ثم تمردوا عليه، فقد تعرض الداخل إلى ثورة كبيرة دامت عشر سنوات على يد بربري يسمى شقيا بن عبد الواحد المكناسي الذي ثار في منطقة شنتمرية في شمال شرق الأندلس، وقد ادعى أنه من آل البيت ليتقبل الناس دعوته بصبغها صبغة دينية شيعة، وكانت أمه تسمى فاطمة، فادعى أنه فاطمي وتسمى بعبد الله بن محمد. ولم يستطع الداخل هزيمته، وانتهى أمره بمؤامرة دبرها الداخل عبر اثنين من رجال شقيا وهما: أبو معن داود بن هلال، وكنان بن سعيد الأسود، فجاءا برأسه إلى الداخل في قرطبة سنة160هـ/776م وانتهت ثورته. ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 148/4؛ مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***،97-101؛ ابن عذاري، أحمد ***البيان المغرب***، 54،55/2؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 200/5.

[2] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***المقدمة***، 220.

[3] ابن سعيد، علي، ***المغرب في حلى المغرب***، 39،40/1؛ الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 11.

الأخبار أو الأحداث الجارية في الأندلس من جهة، ومن جهة أخرى: تعد المكان المفضل لكسب ولاء القبائل أو إعداد مرتزقة للهجوم والدخول على الأندلس.

فنزل سليمان بن عبد الرحمن طنجة، بينما أخذ عبد الله يتنقل في بلاد المغرب وإفريقية، ربما يكسب ولاء قبائلها للإطاحة بأخيه هشام في الأندلس، واستقر في بلاط صاحب تاهرت عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (ت. 211هـ/ 826م). وعندما سمع عبد الله خبر موت أخيه هشام، وتقلد ابنه الحَكَم (ت. 206هـ/ 822م) زمام حكم البلاد، أسرع بالعبور إلى الأندلس للاطاحة به. ثم عبر سليمان المضيق متجهًا إلى الأندلس مع مرتزقة من الطنجيين سنة 182هـ/ 798م، محاولًا دخول قرطبة، إلا أن جنودها هزموه أكثر من مرة حتى تم قتله سنة 184هـ/ 800م[1].

وعليه، فقد شكل المغرب حلقة الصراع بين العباسيين والأمويين للسيطرة عليه بوصفه الخط الاستراتيجي والأمني للأندلس، فهو بمثابة الدم والقلب للإمارة الأندلسية، لذلك دافع عنه عبد الرحمن الداخل من خلال أنصاره من القبائل البربرية في مناوشتهم للولاة العباسيين في إفريقية والمغرب، فقد كان مشغولًا في أوضاع بلاده المضطربة التي نشبت منذ توليه حكم الأندلس. كما رمى العباسيون ثقلهم للسيطرة على المغرب والأندلس وإخضاعهما لنفوذ الخلافة العباسية. كل ذلك يدلل على مدى أهمية واستراتيجية المغرب للعدوة الأندلسية.

---

[1] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 2/ 71؛ ابن سعيد، علي، ***المغرب في حلى المغرب***، 1/ 39،40؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 308/5، 309.

(رابعاً) العلاقة بين الأندلس ودويلات المغرب

لم تكن بلاد الأندلس بمعزلٍ عن مجريات الحياة السياسية في بلاد المغرب من أقصاه إلى أدناه الذي فرضه عليها التقارب الجغرافي، إذ كان له الدور الكبير في تحديد سياسة كل طرف مع الآخر. ومع عدم قدرة الخلافة العباسية من السيطرة على بلاد المغرب؛ لبعد هذه البلاد عن مركز الدولة في بغداد، وفشلها في محاولة استرجاع الأندلس للسبب نفسه، لم تستطع مع تلك الجهود أن تمد سلطانها إلى أبعد من منطقة أربة، آخر مدن إقليم الزاب[1]، إذ يشير اليعقوبي[2] إلى أنها آخر أعمال بني الأغلب، ولم يتجاوزها المسودة. فعاشت بلاد المغرب فيما وراء الزاب حتى ساحل المحيط فراغًا سياسيًا، نشأت فيه دويلات مستقلة عديدة كالأدارسة في المغرب الأقصى والرستميين بالمغرب الأوسط، والأغالبة في أدناه[3].

ونتيجة لتعدد الدويلات القائمة في المغرب، فإن علاقاتها مع الخلافة العباسية أو مع الأندلس اعتمدت على تحقيق مصالحها، لذلك نجد التحالفات والعلاقات السياسية قامت على هذا الأساس _رغم الاختلاف المذهبي_. وقد تميزت تلك العلاقات بطابع سياسي أو دبلوماسي أكثر منه طابعًا عسكريًا.

- **الأدارسة**

لقد اتسمت العلاقة بين الأمويين والأدارسة _أقرب الدويلات إلى الأندلس_ في المغرب الأقصى[4] في بدايتها بالود والتفاهم، فكلاهما يشتركان في عدائهما للخلافة العباسية التي كانت

---

1 كورة عظيمة ونهر جرار بأرض المغرب على البر الأعظم، عليه بلاد واسعة، وقرى متواطئة بين تلمسان وسجلماسة والنهر متسلط عليها. الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 124/3.

2 ***تاريخ اليعقوبي***، 131/2.

3 ينظر: ملحق الخرائط، الشكل 6، 146.

4 يعد إدريس بن عبد الله، بن الحسن، بن الحسن، بن علي، بن أبي طالب، مؤسس دولة الأدراسة في المغرب الأقصى، فر من بلاد الحجاز على أثر معركة فخ سنة 169هـ/ 785م، فذهب إلى مصر، ثم النوبة، ثم استقر عند قبيلة أوربة بالمغرب الأقصى، فنزل عند زعيمها إسحاق بن محمد، بن عبد الحميد، في مدينة وليلي بالقرب من مكناس، بايعته القبيلة زعيماً لها سنة 172هـ/ 788م، بوصفه من أحفاد النبي (عليه السلام) وسيدنا علي (كرم الله وجهه). ثم بايعته صنهاجة وهوارة وزناتة، ثم دخلت قبيلتا

تحاول إخضاع بلاد المغرب والأندلس لسلطان الخليفة العباسي ونفوذه، وتحقيق وحدة البلاد الإسلامية، فالخلافة هي دولة واحدة لكل المسلمين، يرأسها خليفة واحد، لا يجوز أن تتجزأ. لذلك تلاقت مصالح الأدارسة والأمويين في التعاون المشترك للحيلولة دون خضوع المغرب للعباسيين.

وتشير الروايات التاريخية إلى الوفود القادمة من إفريقية والأندلس لتهنئة إدريس الثاني على اعتلائه عرش حكم الأدارسة، إذ أراد الحكم بن هشام من ورائها تعزيز الثقة بين البلدين ووحدتهما ضد خصومهم العباسيين، وولاتهم من حكام الأغالبة في القيروان(1).

بني يفرن ومغراوة تحت نفوذه عندما دخل تلمسان صلحاً سنة 173هـ/ 789م، وأعلن استقلاله عن إفريقية وبلاد المغرب، إلا أن زعامته لم تدم طويلاً، فقد قتل مسموماً سنة 175هـ/ 791م بالسم الذي دسه رجل يسمى سليمان بن جرير المعروف بالشماخ بايعاز من الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد (ت. 193هـ/ 809م)، عندما علم أنه يخطط للسيطرة على إفريقية والعالم الإسلامي بأسره. فقد لجأ إلى هذه الحيلة لعدم قدرته على قتاله في بلاد المغرب البعيدة وهذا ما صرح به ليحيى البرمكي في قوله: "لقد عزمت على أن له جيشاً عظيماً لقتاله، ثم تفكرت في بعد البلد و طول المسافة، وتنافر المغرب من المشرق، ولا طاقة لجيوش العراق للوصول إلى السوس من أرض المغرب، فرجعت عن ذلك، وقد هالني أمره" فأشار إليه يحيى البرمكي بقتله بالسم.

ثم تمت البيعة لإدريس الثاني بعد مقتل راشد بن منصة الأوربي – مولى إدريس الأول- سنة 186هـ/ 802م_أي بعد إحدى عشرة سنة من ولادته ومقتل أبيه_ وقد أرسل إبراهيم بن الأغلب برسالة للخليفة الرشيد يقول فيها:

ألم ترني أرديت بالكيد راشداً ... وأتى بأخرى لابن إدريس راصد
تناوله عزمي على بأي داره ... بمختومة في طيهن المكائد
فتاه أخو عك بمقتل راشد ... وقد كنت فيه شاهدا وهو راقد

وقد خاض إدريس الثاني معارك عديدة لنشر الإسلام بين أغمات ونفيس سنة 197هـ/ 812م التي كان يدين أهلها بالنصرانية واليهودية. كما أخضع تلمسان، واستقر بها مدة ثلاث سنوات لتأمين حدود دولته الشرقية إزاء خطر الخوارج الأباضية بالمغرب الأوسط (الجزائر)، ثم خضعت له طاعة البربر في المغربين الأوسط والأقصى، وأسفر هذا التوسع (العلوي) عن نذير إبتلاع القيروان وإفريقية ذات الولاء والطاعة للعباسيين. فوقعت المناوشات بين القيروان والأدارسة، وقد استطاع أمير القيروان وإفريقية إبراهيم بن الأغلب(ت. 196هـ/ 811م) تأليب أقارب وأولياء إدريس الثاني عليه وكسبهم إلى جانبه كبهلول بن عبد الواحد المدغري-شيخ قبيلة طغرة-، إذ استهواه بالمال، فمال إليه وبايع الخليفة العباسي الرشيد، فكتب فيه إدريس قائلاً:

أبهلول قد شممت نفسك خطة ... تبدلت منها ضلة برشاد
أضلك إبراهيم من بعد داره ... فأصبحت منقادا بغير قياد
كأنك لم تسمع بكر ابن الأغلب ... وقد ترامى بالكيد كل بلاد
ومـن دون ما منّتك نفسك خاليا ... ومنّك إبراهيم شوك قتاد

كما كان خائفاً من تمرد البربر ووقوفهم مع أمير القيروان، فقام بقتل زعيمهم إسحاق بن محمد سنة 192هـ/ 808م عندما شعر بتآمره مع ابن الأغلب بسبب تحوله وانتقاله من العاصمة فاس إلى المدينة العالية أو القرويين. ثم لجأ إدريس الثاني في نهاية المطاف إلى أن يستعطف ويُذكر أمير القيروان بقرابته من النبي (عليه السلام). وكفى الله المؤمنين القتال. ابن أبي الزرع، أحمد، ***روض القرطاس***، 5،12؛ السلاوي، أحمد، ***الاستقصا***، 203/1وما بعدها؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر*** 9/4-126،141/6 – 30/7؛ الطبري، محمد، ***تاريخ الرسل والملوك***، 198،199/8؛ مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 85؛ الجزنائي علي، ***جنى زهرة الآس***، 12؛ البكري، عبد الله، ***المغرب***، 122،123؛ ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء***، 111/1؛ ابن القاضي، أحمد، ***جذوة الاقتباس***،25/1؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 83،84/1؛ النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 55،56/24؛ سالم، عبد العزيز، ***تاريخ المغرب الإسلامي***، 417.

[1] ابن القاضي، أحمد، ***جذوة الاقتباس***،27/1؛ الجزنائي، علي، ***جنى زهرة الآس***، 17؛ السلاوي، أحمد، ***الاستقصا***، 162/1؛ ابن أبي الزرع، أحمد، ***روض القرطاس***، 26؛ فيلالي، عبد العزيز، ***العلاقات السياسية***، 91.

إلا أن تلك العلاقة الودية سرعان ما تغيرت إلى كراهية بينهما، فقد استقبل إدريس الثاني من فرسان الأندلس الساخطين على حكم الحكم بن هشام، إذ كان وحيدًا بين البربر ليس معه عربي[1]، وكان هؤلاء الفرسان يمثلون النخبة الأرستقراطية العربية في قرطبة[2]، لذلك سُرَّ بوفادتهم، وأجزل صلتهم وقربهم إلى بطانته دون البربر[3]، وانخرطوا في جيشه[4].

وازداد التوتر بينهما عندما استقبل إدريس المنفيين الربضيين سنة 202هـ/818[5] بعد أن فشلوا في ثورتهم ضد الحكم بن هشام، فقد توجه الربضيون بعد أن أجلاهم الحكم عن الأندلس إلى المنطقة الأقرب لحدودهم _وهي المغرب الأقصى_ التي لم تكن على وفاق مع الإمارة الأموية آنذاك. ويقدر ابن أبي الزرع عددهم نحو ثمانية آلاف شخص[6].

---

1 ابن القاضي، أحمد، ***جذوة الاقتباس***،27/1؛ الجزنائي، علي، ***جنى زهرة الآس***، 18.

2 بروفنسال، ليفي، ***الإسلام في المغرب والأندلس***، 36.

3 فقد استوزر عمير بن مصعب الأزدي – أحد فرسان العرب وسادتها- ، وولى القضاء عامر بن محمد بن سعيد القيسي من قيس عيلان. ابن القاضي، أحمد، ***جذوة الاقتباس***،27/1.

4 الجزنائي، علي، ***جنى زهرة الآس***، 17.

5 ثورة قام بها سكان قرطبة -القاطنون بالقرب من جامعها وقصر أميرها وأسواقها- من المولدين الذين لم يكن لهم صوت مسموع في المجتمع الأندلسي،وقد شعروا بنقص حقوقهم بالرغم من كبر شريحتهم بالمجتمع آنذاك، وتحملوا الضرائب دون أن يكون لهم أي نصيب من ثروات البلاد أو مناصب عليا بالدولة التي كانت حكراً على الطبقة العربية الأرستقراطية الحاكمة. كما كان للفقهاء في ذلك الحي أو الربض دور كبير في تأليب الناس على الحكم، إذ حاول الحكم أن ينتزع منهم سلطتهم التي منحها أبوه هشام لهم، ويكف أيديهم عن التدخل في شؤون دولته، بالإضافة إلى سلوك الحكم النافي للشرع، فقد كان أهل الربض ينادونه ليلاً من أعلى صوامعهم:"الصلاة الصلاة يا مخمور". وقد كان السبب الرئيسي أو المباشر في هذه الثورة (الشرارة) قيام جندي من حرس الأمير بقتل حداد- وهو من طبقة المولدين- من أهل الربض لتباطئه في إصلاح سيف الجندي، فغضب الربضيون لتلك الجريمة فقتلوا الجندي، وأغلقوا محلاتهم وأسواقهم واتجهوا نحو قصر الحكم يطالبون بإسقاطه وقتله باعتباره المسؤول الأول عن تلك الحادثة. فاستدعى الحكم كبار حرسه ومسؤولينهم وأمرهم بالدفاع عن القصر والقيام بحرق الحي ببيوته ومحلاته. وعندما رأى الثوار احتراق الربض هبوا لإطفائه، فلحقتهم جيوش الحكم فوقع الثوار بين فكي كماشة، الحريق وجند الحكم، فقتل منهم خلق كثير حتى سمي الحكم بـ"الحكم الربضي" لعظم الحادثة، ويرجع فشل هذه الثورة إلى عدم وجود قيادة تنظم وترتب الثورة حتى تحقق هدفها. وقد أمر الحكم من تبقى من الربضيين بترك البلاد بعد أن جعل الربض أرضًا زراعية وبساتين، وقد بقي اسم الربض يطلق إلى يومنا هذا على تلك الجهة باسم (Arrabal). ابن سعيد، علي، ***المغرب في حلى المغرب***، 43/1؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 2/ 76،75؛ العبادي، أحمد، ***في تاريخ المغرب والأندلس***، 128-131؛ سالم، عبد العزيز، ***تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس***، 223، 224؛ عنان، محمد، ***دولة الإسلام في الأندلس***، العصر الأول (ق.1)، 245؛ الشعراوي، أحمد إبراهيم، ***هياج الربض***، ندوة الأندلس الدرس والتاريخ، القاهرة، 1994، 37،44؛ عثمان، محمد عبد العزيز، ***ثورة الربض ثورة شعبية***، مجلة آفاق عربية، ع3، 78 وما بعدها.

6 ***روض القرطاس***، 47.

وقد كان إدريس الثاني بحاجة ماسة إلى هؤلاء؛ لإعمار مدنه كمدينة العالية أو العلية التي بناها سنة 192هـ/ 808م، مقابل العاصمة فاس[1] التي أسسها أبوه إدريس الأول، التي لا يفصلها عنها إلا نهر صغير. وقد سخر تلك الأيادي في بناء العاصمة على الطراز الأندلسي، فسميت مدينة أبيه بـ "الأندلسيين" نسبة إلى الأندلسيين المنفيين الذين بنوها بمظاهر المدنية الأندلسية، إذ كان معظم هؤلاء الأندلسيين يجيدون من الحرف والصناعات إلى جانب الزراعة الكثير، فأعطوا المدينة طابعًا أندلسيًا في مجال الصناعة، وأبنيتها البيضاء ذات الحدائق الداخلية في أحواشها وزرعوا المدينة بالشجر، والكروم، والزيتون، وضروب الثمار، فعمرت الأرض بالحراثة والغراسة[2] إذ اشتهر الأندلسيون في بلادهم ببراعتهم في الزراعة ووسائل الري والصرف، فحظيت العلوم الزراعية بعناية فائقة عندهم، فأقيمت البساتين والحدائق التي كان يشرف عليها علماء في هذا المجال فكانت بمثابة مختبرات فيها تجرى تجاربهم، وقد وصف المقدسي تلك البساتين بـ"جنات الأرض"[3]، فبلغت الزراعة في الأندلس من التقدم أكثر ما بلغته أوروبا التي اقتبست من علوم المسلمين في الزراعة[4]. بينما بنى العرب القادمون من القيروان وإفريقية مدينة العالية التي سميت باسمهم مدينة "القرويين" الذين اشتهروا بالتجارة فأكثرهم صناع وسوقة[5].

أمام هذا الخلاف، خشي الحكم بن هشام على عرشه وحكمه لبلاد الأندلس من قيام الأدارسة (العلويين) باجتياح بلاده، خصوصًا بعد استقبال إدريس الثاني للفرسان الأندلسيين والربضيين العالمين بأحوال بلاد الأندلس وطرقها، فدفعه خوفه إلى مصادقة ملك الفرنجة شرلمان؛ ليكون سندًا

---

[1] مدينة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر. وحول بناء فاس، ينظر: السلاوي، أحمد، ***الاستقصا***، 220/1؛ الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 4/ 230.

[2] ابن القاضي، أحمد، ***جذوة الاقتباس***،38،39/1؛ مؤلف مجهول، ***الاستبصار***، 180؛ العبادي، أحمد، ***في تاريخ المغرب والأندلس***، 132.

[3] ***أحسن التقاسيم***، 235.

[4] العصيمي، إيمان، ***العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس***، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 2009، 141.

[5] القلقشندي، أحمد، ***صبح الأعشى***، 154/5؛ البكري، عبد الله، ***المغرب***، 115،116؛ ابن القاضي، أحمد، ***جذوة الاقتباس***،37/1؛ مؤلف مجهول، ***الاستبصار***، 180.

له وعونًا في التصدي لأي هجوم محتمل من قبل الأدارسة؛ لضم بلاد الأندلس وما بعدها إلى دولتهم، كما منعهم من الدخول إلى بلاده من جهة العدوة الأندلسية[1]. وبهذا، يتجدد العداء الأموي العلوي الطويل _مرة أخرى_، ولكن هذه المرة في أقصى غرب العالم الإسلامي.

بالإضافة إلى حرص أمراء بني أمية في الأندلس على الحفاظ على المذهب السني دون غيره، فلم يسمحوا للمذاهب الأخرى أن تنتشر بين سكان الأندلس _ولا سيما المذهب الشيعي_، فيذكر المقدسي ذلك بقوله: "وأما المذاهب فعلى ثلاثة أقسام:_مذهب أبي حنيفة النعمان (ت.150هـ/766م)، والإمام مالك بن أنس (ت.179هـ/795م)، والمذهب الفاطمي_، أما في الأندلس فمذهب مالك... فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه، وإن عثروا على معتزلي أو شيعي ربما قتلوه"[2].

كما اتخذ أمراء بني أمية حالة الحرب مع كل المناوئين لحكم بني أمية، ولا سيما المصبوغة بصبغة مذهبية كثورة شقيا المكناسي الذي حاربه الداخل عشر سنين حتى أجهز عليه وقتله[3]. وبتلك الإجراءات، حافظ الأمويون على إمارتهم، بدرء التشيع في بلادهم، والتمسك بالمذهب السني.

- **الرستميون**

وفي خضم هذا العداء العلوي السني بين الأمويين والأدارسة من جهة، والصراع بين الأغالبة _قلعة العباسيين في إفريقية والمغرب الأدنى_ والأمويين بالأندلس من جهة ثانية، لم يكن أمام ساسة الإمارة الأموية إلا التحالف وتوثيق العلاقة مع الرستميين بالمغرب الأوسط، فكلاهما يحققان في حلفهما درء عدوهما من الأغالبة _رجال العباسيين_ والأدارسة العلويين. فجاء هذا الحلف المشترك كصمام أمان لهما، خصوصًا للإمارة الأموية في الأندلس، إذ كانت شبه محاصرة

---

[1] L. Provencal، ***Histoier de Espagne***، T.1، p149

[2] ***أحسن التقاسيم***، 236،237.

[3] كثورة شقيا عبد الواحد المكناسي. ينظر: صفحة 61 ، الهامش رقم 1.

من الشمال بسبب هجمات الفرنجة من ناحية، ومن خطر الجنوب المتمثل بدولة الأدارسة العلوية بالمغرب الأقصى من ناحية أخرى. وهاتان الدولتان _بالإضافة إلى دولة الأغالبة_ أوصدت جميع المنافذ والسبل في وجه الإمارة الأموية، لذلك، لم يكن أمام القيادة الأندلسية إلا تشكيل حلف مع الرستميين في المغرب الأوسط، باعتباره حلقة وصل بين الأندلس وإفريقية. فكان هذا التحالف مع الدولة الرستمية بمثابة الشريان الحيوي الوحيد الذي بإمكانه تغذية تلك الإمارة بالحياة، سياسيًا واقتصاديًا، وعسكريًا. ورغم الاختلاف المذهبي السني الإباضي، إلا أن العلاقة بينهما كانت ودية[1]، إذ كان التحالف سياسيًا أكثر منه مذهبيًّا، فالخلافات المذهبية في تلك الظروف تذوب أو تكاد؛ لحماية وجودهم وكيانهم من أي خطر.

لم تكن تلك العلاقة وليدة الظروف الراهنة للبلدين، بل كانت الصداقة قائمة بينهما قبل قيام الإمارة الأموية في الأندلس، فقد كان عبد الرحمن بن رستم[2]_مؤسس الدولة الرستمية_ مولى لغمر ابن يزيد بن عبد الملك بن مروان(ت.132هـ/750م)[3]. كما يعدّ الجد الأول لبني رستم _من أصل فارسي_، بَهْرام بن سام، مولى عثمان بن عفان[4].

كما حمى بنو رستم عبد الرحمن بن معاوية عندما هرب من بني العباس وعيونهم في

---

1 ابن حيان، ***المقتبس***، 267،268.

2 عبد الرحمن بن رستم، بن بهرام، مؤسس مدينة تاهرت في المغرب الأوسط (الجزائر)، وأول من ملك من الرستميين، ويعدّ أحد فقهاء الإباضية بإفريقية، تولى القيروان سنة 141هـ/758م بأمر من أبي الخطاب عبد الأعلى بن الشيخ المعافري-الذي بايعه الإباضيون خارج مدينة طرابلس سنة 140هـ/757م-. وعندما زحف ابن الأشعث ودخل القيروان وقتل أبا الخطاب سنة 144هـ/ 761م، فرّ عبد الرحمن بأهله وما خلف من ماله إلى الغرب، ولحقت به جماعات من الإباضية، فنزل بموضع (تاهرت)، وكان غيضة بين ثلاثة أنهار، وفيها آثار عمران قديم، فبنى أصحابه فيها مسجداً من أربع بلاطات وبنوا مساكنهم سنة 161هـ/778م وبايعوه بالإمامة، فأقام إلى أن توفي171هـ/788م، وهو فارسي الأصل، كان جده بهرام من موالي عثمان ابن عفان. ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 131،132؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 196،197/1؛ الباروني، سليمان، ***الأزهار الرياضية***، 2،84/2.

3 ابن حيان، ***المقتبس***، 267.

4 ***جمهرة أنساب العرب***، 511؛ الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 8/2؛ الباروني، سليمان، ***مختصر تاريخ الإباضية***، 37.

إفريقية، فقد أشار المقري إلى ذلك في قوله: "وآل أمره في سفره –عبد الرحمن بن معاوية_ إلى أن استجار ببني رستم، ملوك تيهرت _أي تاهرت_ من المغرب الأوسط"[1].

في إطار التعاون السياسي بين الدولتين، ارتبطت كل منهما بالأخرى ارتباطًا وثيقًا، فكان زعماء كل دولة يتابعون نشاط الدولة الأخرى عبر الرسائل والوفود المتبادلة بينهما. وقد استقبل الرستميون كبار رجال الأندلس الذين وفدوا إلى تاهرت واستوطنوها، وأصبح بعضهم يساعد بعض الأئمة في شؤون الإدارة والحكم، ومن أبرز هؤلاء شخصيتان كانتا في تاهرت عند وفاة عبد الرحمن ابن رستم، هما: مسعود الأندلسي، وعمران بن مروان الأندلسي، وكان الإمام قبل وفاته قد جعل الإمامة شورى بين سبعة من رجال الدولة الرستمية ممن توسم فيهم الصلاح والعلم والتقوى، ومنهم مسعود وعمران الأندلسيان. وقد وقع الاختيار على اثنين منهم، وهما: مسعود الأندلسي، وعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم. وقد مال الجمهور إلى مسعود الأندلسي، لكنه توارى عن الأنظار تعففًا من عظم أمانة الحكم إلى أن تحقق أنهم ولوا وجوههم عنه، وهرعوا إلى بيعة عبد الوهاب بن عبد الرحمن، فبادر إلى تقديم البيعة له[2].

ظلت الدولتان تسعى كل منهما إلى كسب صداقة الأخرى، ففي سنة 207هـ/ 822م بعث الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم أبناءه في سفارة إلى قرطبة، وكان يوم وصول هذه السفارة الرستمية يومًا عظيمًا مشهودًا، إذ استقبلهم عبد الرحمن الثاني في غاية الاحتفال والإكرام ويذكر ابن سعيد أن الأمير الأموي قد "أنفق ألف ألف دينار" حتى أصبح ذلك حديث الناس

---

[1] ***نفح الطيب***، 24/4.

[2] الباروني، سليمان، ***الأزهار الرياضية***، 100/2،99؛ الحريري، محمد، ***الدولة الرستمية***، 215.

ومصدر إعجابهم[1]. مما يظهر ذلك الإنفاق والتكريم على أهمية الدولة الرستمية لدى الإمارة الأندلسية في ظل المخاطر المحدقة بها.

ومن المرجح، أن هذه السفارة كانت تسعى إلى توثيق العلاقات الودية بين الدولتين، وتأكيد دعم وتأييده تاهرت لقرطبة في مواجهتها للثائرين عليها، وذلك بدعمها جيش الإمارة الأندلسية بقوة عسكرية من المقاتلين الأشداء[2].

وبالمقابل وجد في بلاط قرطبة شخصيات رستمية كان لها من التأثير في الدفاع عن الأندلس وإدارته ما يثير الإعجاب، ويسترعي الحفيظة، أمثال: سعيد بن محمد، بن عبد الرحمن، بن رستم وابنه محمد، وعبد الرحمن بن رستم[3]. وقد أشار ابن الأبار إلى أن محمد بن سعيد بن رستم (ت.235هـ/850م) كان أديبًا، حكيمًا، لاعبًا بالشطرنج، شاعرًا، وقد ورث هذه العلوم عن بيته الرستمي، وهو الأمر الذي جعل عبد الرحمن الثاني (الأوسط) (ت.273هـ/886م) يصطنعه في إمارته على شذونة من قبل أبيه الحكم بن هشام، وتطورت العلاقة بين محمد بن سعيد وعبد الرحمن بن الحكم؛ فاطمأن هذا الأخير لمحمد ووثق فيه، ولما أفضت الإمارة إليه، استقدمه إلى قرطبة واستعان به، وعينه عاملًا له على الثغر الأعلى (طليطلة)[4] عندما نشبت ثورة الثائر هاشم الضراب في الثغر، إلا أنه لم يستطع القضاء على الثورة، فأرسل له الأوسط قوة عسكرية، وتقدَّم ابن رستم بها، والتقى بهاشم الضراب سنة 216هـ/831م، فاخمدت الثورة، وقتل هاشم ومن معه[5].

---

[1] ليس من المعقول أن يكون عبد الرحمن الأوسط قد أنفق مليون دينار على ضيوفه، إذ ليس من الحكمة ولا العقل أن ينفق أمير الأندلس مليون دينار وهو المبلغ الذي يجمعه سنوياً من الجباية، وقد أشار المقري إلى ذلك بقوله: "إن الجباية كانت بالأندلس أيام عبد الرحمن الأوسط ألفَ ألفِ دينارٍ في السنة"، بل إن ابن سعيد ذكر ذلك بقوله:"وانتهت جبايته إلى ألف ألف دينار في السنة". فربما قصد ابن سعيد مليون درهم لا دينار. ابن سعيد، علي، ***المغرب في حلى المغرب***، 48/1،46؛ المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 146/1.

[2] L. Provencal، ***Histoier de Espagne***، T.1، p245 ؛ بوباية، عبد القادر، ***علاقة الرستميين بالإمارة الأموية في الأندلس***، مجلة التراث العربي، ع 100،99، 384.

[3] يرجح أن يكون عبد الرحمن بن رستم إما أخاً لمحمد بن سعيد أو ابنا.

[4] ***الحلة السيراء***، 373/2،372.

[5] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 2/ 82؛ ابن حيان، ***المقتبس***، 268؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 154/4.

لقد ظهرت مقدرة محمد بن رستم العسكرية ثانية سنة 230هـ/844م عندما هاجم النورمانديون (المجوس)[1] إشبيلية، ثم تقلد مناصب مرموقة في الدولة كالحجابة[2]. وتقلد عبد الرحمن بن رستم ذلك المنصب في بلاط الأمويين في الأندلس[3]، إذ كان عبد الرحمن الأوسط ينتقي الرجال المخلصين له وفق سياسة "وضع الرجل المناسب في المكان المناسب"[4]. وبصفته وزيرًا كان يشارك في مجلس الشورى يقدم لأمير الأندلس من النصائح والآراء ما فيه الخير والنصح والرشاد، وكان عبد الرحمن ابن الحكم بحاجة إلى تلك الآراء، وفي ذلك يقول ابن القوطية[5]: "إنه _عبد الرحمن بن الحكم_ أول من رتب اختلاف الوزراء إلى القصر، والتكلم في الرأي".

نمت العلاقة الرستمية الأندلسية في عهد أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (ت.240هـ/854م)، فقد كان حكام كلتا الدولتين يُبلغ الآخر بأخبار الانتصارات، ويبادله الهدايا بهذه المناسبات، إذ أرسل محمد بن عبد الرحمن (الأوسط) سفارة إلى تاهرت تعزز الصداقة المشتركة بينهما، محملة بهدية ثمينة[6]. وقد جاء تعزيز هذه العلاقة من جانب أمير الأندلس محمد محمد ابن عبد الرحمن في ظل تتبعه لأخبار العباسيين ورجالهم في الشام، ومصر، وإفريقية، والعدوة المغربية على وجه الخصوص، بوصفها أقرب نقطة للعدوة الأندلسية، ويخبرنا بذلك ابن حيان بقوله: "كان الأمير محمد بن عبد الرحمن، شديد التهمم بخبر الساحل والعدوة مراعيًا هنالك من أخبار أعدائهم المسودة _أي العباسيين_، متجسمًا عن عمالهم متحولًا عنهم، لكثير ممن

---

[1] النورمانديون أو المجوس (Vikings): الذين اشتهروا بنشاطهم البحري التجاري أو الحربي، اتخذت اعتداءاتهم شكلًا خطيرًاعلى سواحل الدول الأوربية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. ويرجع أصل هؤلاء إلى الجرمان، وينقسمون إلى ثلاث مجموعات: السويديون، والنرويجيون، والدنماركيون. وكان أكثرهم تهديدًا سكان الدنمارك، الذين اخذوا يشنون هجماتهم على هولندا، أو بعض سواحل إنجلترا، وسواحل الإمبراطورية الفرنجية. كما هاجموا سواحل شبه الجزيرة الأندلسية، وإفريقية أحيانًا. عبد الفتاح عاشور، سعيد، ***تاريخ أوربا في العصور الوسطى***، 59 وما بعدها؛ الحجي، عبد الرحمن، ***التاريخ الأندلسي***، 227،228.

[2] ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء***، 372،373/2.

[3] ابن حيان، ***المقتبس***، 267،268؛ العذري، أحمد، ***ترصيع الأخبار وتنويع الآثار***، 99،100.

[4] ابن سعيد، علي، ***المغرب في حلى المغرب***، 45/1.

[5] ***تاريخ افتتاح الأندلس***، 77.

[6] L. Provencal، ***Histoier de Espagne***، T.1، p245

يتعرف عليهم ملوك البرابر العلقين إليه بالولاية، لبني مدرار ملوك سجلماسة[1]، ومحمد بن أفلح بن رستم أمير تاهرت وغيرهم، فلا تزال رسله وكتبه تتردد إلى هذه الطوائف في البحث عن أخبار بني العباس، بدار مملكتهم، وأخبار ولاتهم وعمالهم بالشام ومصر وإفريقية"[2].

من هذا النص، يظهر وضوح اهتمام الأندلسيين بالمغرب؛ لتعزيز وجودهم في الأندلس، هذا الاهتمام الذي يُظهر أن استمرارية الأندلس يكمن في وجود ولاءات لهم داخل المغرب التي تعد خطًا دفاعيًا أول للأندلس.

كما أرسل محمد بن عبد الرحمن (الأوسط) سفارة محملة بمئة ألف دينار مكافأة لأفلح بن عبد الوهاب بعد أن أحرق مدينة "العباسية" التي بناها أبو العباس محمد بن الأغلب(ت. 242هـ/856م) قرب تاهرت، وكان الهدف من بنائها تهديد عاصمة الرستميين، والتأثير على مركزها الاقتصادي والسياسي، إذ لم يكن العباسيون ورجالهم الأغالبة بالمغرب الأدنى صامتين متفرجين أمام هذا التحالف بين الرستميين والأمويين. فقام الإمام الرستمي بهدمها وإحراقها، وأخبر حليفه عبد الرحمن بما فعل[3]. كل ذلك يؤكد مدى وعظم دولة بني رستم القائمة بالمغرب الأوسط لدى ساسة الإمارة الأندلسية على أمن واستقرار الأندلس من أعدائهم الأغالبة والعباسيين.

وقد أصبح تبليغ أخبار الانتصارات بين حكام الدولتين تقليدًا سياسيًا مألوفًا، حيث بادر عبد الرحمن بن الحكم، واعترافًا منه بدور الرستميين في هزيمة المجوس (النورمانديين) بإبلاغ خبر ذلك

---

[1] تقع سجلماسة في أقصى جنوبي المغرب، تتمتع بكثرة الخضرة والجنات، ويكثر فيها النخل والأعناب وشتى الفواكه. ياقوت، ***معجم البلدان***، 3/ 192؛ الحميري،محمد، ***الروض المعطار***، 305؛ البكري، عبد الله، ***المغرب***، 148.

[2] ***المقتبس***، 266،265.

[3] اليعقوبي، أحمد، ***تاريخ اليعقوبي***،2/ 328؛ ابن الأثير،علي، ***الكامل في التاريخ***، 66/6؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 239/4؛ الباروني، سليمان، ***الأزهار الرياضية***، 186/2.

النصر إلى حليفه الرستمي أفلح بن عبد الوهاب، ورد عليه هذا الأخير بأن هنأه على ذلك عام 230هـ/ 844م[1].

كما أرسل أمير الأندلس إلى حلفائه في طنجة من صنهاجة يخبرهم بذلك الانتصار، "وبعث إليهم برأس أميرهم، ومائتي رأس من أنجادهم"[2]. مما يدل على التواصل الودي والوثيق بين هذه الأطراف التي كان لها شأن كبير في مساندة الأمويين وإمارتهم في الأندلس.

وإذا كانت الدولة الرستمية قد منحت بعض رعايا الدول التي تختلف معها سياسيًا ومذهبيًا حقًا للجوء السياسي، فإنها لم تكفل مثل هذا الحق للخارجين على الدولة الأموية، ولم تسمح لهم بالقيام بأي نشاط سياسي ضد حلفائهم الأمويين في الأندلس، وفي الوقت نفسه منحت الدولة الرستمية حق الإقامة لكل أندلسي وفد إليها للتجارة أو العمل دون الإضرار بالعلاقات الطيبة المتوطدة بين الدولتين. ويدل على ذلك، هروب عمر بن حفصون من تاهرت خوفًا من أن يفضح أمره فتعتقله السلطة الحاكمة في تاهرت[3]، وسيأتي ذكر ثورته على الإمارة الأموية لاحقًا. وقد ظل الحلف قائمًا إلى أن سقطت الدولة الرستمية بيد مؤسس الدعوة والدولة العبيدية أو الفاطمية في المغرب، الداعية أبو عبد الله الشيعي[4] سنة 296هـ/ 908م [5].

بعد وفاة الأمير محمد بن عبد الرحمن وتولى ابنه المنذر(ت. 276هـ/ 888م) مقاليد الحكم لم تذكر لنا المصادر شيئًا عن العلاقة بين البلدين، إذ لم تطل مدته طويلًا، فكانت مدة حكمه

---

[1] العذري، أحمد، ***ترصيع الأخبار***، 100،99؛L. Provencal، ***Histoier de Espagne***، T.1 ، p245
[2] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 2/ 88.
[3] بوباية، عبد القادر، ***علاقة الرستميين بالإمارة الأموية في الأندلس***، مجلة التراث العربي، ع 100،99، 387.
[4] أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا، المعروف بالشيعي، يلقب بالمعلم، مؤسس الدعوة والدولة الشيعية في المغرب. قتل على يد عبيد الله المهدي الخليفة الفاطمي الأول سنة 298هـ/ 911م، ودفن في رقادة من أعمال القيروان. ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 45/4؛ ابن خلكان، أحمد، ***وفيات الأعيان***، 2/ 192؛ ابن كثير، إسماعيل، ***البداية والنهاية***، 772/14؛ المقريزي، أحمد، ***اتعاظ الحنفا***، 67/1،55.
[5] عماد الدين، إدريس، ***تاريخ الخلفاء الفاطميين***، 179.

سنتين إلا نصف شهر[1]. ثم انتقل أمر الأندلس إلى أخيه عبد الله بن محمد (ت. 300هـ/ 912م)، الذي تميز عهده بكثرة الثوار عليه. ونظرًا لهذه الأوضاع المتردية، كان حاكم قرطبة بحاجة إلى تأييد تاهرت ومساعدتها، وعلى الرغم من عدم وجود أدلة تؤكد الاتصال بين الطرفين إلا أنه من المحتمل جدًا أن العلاقة الطيبة قد استمرت بينهما، ولكن المؤرخين لم يشيروا إليها لأنهم ركزوا جل اهتمامهم على مجريات الأوضاع الداخلية، وبخاصة على الثورات التي قامت في شتى نواحي البلاد[2].

ونظرًا للظروف العصيبة التي كانت تمر بها الإمارة الأموية في الأندلس، فإنها لم تكن قادرة على تقديم أية مساعدة للرستميين عندما داهمهم جيش أبي عبد الله الذي تمكن من القضاء على الإمامة الرستمية في تاهرت في ظرف زمني وجيز، إذ خرج من إفريقية في 15 رمضان 296هـ/909م، ووصل إلى تاهرت في 6 شوال 296هـ/ 909م، وما يفسر هذه السرعة في القضاء عليها هو تدهور الأوضاع الداخلية في عاصمة الرستميين، بسبب الفتن والقلائل التي ميزت عهد آخر أئمتها، وقد مكنت هذه الأوضاع أبا عبد الله الشيعي من دخول تاهرت واستباحتها ونهبها وإحراق جزء هام من المؤلفات التي كانت تحويها المكتبة المعروفة بالمعصومة[3].

وعلى الصعيد الاقتصادي، فقد أمد الرستميون أهل الأندلس بالمحاصيل الزراعية المتنوعة أيام القحط التي مرت بها الأندلس[4]. وكانت السفن تتردد بين موانئهما، مثل: ميناء فروخ الجزائري_المنفذ الوحيد والرئيسي الذي ينفذ منه بنو رستم للبحر، ويقع في منطقة وهران_، ومرسي الجزيرة الخضراء الأندلسي. وقد كانت محملة بالبضائع المختلفة كالمواشي لرخصها وطيب

---

[1] المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 338/1.

[2] بوباية، عبد القادر، ***علاقة الرستميين بالإمارة الأموية في الأندلس***، مجلة التراث العربي، ع 100،99، 388.387.

[3] الباروني، سليمان، ***الأزهار الرياضية***، 293/2؛ بوباية، عبد القادر، ***علاقة الرستميين بالإمارة الأموية في الأندلس***، مجلة التراث العربي، ع 100،99، 388.387.

[4] L. Provencal، ***Histoier de Espagne***، T.1، p245

لحمها[1]، والمزروعات، والذهب، والرقيق السود... وبالمسافرين[2]، والعلماء أمثال: قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي، وابنه أبو الفضل أحمد بن قاسم (ت.395هـ/ 1005م) _الذي أتى مع أبيه وهو صغير[3]_. كما وفد من أهل الأندلس إلى تاهرت لتعلم الحديث على يد أبي عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك الزناتي أو التاهرتي (ت.296هـ/909م)[4].

ومع تمسك الأمويين بمذهب أهل السنة والجماعة ونفورهم من جميع البدع المذهبية، فقد كان أمراء قرطبة بحكم عداوتهم للعباسيين وعمالهم الأغالبة في إفريقية، ولدولة الأدراسة العلوية في المغرب الأقصى، يرون أنه من السياسة أن يؤيدوا الرستميين الإباضيين، ويظاهروهم على جيرانهم أعداء الأمويين[5]. لذلك، لم يكن للخلاف المذهبي بينهما أي تأثير على علاقتهما التي اتسمت بالصداقة والمودة. كما أن المذهب الإباضي يتفق بوجه عام مع أهل السنة، ولا يختلف معه إلا في مسائل جزئية محددة، كأخذهم بالرأي بدلًا من الإجماع والقياس في الأدلة الشرعية[6].

وقد قام الرستميون بدور الوسيط في نقل المنتجات الأندلسية وتصريفها في بلاد السودان ومصر. وبالمقابل، كان التجار الأندلسيون يصدرون للمغرب القمح، والأرز، وقصب السكر والقطن[7]. كما لعبوا دورًا كبيرًا في تأسيس العديد من المدن على ساحل المغرب الأوسط التي سكنتها جاليات أندلسية[8]. لذلك كان قيام الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط هو الذي مكن عبد

---

[1] مؤلف مجهول، ***الاستبصار***، 133.

[2] ابن حوقل، محمد، ***صورة الأرض***، 97؛ لويس، أرشيبالد، ***القوى البحرية والتجارية***، 260،261.

[3] الذهبي، محمد، ***سير أعلام النبلاء***، 39،40/13.

[4] ابن الأبار، محمد، ***التكملة لكتاب الصلة***،299/1؛ سالم، عبد العزيز، ***تاريخ المغرب الإسلامي***، 569.

[5] ابن حيان، ***المقتبس***، 267،268.

[6] مجموعة باحثين، ***دائرة المعارف الإسلامية***، 56،58/1.

[7] الباروني، سليمان، ***الأزهار الرياضية***، 293/2؛ لويس، أرشيبالد، ***القوى البحرية والتجارية***، 269.

[8] من هذه المدن: مدينة تنس التي أسست سنة 262هـ/875م، التي كانت محطة تجارية للسفن الأندلسية في فصلي الشتاء والصيف، والتي سكنها بعض أهل تدمير وأهل البيرة، تشتهر بكثرة الزرع، وهي رخيصة الأسعار. ومدينة وهران الواقعة على ضفة البحر التي أسست سنة 290هـ/ 902م، وتشتهر بالقمح، والشعير، وكثرة الماشية. وقد سكنها الأندلسيون مع قبائل من البربر من بني مسكين. ابن حوقل، محمد، ***صورة الأرض***، 77،78؛ البكري، عبد الله، ***المغرب***، 61؛ الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 385/5؛ مؤلف مجهول، ***الاستبصار***، 133.

الرحمن الداخل من الرسوخ في الأندلس، وأتاح لها السبيل إلى الازدهار، ولولاهم _أيضًا_ لقضي على إمارة صقر قريش في مهدها من قبل العباسيين[1].

- **الصالحيون**

لم يكن هذا التحالف منصبًا على الرستميين فحسب، بل حرص الأمويون في الأندلس على عقد التحالفات مع الدويلات التي نشأت بالمغرب الأقصى؛ لإضعاف خصومهم، ووضع حد لهم. ومن هذه الدويلات أو الإمارات التي قامت، الإمارة الصالحية[2] في ناكور[3]. وقد جاء التحالف بينهما على أثر العناء الذي لاقته الدولة الصالحية من الأدارسة العلويين، لذلك كانت المصلحة بينهما مشتركة لدرء خطر الأدارسة عليهما[4].

لقد حافظ الأمويون على عدوتهم وعدوة الدولة الصالحية من جانب المغرب، أمام هجمات النورمنديين(المجوس)، فيذكر ابن عذاري أنه لما خرج النورمنديون سنة 245هـ/ 859م على سواحل المغرب باثنين وستين مركبا، وجدوا البحر محروسًا ومراكب المسلمين معدة من قبل الأسطول الأندلسي الذي استطاع إلحاق الهزيمة الفادحة بالأسطول النورمندي، ورده إلى أعقابه[5].

أعقابه[5].

1 دبوز، علي، ***تاريخ المغرب الكبير***، 312/2.

2 يعد مؤسس هذه الإمارة صالح بن منصور الحميري، المعروف بالعبد الصالح، دخل أرض المغرب في الافتتاح الأول زمن الوليد بن عبد الملك، وعلى يديه أسلم قبيلتا صنهاجة وغمارة، ثم ارتد كثير منهم وخلعوا واستبدلوا صالحًا بشخص يسمى داوود المزيدي، ثم رجعوا عن كفرهم وقتلوا داوود وأرجعوا صالحا الذي مات بتمسامان، فولوا أبنه المعتصم، ثم إدريس ابن صالح، ثم وولي سعيد بن إدريس الذي بنى مدينة ناكور، ثم خلفه صالح بن سعيد. وللتفصيل حول تاريخ هذه الإمارة ومن حكمها ، ينظر: ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 1/ 176 وما بعدها؛ البكري، عبد الله، ***المغرب***، 90 وما بعدها.

3 تقع ناكور في منطقة الريف المغربي على شط البحر، يعبر منها إلى بجانة، وهي مدينة حصينة وخصبة. البكري، عبد الله ***المغرب***، 90.

4 شلبي، عمر، ***عبد الرحمن الأوسط***، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1991، 156.

5 ***البيان المغرب***، 2/ 96.

- **المدراريون**

كما عقد الأمويون حلفًا مع المدراريين زعماء سجلماسة[1]، فكلاهما _أيضًا_ معادٍ للعباسيين فالمذهب الخارجي لا يعترف بإمامة بني العباس، إذ يعدّهم مغتصبين للسلطة وجب قتالهم، وما ينطبق على العباسيين ينطبق على عمالهم الأغالبة الذين اضطهدوهم في المغرب[2]. وكذلك، فإنهم يشتركون مع الأمويين في عدائهما المذهبي للأدارسة العلويين، وسيطرة إدريس الأول على تلمسان التي كانت مركز الخوارج الصفرية[3]. فجاء هذا التحالف رغم الخلاف الأموي الخارجي، وذلك لوحدة المصير المشترك بينهما[4]. وشكل هذا التحالف علاقات تجارية بين البلدين، فكان المدراريون يصدرون القمح، والسكر، والكروم والتمر، في مقابل الثياب والمطرزات القطنية والكتانية والحريرية التي عرفت بها قرطبة[5].

ويروي ابن عذاري أن بني رستم وبني مدرار لا يقدمون ولا يؤخرون في أمورهم إلا بعد أخذ رأي أمير الأندلس، محمد بن عبد الرحمن (الأوسط) (238/273هـ–111/885م)[6]. مما يدل على تعاظم العلاقة وكبرها بين هذه الأطراف المغربية مع أمراء الأندلس، إذ إن ما يجمعهم _رغم خلافهم المذهبي_ هو الحفاظ على مصالحهم السياسية، وما كان هذا ليجري لولا التقارب الجغرافي بينهم.

---

[1] تأسست هذه الإمارة في سجلماسة على يد الخوارج الصفرية سنة 140هـ/ 758م، وتعد مكناسة العصبية التي اعتمد عليها بنو مدرار. وللتفصيل حول قيام هذه الإمارة ينظر: إسماعيل، محمود، ***الخوارج في بلاد المغرب***، 111 وما بعدها.

[2] أمين، أحمد، ***ضحى الإسلام***، 337/3.

[3] ابن أبي الزرع، أحمد، ***روض القرطاس***، 5؛ إسماعيل، محمود، ***الخوارج في بلاد المغرب***، 137.

[4] كان للمدراريين منافذ على ساحل المحيط الأطلسي يتصلون من خلاله بموانيء الأندلس. وقد ساند المدراريون أهل الأندلس أيام حكم عبد الرحمن (الأوسط) بمساعدات اقتصادية التي قدمها إليهم آنذاك ميمون بن مدرار المعروف بالأمير، وذلك عندما اجتاحت بلاد الأندلس أزمة في قلة موارد الغذاء سنة 232هـ/847م، إذ قدم له ما يلزم من الحنطة والسكر والتمر. القلقشندي أحمد، ***صبح الأعشى***، 164/5-166.

[5] محمد، سوادي، ***الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب الإسلامي***، مجلة آداب المستنصرية، ع13، 338.

[6] ***البيان المغرب***، 2/ 108؛ ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء***، 119/1.

- **البراغواطيون**

كما عقدت الإمارة الأموية تحالفًا آخر مع دولة البرغواطيين في تامسنا[1]، وذلك في منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، فعلاقات المودة بينهما كانت استراتيجية، اتبعها بنو صالح منذ أن قامت دولتهم، لموازنة علاقاتهم بالقوى الأخرى المحيطة بهم كالأدارسة والمدراريين، فأرادوا بتحالفهم مع الأمويين تشكيل حماية كافية من توسع هذه الإمارات إذا ما فكرت بغزوهم.

وقد أشار ابن عذاري والبكري إلى هذه الاستراتيجية حينما أوصى صالح بن طريف ابنه إلياس "وأمره بموالاة أمير الأندلس" حينما ترك صالح تامسنا، متوجهًا نحو الشرق[2]. وهي الوصية التي أوصاها عبد الله أبو الأنصار(ت. 341هـ/952م) لابنه أبي منصور عيسى، قبل موته. ويبدو أن هذه التوصية كانت تقليدًا سياسيًا توجه للمرشحين لتولي حكم بلاد تامسنا[3].

وقد اتخذت هذه العلاقة الودية علاقات تجارية، فقد كان بنو صالح يصدرون من الزروع والمواشي التي تفيض عن حاجة سكان تامسنا إلى بلاد الأندلس عبر ميناء سلا[4]، التي كانت تستقبل التجار القادمين من إشبيلية المحملين بالزيت[5].

---

[1] نشأت دولة البرغواطيين في تامسنا –أقليم في غربي المغرب الأقصى أي على شاطىء المحيط الأطلسي من سلا شمالاً إلى آسفى جنوباً- على يد يهودي يدعى صالح بن طريف بن شمعون البرباطي (ت.174هـ/790م). رحل إلى المشرق وتعلم السحر وفنونًا عديدة. ثم ارتحل إلى تامستا مظهراً الإسلام فيها، ثم ادعى النبوة. فأحل المسلمون _من أهل الأندلس والمغرب_ دمه ووقعت بينه وبين المسلمين حروب عديدة، لكنها لم تجهز عليه. وأخذوا يتوسعون شيئاً فشيئاً في بلاد المغرب إلى أن جاء المرابطون وأجهزوا عليهم. الحميري،محمد، ***الروض المعطار***، 129؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 1/ 223-224؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 245/6-249.

[2] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 1/ 224؛ البكري، عبد الله، ***المغرب***، 135؛ عبد الحليم، رجب، ***دولة بني صالح*** 64،65.

[3] البكري، عبد الله، ***المغرب***، 137.

[4] مدينة بأقصى المغرب على البحر المحيط، كثيرة الرخاء،إذ يكثر فيها البساتين والكروم. الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 231/3؛ الإدريسي، محمد، ***نزهة المشتاق***، 239/1؛ القلقشندي، أحمد، ***صبح الأعشى***، 169/5.

[5] الإدريسي، محمد، ***نزهة المشتاق***، 1/ 240،239؛ الحميري، محمد، ***روض المعطار***، 319.

إلا أن تلك العلاقة توقفت عندما أعلن زعيم البرغواطيين، صالح بن طريف بنبوته، وادعى أن الله أنزل عليه قرآنًا باللغة البربرية، كما أنزله على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) باللغة العربية وسموه أتباعه بـ "صالح المؤمنين"[1]. وقد عادت العلاقة بينهما _مرة ثانية_ في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ التاسع الميلادي، إذ أرسل زعيمهم أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار سفارة إلى خليفة الأندلس _آنذاك_ الحكم المستنصر[2] سنة 352هـ/963م[3].

لقد جاءت تلك التحالفات جميعها مع الرستميين شرقًا، وببني ناكور شمالًا، وبرغواطة غربًا وبني مدرار جنوبًا، من أجل التضييق على أعدائهم الأغالبة، والأدارسة العلويين، حتى لا يتسع نفوذهم بالمغرب، وبالتالي يمنعونهم من التطلع نحو بلاد الأندلس[4].

- **الأغالبة**[5]

فإنهم لم يكتفوا بمناوشة بني أمية بالأندلس من خلال حلفائهم في المغرب فحسب، بل لعبوا دورًا كاد أن يقضي على إمارة بني أمية من الوجود باتصالاتهم مع أحد الثائرين على بني أمية وهو عمر بن حفصون[6]. فقد كاتب إبراهيم بن أحمد الأغلبي _أمير إفريقية_ (ت.289هـ/902م)

---

[1] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 246/6.

[2] الحكم بن عبد الرحمن، بن محمد، بن عبد الله، بن عبد الرحمن، بن الحكم ،بن هشام، بن عبد الرحم، بن معاوية، الأموي. تولى حكم الأندلس سنة 350هـ/ 961م، اشتهر بعلمه بالأنساب وغزارة الفقه، توفي رحمه الله سنة 366هـ/ 977م. الخطيب لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 41-43.

[3] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 223/1-225؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 246/6.

[4] فيلالي، عبد العزيز، ***العلاقات السياسية***، 114.

[5] تأسست دولة الأغالبة على يدي إبراهيم بن الأغلب سنة 184هـ/800م، بعد موافقة الخليفة هارون الرشيد على قيامها إثر تنازلات مادية قدمها له ابن الأغلب، وهي التنازل عن مئة ألف دينار التي كانت تُحمل من مصر إلى إفريقية، وأن يدفع ابن الأغلب مبلغ أربعين ألف دينار للخليفة كل عام. وقد أراد العباسيون من وجودها لتكون حاجزًا منيعًا أمام القوى غير السنية في المغربين الأوسط والأقصى سيما الأدارسة العلويين الذين كانوا يتطلعون إلى توحيد المغرب والمشرق الإسلاميين تحت لوائهم. وقد حاول الأدارسة كسب ولاء الأغالبة إلى جانبهم وكسب صداقتهم، فقد كتب إليهم إدريس الثاني يذكرهم بقربهم إلى النبي –عليه السلام-، ولم يحدث بينهما أي عراك. وكان آخر حكام بني الأغلب أبو مضر، زيادة الله بن أبي العباس - (ت.308هـ/921م)- وذلك سنة 296هـ/908م على يد الشيعة الفاطميين. ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 92/1؛ النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 54/24-56؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر، 196/4؛ ابن خليل، أحمد، ***النجوم الزواهر***،94؛ الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، ق3، 14،15؛ الطالبي، محمد، ***الدولة الأغلبية***، 116 وما بعدها.

[6] عمر بن حفص أو حفصون بن عمر بن جعفر بن شتيم بن دميان بن فرغلوش بن إذفونش، ،ويعرف بابن حفصون، يعد جعفر بن شتيم أول من أسلم من جدوده، ولذلك عرف بـ "جعفر الإسلامي". ارتد ابن حفصون عن الإسلام، إذ اعتقد

وأخبره بأنه يعمل لبني العباس، ولاطفه بالهدايا، فأجابه الأمير الأغلبي، ورد على هديته بهدية[1]. وربما أراد ابن حفصون من هذه الاتصالات مع الأغالبة أن يتوسطوا له مع الخلافة العباسية ببغداد؛ للظفر بحكم الأندلس بعد القضاء على الإمارة الأموية[2].

ويشير ابن عذاري[3] وابن حزم[4] إلى اتصالات قام بها ابن حفصون مع الأدارسة في المغرب الأقصى، أعداء بني أمية بالأندلس، فقد تمت المكاتبات بينه وبين القاسم بن إبراهيم بن إدريس_صاحب البصرة[5]_؛ للاطاحة بالإمارة الأموية. فتفاقم خطره لتأييد الأدارسة له ماديًا ومعنويًا، خاصة وأن أطماع البيت الإدريسي كانت طموحة للسيطرة على الأندلس وبلاد المغرب لإقامة دولة شيعية علوية تضاهي الخلافة العباسية في المشرق[6].

ثم اتصل بالفاطميين للهدف نفسه، فأرسلوا إليه اثنين من دعاتهم؛ لمساندته في ثورته على بني أمية من جهة، والدعوة لمذهبهم الشيعي من جهة ثانية، ثم رجعا لإفريقية بعد إظهار ابن حفصون الولاء والطاعة للفاطميين، وأرسل معهما هدايا إلى إمامهم عبيد الله المهدي[7]. وقد أمده الفاطميون

بالنصرانية دينا سنة 286هـ/899م توفي سنة 306هـ/918م. ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 106/2؛ الزركلي، خير الدين، ***الأعلام***، 5/ 45،44؛ الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 32.

[1] ***المقتبس***، 93. تحقيق الأب ملشور. نقلاً عن ***العلاقات السياسية*** لفيلالي.

[2] إسماعيل، محمود، ***الأغالبة***، 216.

[3] ***البيان المغرب***، 1/ 233.

[4] ***جمهرة أنساب العرب***، 50.

[5] تقع بين طنجة وفاس، وتسمى بالحمراء لتربتها ذات اللون الأحمر، كما تسمى ببصرة الكتان، لأن بداية العملية التجارية فيها كان بالكتان. الحميري، محمد، ***روض المعطار***، 108.

[6] لقد كان هذا المخطط معلومًا، حتى إننا لنجد أحد الشعراء _وهو محمد بن السمهري_ يهجو القاسم بن إدريس _والي طنجة وسبتة وقلعة حجر النسر وتطوان وبلاد مصمودة_ في عهد أخيه محمد بن إدريس بن إدريس (ت.221هـ/836م) في قوله:

قل للزنيم زنيم طنجة عش بها... لا يحسدنك في بلادك حسد

منّتك نفسك أن تكون خليفة... هيهات هذا من حديثك بارد.

البكري، عبد الله، ***المغرب***، 122؛ إسماعيل، محمود، ***الأدارسة***، 155.

[7] أبو محمد عبيد الله المهدي، بن محمد الحبيب، بن جعفر الصادق، بن محمد المكتوم، بن جعفر الصادق. أول خليفة فاطمي شيعي في بلاد المغرب، وكانت عاصمة دولته المهدية-بعد أن اتخذ رقادة عاصمة له ببداية دخوله للمغرب- التي بناها سنة 303هـ/915م -كانت تسمى تلك المنطقة بجمة- على ساحل إفريقية بينها وبين القيروان ستون ميلا، يحيط بها البحر من جميع الاتجاهات إلا من الجانب الغربي. توفي عام 322هـ/933م. الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***،32؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 37/4؛ الحميري،محمد، ***الروض المعطار***، 256؛ ابن الأثير،علي، ***الكامل في التاريخ***،489/6. ونشير هنا إلى أن المؤرخين قد اختلفوا في نسبه، ينظر: ابن خلكان، أحمد، ***وفيات الأعيان***، 3/ 117؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***،

بالمراكب التي تزوده بالمؤن والذخيرة من العدوة المغربية، وقد أشار إلى هذه الحقيقة ابن عذاري بقوله:"أُلفيت للمشرك عمر بن حفصون مراكب في البحر كانت تميره من العدوة؛ فأُحرق جميعها"[1].

وبهذا، يظهر لنا أن اتصالاته السابقة لم تكن من باب الولاء لهذا الطرف أو لذاك، فهو يدرك مدى حجم بني أمية وهيمنتهم في الأندلس والمغرب، لذلك أراد أن يستغل كل الأطراف المعادية لبني أمية؛ لمساندته في الإطاحة بإمارتهم، والتخلص منهم في بلاد الأندلس.

لقد وقعت ثورة ابن حفصون في ظل الاضطرابات والثورات التي هاجت في بلاد الأندلس من العرب والبربر والمولدين[2] التي اشتدت في عهد الأمير عبد الله بن محمد(275/300هـ – 888 /912م)[3]، بحيث لم تبقَ له سيادة على الأرض إلا على قرطبة وضواحيها[4]. وقد خضعت لابن حفصون أقاليم عديدة في الأندلس، متخذًا من حصن ببشتر(Bobastro)[5] عاصمة له، فقد امتلك من القوة العسكرية ما يؤهله لذلك، من القوارب والسفن التي تجول ما بين العدوتين: المغربية والأندلسية، ينقل خلالها المساعدات التي تعطى له من خصوم بني أمية[6].

159/1،158؛ ؛ ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء***، 190/1؛ المقريزي، أحمد، ***اتعاظ الحنفا***، 70/1،35، 72؛ ابن حوقل، محمد، ***صورة الأرض***، 71؛ مؤلف مجهول، ***الاستبصار***، 117.

[1] ***البيان المغرب***، 165/2.

[2] كانت البواعث الأولى لتلك الثورة التي قادها ابن حفصون في الأندلس عنف عامل كورة ريه والجزيرة آنذاك يحيى بن عبد الله، وذلك عندما طالب أهل عمالته ببقايا العشور التي تأخرت عليهم، واشتطاطه في ذلك وارهاقهم، فامتنعوا من الدفع، واعتصموا بجبالهم، وتأهبوا للدفاع عن أنفسهم، وقد اشتبك الطرفان سنة 265هـ/878م، وظهر ابن حفصون الذي قاد القتال والدعوة إلى التحرر والاستقلال عن حكم العرب، وبذلك يكون رفع المولدون لواء المعارضة ضد حكومة قرطبة، وقد استطاع أن يسيطر على المنطقة الجنوبية للأندلس. ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 2/ 118،117. وللوقوف على هذه الثورات، أنظر: سالم، عبد العزيز، ***تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس***، 253-259.؛ دويدار، يوسف، ***المجتمع الأندلسي في العصر الأموي***، 86-125.

[3] أبو محمد، عبد الله، بن محمد، بن عبد الرحمن، بن الحكم، تقلد إمارة الأندلس بعد أخيه المنذر مدة خمسة وعشرين عامًا (275هـ/ 888م – 300هـ/ 912م). الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 26؛ ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء***، 120/1.

[4] الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 27.

[5] حصن منيع، يصفه ابن سعيد بأنه أمنع قلاع الأندلس، يقع على قمة جبل من سلسلة الجبال الواقعة بين رونده ومالقه. من أعمال رية، بينه وبين قرطبة ثلاثون فرسخاً، بالقرب من مالقه جنوبي الأندلس. ابن سعيد، علي، ***المغرب في حلى المغرب*** 53/1؛ الحموي، ياقوت، معجم البلدان، 333/1؛ العذري، أحمد، ***ترصيع الأخبار وتنويع الآثار***، 142.

[6] فيلالي، عبد العزيز، ***العلاقات السياسية***، 116.

وفي خضم هذه الأحداث التي لحقت بالأندلس، قامت الدولة الفاطمية الشيعية في المغرب التي حاولت أن تُجير الأحداث إلى صالحها، وخصوصًا ثورة ابن حفصون، إذ اتصلوا به، وتظاهر لهم بالولاء والطاعة، فقام أمير الأندلس الناصر لدين الله، عبد الرحمن (الثالث)[1] باحتواء الأزمة في الداخل، بدعوة الأقاليم والثائرين فيها إلى الطاعة له، مقابل المال والسلطان، مهددًا في الوقت نفسه إياهم بالحرب والتشريد، ومصادرة الأموال لكل من لا يستجيب للنداء، فدخلت الجمهرة في طاعة الأمير[2]، وقاتل كل من رفع لواء الثورة في أكثر من عشرين عامًا حتى عاد الأندلس إلى نفوذ بني أمية، "فلم يبقَ عليه في الأندلس مخالف، ولا نازعه منازع"[3]، فأخمد نيران الثورات وسكَّن زلازلها[4].

هذا في وحدة الصف الداخلي وترتيبه للبلاد، أما سياسته الخارجية فقد عمل على صد هجمات النصارى شمالًا، وعمل على حد نفوذ الدولة الفاطمية في المغرب وتطلعاتها من السيطرة على الأندلس. إذ طور من قدرات الأسطول البحري، ووزعه على السواحل الجنوبية والجنوبية الشرقية من الأندلس، حتى يمنع وصول الامدادات من القيروان إلى ابن حفصون، فضبط البحر باستكثاره من

---

[1] أبو المطرف المرواني، عبد الرحمن، بن محمد الناصر لدين الله، بن عبد الله، بن عبد الرحمن، بن الحكم، بن هشام، بن عبد الرحمن، بن معاوية، الأموي، ولد في قرطبة 277هـ/ 890م، تقلد حكم الأندلس سنة 300هـ/ 912م. توفي في قرطبة سنة 350هـ/ 961م، وهو أول من تلقب بأمير المؤمنين من بني أمية في الأندلس، وهو الذي حول شكل حكم البلاد في الأندلس من الإمارة إلى نظام الخلافة، وكان الدافع لذلك هو مقاومة الخلافة الشيعية، مما أثار غضب الفاطميين، وأعدوه تعديًا على أئمتهم وفرضوا قتاله. الصفدي، صلاح الدين خليل، ***الوافي بالوفيات***، 138/18،137؛ الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 28-30؛ ابن سعيد، علي، ***المغرب في حلى المغرب***، 181/1؛ ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء***، 197/1؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 2/ 156 وما بعدها؛ المقري، أحمد، ***أزهار الرياض***، 258/2؛ العبادي، أحمد، ***في التاريخ العباسي والفاطمي***، 239،238.

[2] لبى العديد من الجند في الكور المجندة دعوة عبد الرحمن (الثالث) واحتشدوا معه؛ للمشاركة في القضاء على الثائرين، ومن هؤلاء عرب جند دمشق في كورة إلبيرة، فقد سئم الناس الفرقة والانقسام نتيجة الثورات والحروب، فاستبشروا خيراً بدعوة الناصر، واعترفوا بسلطته على الأندلس. الدليمي، إنتصار، ***التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس***، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، 2005، 26؛ العجلان، عبد الرحمن، ***التضامن الإسلامي في الأندلس***، ندوة الأندلس الدرس والتاريخ، القاهرة، 1994، 350.

[3] الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 29.

[4] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 2/ 157.

السفن، مانعًا ابن حفصون من السيطرة عليه[1]، ويذكر ابن خلدون[2] أن أسطول الأندلس انتهى في أيامه "إلى مئتي مركب أو نحوها، وأسطول إفريقية _كذلك_ مثله أو تقريبًا منه". فيدفع به هجمات الفاطميين والنورمان على السواء.

كما حصن الثغور والمدن الساحلية بالجند والمؤن، وبنى دارًا لصناعة السفن في الجزيرة الخضراء (جزيرة أم حكيم)، بوصفها أقرب المدن مجازًا على العدوة المغربية، وقد أتقن في بنائها، وعالى أسوارها، وولى عليه أحد أمراء بني أمية [3]. مما يؤكد مدى أهمية هذا الثغر لبلاد الأندلس لقربه من العدوة المغربية. ثم سيطر على البحر، بحرقه جميع سفن ابن حفصون؛ ليقطع دابر الفواطم وكل جهة تتعاون معه. كما شجع حاكم جزيرة صقلية، أحمد بن قرهب[4] على مقارعته لخليفة الفاطميين، عبيد الله المهدي[5]، رغم أن ابن قرهب هو أحد أقرباء الأغالبة[6]، إلا أن المصلحة السياسية لكليهما قضت أن يتعاونا لصد الفاطميين في المغرب وصقلية.

ومع هذه التجهيزات العسكرية الأندلسية للحفاظ على سلامة بلاد الأندلس من هجمات الفاطميين، حاول عبد الرحمن (الثالث) نقل الحرب مع الفاطميين إلى عمق أراضيهم؛ ليحفظ بلاده عن القتال والدمار، فرحب بالأمراء الذين أطاح بهم الفاطميون، ويقول صاحب كتاب مفاخر البربر[7] في ذلك: "وتخطاهم عبد الرحمن إلى من سكن خلفهم من زعماء قبائل البربر، يستألفهم

---

[1] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 168/4؛ سالم، عبد العزيز، ***تاريخ البحرية الإسلامية***، 174.

[2] ***المقدمة***، 267.

[3] الحميري،محمد، ***الروض المعطار***، 223؛ العبادي، أحمد، ***دراسات في تايخ المغرب والأندلس***، 72.

[4] أحمد بن قرهب أو قهرب، عامل صقلية بأمر المهدي، إلا أن الأخير حاربه، إذ أرسل له حملة عسكرية بعد أن أعلن ابن قرهب الولاء للخليفة العباسي المقتدر بالله (ت. 319هـ/932م)، فألحق بها ابن قرهب الهزيمة وقتل أميرها الحسن بن أحمد بن علي المعروف بابن خنزير، وذلك أواخر سنة 300هـ/912م. وقد ثار عليه الفاطميون في صقلية، فحاول الفرار تجاه الأندلس، إلا أن الثوار قبضوا عليه وأرسلوه إلى عبيد الله المهدي مكبلاً، فقتله المهدي على قبر ابن خنزير سنة 302هـ/914م، وولى مكانه أبا سعيد موسى بن أحمد المعروف بالضيف. ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 174/1؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 248/4،247؛ ابن الأثير،علي، ***الكامل في التاريخ***،475/6؛ أحمد، عزيز، ***تاريخ صقلية الإسلامية***، 33،32؛ محمد، عمر، ***السياسة الفاطمية في جزيرة صقلية***، 23،22.

[5] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 1/ 174.

[6] محمد، عمر، ***السياسة الفاطمية في جزيرة صقلية***، 21.

[7] مؤلف مجهول، 94.

ويحمل أهل الطاعة على أهل المعصية منهم، ممدًا لمن عجز برجاله، مقويًا لمن ضعف بماله متعهدًا بوجوه رسله وخواصه، إلى أن تميز أكثر بوادي زناتة في حزبه، وارتسموا بطاعته". وكان من بين أولئك أبناء سعيد بن صالح _أصحاب ناكور_، الذين فروا إلى الأندلس، إذ استقروا بالعدوة الأندلسية بمدينتي مالقة[1]، وبجانة[2]، وذلك لقربهما الجغرافي على بلادهم بالمغرب الأوسط، وقد استقبلهم أمير الأندلس خير استقبال، فهم حلفاؤه ببلاد المغرب، فأغدق عليهم من العطايا ما يغدق[3].

ثم غادروا إلى بلادهم عندما عاد قائد الفاطميين مصالة بن حبوس إلى القيروان، واستخلف على نكور قائده المدعو ذلول، مع قوة قليلة من الجند، فلما تناهى إلى أسماع أبناء سعيد بن صالح خبر عودة مصالة، عبروا البحر في مراكب، واتجهوا نحو نكور، فجمعوا حولهم الأنصار وزحفوا نحو ذلول وصحبه، فدارت بينهم معركة قتل فيها ذلول، وتفرق أتباعه جميعًا. وتم إبلاغ عبد الرحمن (الثالث) بذلك الانتصار، ففرح، وعمم الخبر أرجاء الأندلس بهذا الانتصار، "وأمر بإمداد آل صالح بما يجل من الأخبية... والسروج... والدروع وجميع الأسلحة"[4].

إلا أن الفاطميين لم يستسلموا لذلك، بل أصروا على إخضاع بلاد المغرب تحت نفوذهم، إذ وجه عبد الله الشيعي حملة ثانية لبسط كامل نفوذه على بلاد المغرب، فخضعت له مدينتا ناكور بالمغرب الأوسط، وفاس بالمغرب الأقصى، وذلك عام 308هـ/920م، ثم سيطر على سجلماسة سنة 309هـ/ 921م، وحاول بسط نفوذه على تلمسان، إلا أن قائد الجيش الفاطمي _آنذاك_ قد قتل

---

[1] من أعمال رية ، تقع على ساحل بحر المجاز (الزقاق). الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 43/5.

[2] من أعمال كورة إلبيرة، لها مرسى مجاور للساحل في موضع المرية. الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 339/1؛ حتاملة، محمد، ***موسوعة الديار الأندلسية***، 209/1.

[3] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 180/1.

[4] البكري، عبد الله، ***المغرب***، 97؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 252/1.

وهو مصالة بن حبوس[1]، وعاد الجيش يجر ذيول الخيبة إلى تاهرت سنة 312هـ/ 924م[2]. وقد استمد الفاطميون قوتهم في حروبهم العديدة في بلاد المغرب من خلال إعلان تعاليم زعيمهم أبو عبد الله الشيعي، الذي جعل من تلك الحروب جهادًا مقدسًا تشنُّ في سبيل الله، وإرجاع الحكم المغتصب إلى أهله العلويين[3].

إزاء ذلك، قام عبد الرحمن (الثالث) بالسيطرة على ثغر مليلة[4] سنة 314هـ/ 928م[5]. ويعد هذا الفعل العسكري الذي قام به الأسطول البحري الأندلسي الأول من نوعه منذ قيام الإمارة الأموية بالأندلس، والذي بدأ مع تدخل حكام الأندلس، تدخلًا مباشرًا في شؤون العدوة المغربية؛ لكسب ولاءات قبائلها إلى جانبهم[6].

[1] مصالة بن حبوس المكناسي، أمير قبيلة مكناسة، كان من أعظم قواد عبيد الله المهدي، فقد خاض له معظم المعارك في بلاد المغرب، ففتح له فاس وسجلماسة. ولاه المهدي على تاهرت والمغرب الأوسط، قتل على يد محمد بن خزر الزناتي سنة 312هـ/ 924م. ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 197/1؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 154/6.

[2] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 189/1.

[3] يذكر ابن عذاري أن عبيد الله المهدي دعا لابنه أبي القاسم (ت.335هـ/946م) عندما أرسله بجيش تجاه المغرب سنة 315هـ/927م، قائلاً: "اللهم إنك تعلم أني ما أردت بإخراجه إلى المغرب إلا رضاك، ونصرة دينك، وإذلال أعدائك، وما يسهل عليَّ أن أفارقه يوماً واحداً". ***البيان المغرب***، 192/1،191.

[4] من أرض طنجة، بالقرب من نهر ملوية بالمغرب. الحميري،محمد، ***الروض المعطار***، 445.

[5] البكري، عبد الله، ***المغرب***، 89.

[6] فيلالي، عبد العزيز، ***العلاقات السياسية***، 123.

الفصل الثالث

العلاقات السياسية والعسكرية بين المغرب والأندلس

في عصر الخلافة الأموية (316_422هـ/928_1030م)

(الناصر، الحكم، هشام المؤيد)

(أولاً) العلاقات السياسية والعسكرية بين المغرب والأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر (300/350هـ-912/961م)

- تمهيد

اتسمت هذه المرحلة من التاريخ الأندلسي والمغربي بدور حساس وخطير، هدد أركان الدولتين: الأموية في الأندلس، والفاطمية في المغرب، إذ دخلت العلاقة بينهما في حدة سياسية سرعان ما انقلبت إلى اتخاذ تدابير عسكرية بينهما. ويرجع محرك هذا الخلاف إلى التباين والتضارب المذهبي بينهما "الشيعي السني"، الذي لم يخمد بين الطرفين إلى وقتنا الحاضر.

فقد خطط الفاطميون منذ أن وطئت أقدامهم أرض المغرب بالتوسع والسيطرة على المغرب، من أدناه إلى أقصاه، تمهيدًا للسيطرة على بلاد الأندلس؛ لتشكيل خلافة فاطمية، وتنافس الخلافة العباسية وتجهز عليها، إذ يرون أنهم أصحاب الحق في خلافة النبي (عليه السلام) وحكم الأمة. كما كانوا يرون في الأمويين في الأندلس امتدادًا للخلافة الأموية في دمشق بذكرياتها المأساوية والبغيضة لهم. لذلك شكل المغرب الأقصى ساحة التنافس والتصارع بين الأمويين في الأندلس والفاطميين في المغرب، إذ عمل كل طرف منهم على بسط نفوذه وكسب ولاء سكانه إلى جانبه. فبالرغم من سيطرة الفاطميين على بلاد المغرب وإخضاعه عبر حروبهم مع الإمارات التي نشأت فيه، إلا أنهم لم يستطيعوا فرض سيادتهم التامة عليها(1).

[1] ترجع أسباب عدم سيطرة عبيد الله المهدي على بلاد المغرب إلى عدة أسباب منها: عملية التشكيك التي قام بها أبو العباس _شقيق الداعي أبي عبد الله الشيعي_ بإمامة المهدي، إذ دعا البربر إلى امتحان المهدي للتأكد من أنه الإمام المهدي. مقتل الداعية أبو عبد الله الشيعي، إذ ثار البربر بقيادة شخص يعرف بالمارطي على المهدي لقتله الداعية وشقيقه أبي العباس. كما فرض المهدي سياسة مالية ظالمة رغم حاجة البربر للمال، حتى أن الحجاج فرض عليهم أن يمروا من مدينته المهدية؛ لدفع ضريبة الحج. ولم يشعر البربر بالعدل الذي وعدوا به من الفاطميين ودعاة المذهب، كما أن الدولة الفاطمية لم تقضِ على التفكك السياسي والمذهبي في بلاد المغرب بشكل كامل، فإمارة برغواطة المارقة لم يجهز عليها إلا المرابطون، كما استطاع المدراريين في سجلماسة التخلص من عامل الداعية الشيعي وبايعوا ابن الأمير مدرارًا ثم أخاه الحكم، كما طردوا النفوذ الفاطمي سنة 322هـ/ 933م، ونصبوا محمد بن الفتح بن ميمون الملقب بالشاكر لله بحكم سجلماسة، وبقيت تحت حكم المدراريون حتى سيطر عليها قائد الخليفة الفاطمي المعتز لدين الله الجوهر الصقلي، وكذلك لم يستطع الفاطميون من القضاء على الرستميين ومذهبهم الإباضي بشكل تام. ولم تتمتع دولة الأدارسة في بلاد الريف من الاستقلال التام، فقد خضعت بلاد الريف مرة بيد الفاطميين وأخرى بيد الأمويين. كما استقل بنو عصام على سبتة حتى سيطر عليها عبد الرحمن الناصر سنة

وعليه، جاءت التحالفات الأندلسية المغربية للحد من نفوذ وتوسع الفاطميين هناك، وإضعاف قدراتهم للحيلولة دون سيطرتهم على الأندلس. وحتى يتحقق للفاطميين مأربهم في السيطرة على الأندلس، حاولوا بكل جهدهم أن يسيطروا على المغرب الأقصى، بوصفه المنطقة الأقرب والأسهل للعبور إلى العدوة الأندلسية، وهو ما جعل عبد الرحمن الناصر يتخذ التدابير اللازمة لكسب ولاء قبائل المغرب إلى جانبه مشكلًا منهم خطًّا دفاعيًّا أولًا للأندلس إضافة إلى السيطرة على ثغور العدوتين وتحصينها.

- **التدابير السياسية الفاطمية للسيطرة على المغرب والأندلس**

لقد بدأت أولى أعمال الخلافة الفاطمية لتحقيق مسعاها من خلال الدعاية للمذهب الشيعي في الأندلس[1]، وكسب الفئات المعارضة للأمويين، وبالجاسوسية؛ لمعرفة أحوال البلاد، ومواطن ضعفها وقوتها بالتسلل إليها تحت غطاء العلم، أو التجارة[2]، فبثت عيونها إلى الأندلس؛ لمعرفة الأحوال السياسية والعسكرية والاقتصادية هناك. ومن هؤلاء، إبراهيم الشيباني المعروف بـ "الرياضي"[3]، الذي استطاع نقل بعض الثقافة الأدبية الشيعية إلى الأندلس. وقد اضطر إلى مغادرة الأندلس متجهًا إلى مصر بعد أن كشف أمره في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (الأوسط)[1].

319هـ/931م. ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 161/1؛ ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء***، 192/1؛ السلاوي، أحمد ***الاستقصا***، 155/1؛ نجار، ليلى، ***العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر***، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1983، 55 وما بعدها.

[1] لقد بدأت حركة التشيع في الأندلس قبل قيام الخلافة الفاطمية في المغرب، وقد اتخذت طابع الفردية الارتجالية في العمل، فلم تكن منظمة أو مرتبًا لها من قبل جهة شيعية، ومن هؤلاء الثوار عبد الله بن سعيد، بن عمار، بن ياسر، الذي ثار في عهد عبد الرحمن الداخل، إذ قتل جده عمار على يد الأمويين في معركة صفين. وثورة الحسين بن يحيى، بن سعد، بن عبادة، الخزرجي الذي خلع الطاعة والولاء لعبد الرحمن الداخل سنة 165هـ/ 782م، وقد جد هذا الثائر من شيعة سيدنا علي –كرم الله وجهه-. وثورة البربري شقيا بن عبد الواحد المكناسي، التي بدأت سنة 151هـ/ 768م إلى عام 160هـ/ 777م، الذي ادعى أنه فاطمي نسبة إلى اسم أمه فاطمة، إذ ثار على عبد الرحمن الداخل، نتيجة ظلم العرب للبربر وسيطرتهم على أفضل المواقع وأخصبها خضرة. وقد قضي عليه من خلال مؤامرة دبرها له عبد الرحمن، فتم اغتياله سنة 160هـ/ 777م. ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 148/4؛ مؤلف مجهول، ***أخبار مجموعة***،97-101؛ ابن عذاري، أحمد ***البيان المغرب***، 55/2،54؛ المقري، أحمد، نفح الطيب، 93/3،92؛ علي مكي، محمود، ***التشيع في الأندلس***، 97-99.

[2] العبادي، أحمد، ***في التاريخ العباسي والفاطمي***، 235؛ طقوش، محمد سهيل، ***تاريخ الفاطميين***، 114.

[3] أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني البغدادي، يعد من الشعراء المفوهين، وأحد المغامرين المحتالين، كان كاتباً لعبيد الله المهدي. وقد روج لشعر أبي تمام (ت. 232هـ/846م)، ودعبل الخزاعي(ت.246هـ/860م)، وهما من أهم ألسنة الشيعة في

ومن دعاة الفاطميين الذين عبروا الأندلس أبو جعفر البغدادي[2]، الذي دخل الأندلس متجسسًا تحت ستار العلم، وقد زود الفاطميين بمعلومات عن أحوال البلاد السياسية والاجتماعية[3].

ولعب ابن حوقل[4]، صاحب كتاب صورة الأرض دورًا كبيرًا في التجسس على بلاد الأندلس ومعرفة أحواله، فقد دخل الأندلس تحت ستار التجارة، وقد سماه ياقوت الحموي بـ "التاجر الموصلي"[5]. نقل للفاطميين مسالك الأندلس، ومزروعاتها، ومعادنها، وأخبار الجيش الأندلسي واصفًا إياه بالضعف وعدم قدرته على حماية البلاد، وقد أرسل تلك المعلومات إلى الفاطميين واصفًا الأندلس بقوله:"...ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده، مع صغر أحلام أهلها، وضعة نفوسهم، ونقص عقولهم، وبعدهم من البأس، والشجاعة، والفروسية، والبسالة ولقاء الرجال ومراسي الأنجاد والأبطال، وعلم موالينا _عليهم السلام_ بمحلها في نفوسها ومقدار جباياتها، ومواقع نعمها ولذاتها...وليس بجيوشهم حلاوة في العين؛ لسقوطهم عن أسباب الفروسية وقوانينها، وإن شجعت أنفسهم ومرنوا بالقتال، فإن أكثر حروبهم تتصرف على الكيد والحيلة، وما رأيت ولا رأى غيري بها إنسانًا قط جرى على فرس فاره أو برذون هجين، ورجلاه في الركابين، ولا يستطيعون ذلك، ولا بلغني عن أحد منهم يخوفهم السقوط وبقاء الرجل في الركاب على قولهم، وهم يفرسون على الأعراء من الخيل..."[6].

المشرق. اعتقل على يد حاكم مصر –بعد عودته من الأندلس-، أحمد بن طولون عندما علم بدعوته للمذهب الفاطمي في مصر. له العديد من المؤلفات منها: سراج الهدي، وكتاب قطب الأدب، ورسالة "الوحيدة المؤنسة". توفي سنة 298هـ/ 910م. ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 162،163/1؛ علي مكي، محمود، ***التشيع في الأندلس***، 112.

[1] علي مكي، محمود، ***التشيع في الأندلس***، 112.

[2] أبو جعفر، محمد بن أحمد بن هارون البغدادي، تولى الكتابة للخليفة المهدي بعد أبي اليسر الشيباني، أسند إليه المهدي خطة البريد؛ لبراعته، وتجربته في فن التجسس ومهارته في بث الدعوة الشيعية في الأندلس، كما ولاه على القضاء والوثائق في الدولة الفاطمية. ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 163/1؛ نجار، ليلى، ***العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر***، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1983، 96.

[3] ابن الفرضي، محمد، ***تاريخ علماء الأندلس***، 60،61؛ طقوش، محمد سهيل، ***تاريخ الفاطميين***، 115،116.

[4] أبو القاسم، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، رحالة، خرج من بغداد سنة 331هـ/ 942م، طاف في العديد من البلدان كبلاد المغرب، وصقلية، والأندلس، توفي عام 367هـ/977م. الزركلي، خير الدين، ***الأعلام***، 111/6.

[5] ***معجم البلدان***، 262/1

[6] 108-113.

ولا ريب أن كلام ابن حوقل هذا حول الأندلس وأهلها فيه من التحامل والمبالغة في الضعف وربما أراد بهذا الوصف جر الفاطميين إلى الدخول نحو الأندلس والسيطرة عليها، إلا أن كلامه لم يلقَ التأييد من جانب الخلافة الفاطمية[1]، وقد يكون ذلك نتيجة لوجود عيون للفاطميين غيره في الأندلس، وتقديمهم تقارير مخالفة لتقرير ابن حوقل وأكثر مصداقيه، لهذا لم يلتفت الفاطميون إلى هذا التقرير، ولم يأخذوا به.

ومن دعاة المذهب الفاطمي في الأندلس محمد بن هانىء الأندلسي[2]، الذي طرد منها لدعوته العلنية للفكر الشيعي. كما أقدم الفاطميون على كسب الثائرين ودعمهم في وجه الدولة الأموية بالأندلس كابن حفصون، بدعمه بالمراكب المحملة بالمؤن والذخيرة، أثناء مقارعته لحكام بني أمية[3].

نستطيع أن نقول: إن ما حققه الفاطميون في محاولتهم نشر عيونهم؛ لمعرفة أحوال بلاد الأندلس ونشر مذهبهم فيها لم يرقَ إلى ما يرجون، ولم يحقق الغاية، فلم يستطيعوا تشكيل حزب شيعي أو قاعدة مذهبية لهم عند سكان الأندلس، وهذا يرجع إلى قوة المذهب السني الذي غرسه حكام بني أمية في نفوس المسلمين في الأندلس. ولم يستفد الفاطميون من التقارير التي رفعت لهم عن أحوال الأندلس لمعرفة نقاط ضعفها وطرقها في حالة اجتياحها.

---

[1] العبادي، أحمد، ***في التاريخ العباسي والفاطمي***، 236؛ L. Provencal، ***Histoier de Espagne***، T.2، p90.

[2] أبو القاسم، محمد بن هانىء، بن محمد، بن سعدون، الأزدي، الأندلسي، أشعر شعراء المغرب، وهو كالمتنبي في المشرق، ويعد أبوه هانىء من أحفظ أشعار العرب وأخبارهم. ولد محمد في إشبيلية سنة 326هـ/ 938م. وقد أعلن في شعره عن تشيعه منذ زمن، قائلاً:

وما نقموا إلا قديم تشيعي... فنجى هِزبراً شدةُ المتدارك

وقد غذي بالفكر الإسماعيلي حتى وصف الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بالواحد القهار، وبالنبي عليه السلام، فقال:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار ... فاحكم فأنت الواحد القهار

وكـأنـما أنـت النبـي مـحمد... وكـأنـمـا أنصـارك الأنصـار

توفي عام 362هـ/ 973م، وقيل سنة 361هـ/ 972م، بالقرب غيلة بالقرب من برقة في أفريقية. ابن تغري بردي، يوسف، ***النجوم الزاهرة***، 73/4،72؛ الخطيب، لسان الدين، ***الإحاطة***، 186/2، 189؛ ابن خلكان، أحمد، ***وفيات الأعيان***،421/4؛ ابن هانىء، محمد، ***ديوان ابن هانىء***، 245،146.

[3] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 165/2.

- **استعدادات الناصر لدرء خطر الفاطميين**

أ) بث العيون

استخدم عبد الرحمن الناصر سلاح الفاطميين نفسه، إذ نشر عيونه بالمغرب وخصوصًا المغرب الأقصى؛ لمراقبة تحركات الفاطميين، ومعرفة خططهم؛ لإفشالها ورد كيدهم.

فقد كان لوجود الجاليات الأندلسية القاطنة على السواحل المغربية _التي أسسها البحارة الأندلسيون أثناء التعاون مع الرستميين_ دور في إنجاح مهمة الجواسيس، فقد كانت تلك الجاليات حريصة على دولتهم الأموية في الأندلس، وعلى مذهبهم السني، وحرص الناصر على التمسك بالمذهب السني مستغلًا سخط علماء أهل السنة وأغنيائهم من سكان المغرب على المذهب الشيعي ودولته الفاطمية[1]، فقد مهدت له الطريق للتدخل في بلاد المغرب، تدخلًا مباشرًا، وكسب القبائل المغربية وعلى رأسها قبيلة زناتة، فقد كانت مسألة المغرب مسألة حياة أو موت لكليهما.

ب) إعلان الخلافة الأموية

وأمام محاولات الفاطميين في نشر مذهبهم بين سكان الأندلس، وفرض نفوذهم على المغرب الأقصى، تمهيدًا للتدخل في شؤون الأندلس، وإسقاط الحكم الأموي السني فيها، اتخذ الناصر خطوة متقدمة إزاء ذلك، إذ قلب شكل نظام حكم البلاد من الإمارة إلى الخلافة، معلنًا أنه الخليفة الشرعي

[1] يذكر ابن عذاري قصة التاجر السني أبي جعفر بن خيرون أحد كبار أغنياء القيروان وأثريائهم، وهو صاحب مسجد الشريف، وله فنادق حول سجن القيروان، فتم اعتقاله بسعي من القاضي الشيعي المروذي، لا لشيء إلا حسداً وطمعا. عدا التضييق والاعتقالات التي كانت تجري لعلماء أهل السنة في المغرب على أيدي الفاطميين، فيروي ابن الفرضي عن معارضة الفقيه العالم يحيى بن عمر بن يوسف القرطبي الأندلسي (ت.289هـ/901م) الذي سكن بالقيروان، إذ كان شديد التعصب لمذهب أهل السنة، كارهًا للبدع الشيعية، حاملاً عليها سخطه، وكان يعتز لولائه لبني امية بالأندلس. ابن الفرضي، عبد الله، ***تاريخ علماء الاندلس***، 435؛ ابن عذاري، محمد، ***البيان المغرب***، 1/ 16؛ المالكي، عبد الله، ***رياض النفوس***، 493/1.

للمسلمين سنة 316هـ/928م، وأمر بإثبات عبارة "الناصر لدين الله أمير المؤمنين" في أعلامه وطرزه، ودنانيره، ودراهمه[1].

وكان دافعه وراء هذا العمل السياسي الحساس وجود الخلافة الفاطمية التي أخذت تدعي بالشرعية والحق في وجودها، وهيمنتها على العالم الإسلامي، فأراد في إعلانه هذا جذب المسلمين في الأندلس وبلاد المغرب تحت لواء خلافته السنية من جهة، ورغبته في رفع المكانة السياسية والدينية للحكم في الأندلس بعد أن وحدها وأخمد حركة الثائرين فيها[2]، فدعم بهذا مركزه داخل الأندلس وخارجها، وفرض هيبته في نفوس أهل الأندلس حتى لا يتأثروا بالدعوة الفاطمية[3].

كما جاء هذا الإعلان في وقتٍ ضعفت فيه الخلافة العباسية السنية في المشرق، إذ اهتزت مكانة الخليفة العباسي وتهاوت بعد سيطرة الأتراك والأقارب وتسلطهما، ومسكهم لزمام السلطة من جهة ثالثة[4].

ت) اصطناع الأتباع

في ظل الخطر الفاطمي الرامي إلى السيطرة على المغرب الأقصى؛ لما يمثله من عمقٍ هجومي هام، إذ لا يفصله عن الأندلس إلا مضيق جبل طارق، نهج الناصر نهج أسلافه باصطناع أتباع من قبائل المغرب؛ لتكون الشريط الآمن للعدوة الأندلسية من جهة المغرب من المد

---

[1] الخطيب، لسان الدين، *أعمال الأعلام*، 28-30؛ ابن سعيد، علي، *المغرب في حلى المغرب*، 181/1؛ ابن الأبار، محمد، *الحلة السيراء*، 197/1؛ ابن عذاري، أحمد، *البيان المغرب*، 2/ 156. لقراءة المرسوم الذي أصدره الناصر بخصوص ذلك، ينظر، ملحق3، 149.

[2] نجار، ليلى، *العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر*، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1983، 145 وما بعدها.

[3] الدليمي، انتصار، *التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس*، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، 2005، 117.

[4] ومن الأمثلة على ذلك الضعف الذي لحق بالخلفاء العباسيين ما وصفه لنا المؤرخ ابن طباطبا أيام عهد الخليفة المقتدر أبي الفضل جعفر بن المعتضد (ت. 320هـ/932م)، إذ يقول: "اعلم أن دولة المقتدر كانت دولة ذات تخليط كثير لصغر سنه ولاستيلاء أمه ونسائه وخدمه عليه فكانت دولته تدور أمورها على تدبير النساء والخدم وهو مشغول بلذته، فخربت الدنيا في أيامه وخلت بيوت الأموال، واختلفت الكلمة، فخلع ثم أعيد ثم قتل". *الفخري في الآداب*، 262؛ الضبي، أحمد، *بغية الملتمس*، 21؛ المقري، أحمد، *أزهار الرياض*، 258/2.

الفاطمي، فقام باستمالة قبائل زناتة بالهدايا والأموال، لا سيما الذين اتخذوا موقف العداء من الفاطميين لمنحهم قبيلة كتامة المناصب، والرفعة، والمال، لوقوفها مع الدعوة الشيعية في إفريقية وبلاد المغرب من جهة[1]، وإساءة أفرادها ممن تولى المناصب، ومعاملتهم للناس بقسوة واغتصابهم لأموالهم من جهة ثانية[2]، لذلك، لم يتردد الزناتيون في مناصرة عبد الرحمن الناصر على الفاطميين، ويقول ابن حيان في ذلك: "فلم يلبث أن هويت إليه أفئدة كثير منهم، ومن زعمائهم، بين مصحح في ولايته، مستجيب لدعوته، مغتنم لعطيته، مستعين بعونه"[3].

وقد أخلص له آل خزر، ملوك جميع البوادي من زناتة[4]، فقد كان زعيمهم _آنذاك_ محمد بن الخير بن خزر_أمير مغراوة[5]_ يرسل للناصر آخر المستجدات والتطورات السياسية في الساحة المغربية، فقد أرسل ابن خزر رسالة إلى عبد الرحمن الناصر، يخبره فيها سيطرتهم على مدينة المسيلة (المحمدية) بعد فرار عاملها علي بن حمدون[6]، وإخضاعهم للعديد من قبائلها كبني برزال

---

[1] نجار، ليلى، ***العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر***، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1983، 167. وللوقوف على دور كتامة في مناصرة الفكر الشيعي ينظر: عماد الدين، إدريس، ***تاريخ الخلفاء الفاطميين***، 50 وما بعدها.

[2] محمد، عبد الله، ***الدولة الفاطمية***، 77.

[3] ***المقتبس***، مخطوط ورقة رقم 105.

[4] آل خزر هم إحدى بطون زناتة بالمغرب الأوسط، يرجع وقوفهم مع بني أمية إلى جدهم خزر بن حفص، بن صولات، بن وزمار، الذي أسلم على يد الصحابي الخليفة الراشدي عثمان بن عفان، وعقده بالتقديم على قومه من قبله –أي والياً على قومه- ، ومنذ ذلك الوقت أصبح آل خزر أنصاراً للأمويين. مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 95؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 21/7.

[5] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 53/4.

[6] علي بن حمدون، بن سماك، بن مسعود، بن منصور، الجذامي المعروف بابن الأندلسي، اتصل بعبيد الله المهدي وبابنه محمد محمد أبي القاسم قبل قيام الدعوة الفاطمية بالمغرب، ثم اتصل بعبد الله الشيعي في طرابلس. وقد بنى ابن حمدون مدينة المسيلة التي سميت بالمحمدية-في إقليم الزاب بالمغرب الأوسط- سنة 313هـ/925م، وقيل سنة 315هـ/927م. وقد حكمها بعد أن عهد الإمام المهدي له بذلك، وذلك لمراقبة تحركات القبائل الخارجة على الفاطميين كمغراوة وبني يفرن، ولتكون قاعدة إمدادات في محاربة النفوذ الأموي في الأندلس والمغربين الأوسط والأقصى، ثم عهد له المهدي ولاية الزاب-بلاد واسعة بين تلمسان وسلماسة-. وقد تولى حكم المدينة من بعد وفاته سنة 334هـ/ 946م ولداه جعفر ويحيى. البكري، عبد الله، ***المغرب***، 59؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 242/2؛ الحميري، محمد، ***روض المعطار***، 558؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 98/4؛ علي، زاهد، ***تبيين المعاني***، 48؛ مؤلف مجهول، ***الاستبصار***، 172.

التي أعلنت ولاءها للناصر لدين الله، وسيطرتهم على الطريق بين إفريقية والمغرب، وقطعهم للمؤن التي كان يرسلها الإمام المهدي إلى تاهرت[1].

كما أرسل الخير بن محمد بن خزر رسالة إلى الخليفة الناصر، يخبره فيها عن انتصاره على الفاطميين، ودحرهم عن منطقة وهران بعد أن قام أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي[2] بهدم عددٍ من حصونهم وقلاعهم فيها، وبنائه حصنًا بجوارهم، شحنه بالمؤن والرجال؛ لتهديدهم والتضييق عليهم[3].

وأرسل للناصر رسالة أخرى، يخبره فيها عن سيطرته على العديد من المدن المغربية، وإخضاع قبائلها، ومبايعتهم لأمير الأندلس بعد أخذه رهائن منهم، أرسلهم إلى أبيه محمد بن خزر[4]. كما كان الأخير يرسل الرسائل والهدايا التي تؤكد ولاءه ومبايعته للناصر رغم التهديدات التي كان يتلقاها من قبل الفاطميين بسبب ذلك[5].

وقد اعتمد الناصر في تكوين جيشه الأندلسي على فرسان زناتة الأشداء، الذين عبروا المضيق لمساندته في مقاتلة مناوئيه الخارجين على حكمه في الأندلس. فمكنوا من حكم بني أموية على الأندلس واستقراره[6].

---

1 ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 1/ 194؛ ابن حيان، حيان، ***المقتبس***، مخطوط ورقة رقم 105.

2 اختلف في معرفة اسمه، فقيل إنه عبد الرحمن، وقيل حسن، وقيل محمد، والراجع أن اسمه محمد لتسمية مدينة المسيلة بالمحمدية، إذ هو من خطها، ثم أمر علي بن حمدون ببنائها، وكذلك كان يمدح بالأشعار باسم محمد، فقد مدحه الشاعر محمد الأيادي التونسي بقوله:

أعجب بأسطول الإمام محمد ... وبحسنه وزمانه المستغرب

تولى حكم الدولة الفاطمية بعد وفاة أبيه المهدي سنة 297هـ/909م، وتلقب بـ "القائم بأمر الله". توفي عام 322هـ/933م. ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء***، 285/1.

3 ابن حيان، حيان، ***المقتبس***، مخطوط ورقة رقم 105؛ نجار، ليلى، ***العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر***، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1983، 169.

4 فيلالي، عبد العزيز، ***العلاقات السياسية***، 142.

5 نجار، ليلى، ***العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر***، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1983، 169.

6 ابن حيان، حيان، ***المقتبس***، مخطوط ورقة رقم 105.

لقد كان ولاء ابن خزر للناصر لدين الله في الأندلس ولاءً جعله بمثابة عامل المغرب بأمر من خليفة الأندلس، إذ لم يكتفِ بإرسال الأخبار وإظهار الولاء للناصر، بل نراه في سنة 320هـ/ 932م، يرسل رسالة للناصر يطلب فيها منه الموافقة على إقامة مقر جديد له في منطقة سلفا على الساحل المغربي بالقرب من تاهرت، معللًا ذلك في رغبته في الدنو من الأندلس؛ ليسهل الاتصال بها كما يشاء، وتسهيل تلقي الإمدادات من الأندلس في وقت الأزمات[1].

كما أشار في رسالته للناصر إلى خطة عسكرية للسيطرة على تاهرت، بإرسال قوة أندلسية تحتوي على الخبراء في محاصرة المدن، والمهرة في فن بناء البنيان وتشييدها، وذلك؛ لاستئصال الشيعة منها، وفتح الطريق لإخضاع الدولة الفاطمية[2].

أما الأدارسة العلويون، فإنهم رفضوا الخضوع للخليفة الأموي في الأندلس، معلنين بيعتهم للخليفة الفاطمي، ويرجع ذلك للأحقاد القديمة بين آل البيت وبني أمية على السلطة والنفوذ. وقد كانوا يشكلون خطرًا على الأمويين بالأندلس لسيطرتهم على مدينتي سبتة وطنجة الواقعتين على الساحل المغربي المطل على العدوة الأندلسية. إلا أن إدريس بن إبراهيم السليماني الحسني _ صاحب مدينة أرشقول[3]_ خالف نهج أبناء عمه، إذ بدأ بمكاتبة الناصر سنة 316هـ/928م معلنًا ولاءه له، كما أرسل الوفود إلى قرطبة، محملة بالهدايا تأكيدًا على ذلك، فتعرض نتيجة ذلك إلى هجوم أبناء عمه عليه ومقاطعته. كما نهج القاسم ابن إبراهيم بن محمد الحسني_صاحب تنس_ نهج إدريس، معلنًا الولاء للأمويين في الأندلس سنة 317هـ/929م[4]. وقد يرجع ولاء هؤلاء إلى الناصر نتيجة خوفهم على نفوذهم في المغرب من الفاطميين الذين يدّعون الحق في الخلافة.

[1] نفسه، ورقة رقم 120.
[2] ابن حيان، حيان، *المقتبس*، مخطوط ورقة رقم 120.
[3] مدينة في ساحل تلمسان من أرض المغرب. الحميري، محمد، *روض المعطار*، 26؛ البكري، عبد الله، *المغرب*، 77.
[4] ابن حيان، *المقتبس*، مخطوط ورقة رقم 107.

وقد لعب زعيم قبيلة مكناسة موسى بن أبي العافية[1] دورًا عظيمًا في خدمة الناصر، إذ أعلن دخوله في طاعته، واستعداده في استمالة أهل العدوة المجاورين له سنة 317هـ/929م[2]. كما أخذ على عاتقه مطاردة القبائل وقتالهم، التي خلعت طاعتها للناصر، وألحق الهزيمة بجيوش الفاطميين التي كانت تسير إليه، فأخضع مختلف الأقاليم من تلمسان وسواحلها شرقًا إلى أقصى الشمال الغربي للمغرب الأقصى غربًا إلى منطقة السوس الأقصى جنوبًا[3]. فكسر شوكة الأدارسة الذين هللوا لقدوم ميسور الخصي الصقلبي_غلام أبي القاسم بن المهدي_ رغم الخلاف والبغض بينهما. وقد أمده الناصر بأسطول مكون من أربعين مركبًا، على متنهم ثلاثة آلاف مقاتل، منهم خمسمائة في الحشم، وكان اندفاع هذه السفن الحربية من مدينة سبتة إلى مليلة، ونكور، وجراوة مكناسة[4] فتم له السيطرة عليها. ثم رجع الأسطول إلى الأندلس سنة 324هـ/935م[5].

وقد خطب للناصر على منابر المساجد في هذه البلاد، كما كان ابن أبي العافية يرسل للناصر بأخبار آخر التطورات السياسية والعسكرية في بلاد المغرب، وكل تحركات الفاطميين[6].

لم تقتصر العلاقة بين الناصر وابن أبي العافية على الجانبين السياسي والعسكري، بل تعدى إلى علاقة اقتصادية وعمرانية، فبعد الحروب التي قادها موسى بن أبي العافية التي خلفت من الخراب والدمار الكثير، طلب من الناصر تزويده بالمؤن، والمهندسين، والبنائين، ومواد البناء والآلات اللازمة لذلك، وطلب منه إرسال قوة بحرية ترسو في أحد الموانيء التابعة لأعماله؛ لتشد

---

[1] موسى بن أبي العافية، بن أبي باسل، بن أبي الضحاك، بن مجزول المكناسي، زعيم قبيلة مكناسة، ملك مدينة فاس سنة 313هـ/ 925م، كما تملك العديد من المدن المغربية وأخضع أهلها لمبايعة الناصر في الأندلس، توفي سنة 360هـ/970م. ابن أبي الزرع، أحمد، ***روض القرطاس***، 50.

[2] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 31/7؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 1/ 199.

[3] للوقوف على أعمال موسى بن أبي العافية، ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 158/6-163.

[4] موضع بإفريقية بين قسطنطينية وقلعة بني حمّاد. الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 117/2.

[5] ابن حيان، حيان، ***المقتبس***، مخطوط ورقة رقم 149.

[6] ابن أبي الزرع، أحمد، ***روض القرطاس***، 51-53؛ نجار، ليلى، ***العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر***، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1983، 175،174.

من أزره. فأجابه الناصر، فأنفذ إليه محمد بن الوليد بن فشقيق رئيس المهندسين الأندلسيين، ومعه من البنائين والنجارين والحفارين والحدادين والنشارين ما يكفيه، وقد اختارهم من أمهر الحرفيين الأندلسيين، وجهزهم بآلاتهم وأدواتهم[1].

ولعظم دور هذه القبائل المغربية في حماية الأندلس من الامتداد الفاطمي نحو العدوة الأندلسية، نجد الخليفة الناصر يتدخل بشكل مباشر وسريع؛ لإنهاء أي خلاف ينشب بين القبائل الموالية له؛ لأن في ذلك قوة له واستمرارًا في نفوذه هناك، وحائلًا دون تحقيق الفاطميين لأطماعهم في الأندلس. كما جرى بين موسى بن أبي العافية ومحمد بن خزر[2]، فكان الناصر "يحمل أهل الطاعة على أهل المعصية منهم، مسدا لمن عجز برجاله، مقويًا لمن ضعف بماله، متفقدًا لهم في سائر الحالات بألطافه، متعهدًا بوجوه رسله وخواصه إلى أن تميز أكثر بوادي زناتة في حزبه وارتسموا بطاعته..." [3].

لقد جاء وقوف زعماء القبائل المغربية مع حكام بني أمية في الأندلس منذ قيام الإمارة إلى قيام الخلافة؛ لإدراكهم خلو نيتهم من السيطرة على بلادهم، وحكمها كما هدف الفاطميون إلى السيطرة على المغرب، وحرمان الزعامات المحلية من ممارسة نفوذها على بلادهم أو مناطقهم، وكان من قبلهم العباسيون عبر قلعتهم في القيروان أثناء حكم بني الأغلب، فنظر زعماء القبائل إلى الأندلس بوصفها دولة مستقرة مزدهرة غير طامعة في بلادهم، بل وجدوا في التحالف مع الأندلس المهابة والمحافظة على زعامتهم لمناطقهم في المغرب. هذا عدا الأهمية الاقتصادية، إذ تعد بلاد الأندلس شريانًا اقتصاديًا مهمًا يغذي المغرب باحتياجاته اللازمة من مواد وغذاء، كما أن أبناء هذه القبائل

---

[1] ابن حيان، حيان، ***المقتبس***، مخطوط ورقة رقم 151.

[2] يرجع سبب الخلاف إلى مهاجمة ابن خزر لمدينة جراوة مكناسة،فاستغاث أهلها بابن أبي العافية، فطلب الأخير من ابن خزر عقد صلح بينهما، فرفض ابن خزر ذلك وفر هارباً. فأرسل الناصر إليهما رسوله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى لحل الخلاف. نجار، ليلى، ***العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر***، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 1983، 173.

[3] مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 94.

الأوائل كانوا الفاتحين لبلاد الأندلس الذين استوطنوا فيها مع بداية الفتح. لذلك وجدت هذه القبائل أن حياتها واستمرار وجودها يكون بالتحالف مع الأندلس، أمام هجمات بني الأغلب سابقًا وهجمات الفاطميين فيما بعد.

ث) تحريك الأسطول الأندلسي لحماية العدوتين

ولم يكتفِ الناصر بتلك الأعمال السياسية من نشر العيون في بلاد المغرب، وإعلان الخلافة الأموية السنية بالأندلس، وكسب ولاء القبائل المغربية فحسب، بل قام بتوجيه ضربات عسكرية استباقية للدولة الفاطمية، تمثلت بالسيطرة على ثغور ساحل المغرب الأقصى؛ لقطع جميع حبال تفكير الفاطميين من السيطرة على العدوة المغربية، لاجتياز المضيق، ومن ثمَّ الوصول إلى العدوة الأندلسية. فبعد سيطرته على ثغر مليلة، قام الناصر بتحريك أسطوله العسكري سنة 319هـ/931م نحو ثغر سبتة، الذي كان مطمح هِمَم ملوك العدوتين[1]، فسيطر عليه دون عناء، إذ رغب أهلها من مسالمة الناصر بعد أن علا سلطانه وتألق نجمه[2]، وقد أكرم الناصر وجوه أهلها الذين جنحوا إلى طاعته، ورفع من شأنهم، وقضى جميع حوائجهم[3]؛ لاستمالتهم، وعدم الخروج عليه لما تشكله سبتة من نقطة أمنية مهمة للعدوة الأندلسية. وكان من أهل سبتة سكان أندلسيون، استوطنوا فيها بعد أن عبروا المضيق سنتي 131/136هـ_748/753م بسبب أيام الجدب التي أصابت بلادهم آنذاك[4].

---

[1] المقري، أحمد، ***أزهار الرياض***، 257/2.
[2] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 1/ 201،200.
[3] المقري، أحمد، ***أزهار الرياض***، 258/2.
[4] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 203/1.

وقد أقيمت الخطبة باسم الخليفة الأموي، الناصر لدين الله على منابر مساجدها، وعيّن عليها الناصر عامله فرج بن عفير[1]، وقد استقر فيها من الجند لحمايتها والدفاع عنها، خصوصًا من الأدارسة العلويين الذين فشلوا في محاولة استردادها، إذ كان بينهم وبين أهلها من البربر طاعة وخُلطة[2]، واضطروا في النهاية إلى الطاعة للناصر والاعتذار له عن فعلتهم، وتبادلا الهدايا فيما بينهم[3].

ثم وجه أسطوله البحري للسيطرة على أرشقول سنة 320هـ/932م، إلا أنه لم يستطع السيطرة عليها بسبب سوء الأحوال الجوية، وقد تمكن من السيطرة عليها بعد خمسة أعوام، أي: في سنة 325هـ/937م[4]. ثم سيطر أسطوله على مدينة أصيلا سنة 322هـ/934م، وعزز فيها قوة عسكرية لحمايتها، ودخل أهلها في طاعة الناصر بعد أن أخذ رهائن منهم، توثقة للطاعة[5].

أما إقليم طنجة، فبعد أن أعلن ساكنوه الطاعة والولاء لأمير الأندلس أثناء سيطرة الأسطول الأموي على سبتة، خلعوا طاعتهم له، فاضطر الناصر لإخضاعها عبر أسطوله البحري سنة 323هـ/935م. ثم أخذ أسطوله يجول على الساحل المغربي؛ لتأديب المنتفضين الثائرين وإخمادهم بالتعاون مع حلفاء الناصر من جهة[6]، والسيطرة على المراسي الساحلية كمرسى "واسط" الواقع بين بين سبتة وطنجة من جهة أخرى،" فتوطدت طاعته بأرض المغرب"[7].

---

[1] للاطلاع على أسماء عمال الناصر الذين تقلدوا حكم سبتة، ينظر: ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 1/ 204.
[2] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 21/4.
[3] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 1/ 204؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 169/4.
[4] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 161/6.
[5] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 1/ 235.
[6] للاطلاع على تلك التأديبات، ينظر: فيلالي، عبد العزيز، ***العلاقات السياسية***، 162-167.
[7] المقري، أحمد، ***أزهار الرياض***، 257/2.

وبهذه العمليات العسكرية للأسطول البحري الأندلسي، يكون الناصر قد ملك غرب البحر الأبيض المتوسط، "فاشتد سلطانه، وملك البحر بعدوتيه، وصار المجاز بيده"[1]، ونتيجة لذلك لمعت في ذهنه فكرة إعادة مجد بني أمية مرة أخرى، خصوصًا بعد أن أعلمه ابن أبي العافية بالتفكك والنزاع الذي أصاب البيت الفاطمي في المغرب بعد وفاة عبيد الله المهدي. ولتحقيق تلك الفكرة أخذ الناصر بإرسال الكتب إلى حلفائه كموسى بن أبي العافية، ومحمد بن خزر، يحثهم على تعبئة قبائلهم واستنفارها من ذلك، وأغدق عليهم من الهدايا والأموال الطائلة لاستمالتهم في إنجاز مشروعه، كما أمر عماله في الأندلس، بإعداد الرجال والعتاد، بتطوير السلاح، وبناء الأساطيل البحرية، وفي ذلك يقول ابن حيان[2]:"... لما تفرغ باله_ الناصر_ وتقضت بالأندلس أشغاله واكتملت له في أعدائه آماله، ولم يبقَ عليه فيها بقية يعانيها، ولا جال يستعمل رجاله فيها، حرف عزيمته وأمال همته إلى ما بين يديه من أسباب المشرق، وطلب ما لم يزل لأوله حقًا ولا ميراثًا... وحماية بيت الله الحرام المنتكثة حرمته المعظمة المسلوب ركنه المغلوب أهله، وقد أمر أمير المؤمنين بالتأهب والاستعداد بالرجال، والأخبار بتجنيد الأباة، وانتقاء الرماة، وتضعيف العدد وتكثير العدة، وتجديد الآلات وتكميل الأدوات، والحشود بالجنود لميقات معلوم، وأن يستكثر من جمع المراكب إلى ما قدم منها، وبتوسيع عددها بتجميل الأساطيل المؤيدة... والسير طائفة منها نحو سبتة وأخرى إلى جهة وهران...فاستعد _محمد بن خزر_ وتأهب لتكون صدر القواد كما أنت صدر أولي الوداد...".

إلا أن مشروعه بقي حبرًا على ورق، إذ يعدّ ذلك العمل مغامرة كبيرة قد تؤدي إلى إزالة الحكم الأموي من الوجود، فالمسافات بينه وبين المشرق الإسلامي طويلة جدًا تحتاج إلى قوة كبيرة موازية أو تزيد عن قوة إفريقية والمشرق الإسلامي.

---

[1] نفسه، 257/2.

[2] *المقتبس*، مخطوط ورقة رقم 122،123.

ج) دعم الثائرين على الحكم الفاطمي

وفي هذا السياق، ساند الناصر الحركة الثورية التي قام بها أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الزناتي المعروف بـ "صاحب الحمار" ضد الفاطميين في المغرب، التي بدأت الدعوة لها سنة 316هـ/928م[1]، وقد اجتمع حوله الخوارج والأقارب لقتال الشيعة، وطردهم من البلاد، فاشتدت شوكته، وكثر أتباعه[2]. فقد وجه أبو يزيد ابنه أيوب إلى الناصر يستنصره، فأخرج معه الأموي عسكرًا ومالًا، إلا أن تلك المعونة قد وقعت بيد عامل تاهرت الفاطمي، عبد الله بن بكار، وقتل أيوب[3].

لقد استطاع أبو يزيد إخضاع المغربين الأوسط والأقصى حتى وصل إلى أبواب المهدية سنة 333هـ/ 944م[4]. عندها، راسل أمير المؤمنين بالأندلس، يبلغه بسيطرته على رقادة والمهدية بالقيروان[5]. وبدأت الوفود تجول أرض قرطبة، تحمل معها آخر التطورات، مؤكدة الطاعة والولاء لأمير الأندلس، وكان الناصر في كل سفارة تقدم إليه يغدق عليها من المال؛ لتعزيز مكانة مخلد ابن كيداد بين أصحابه، وسك النقود وضربها له بدار قرطبة[6].

إلا أن المناوشات لم تنتهِ تمامًا بينهما، فقد هاجمه الفاطميون بقوة اضطر فيها أبو يزيد "صاحب الحمار" لطلب النجدة من الناصر لدين الله، فأرسل الأخير أسطولًا بحريًا فيه عسكر كثيف، وسلاح وأموال جمّة، وولى على الأسطول عامله في بجانة محمد بن رماحس، إلا أن هذا القائد تأخر في الاستجابة لأمر الناصر، فزجره الأموي، ولم يعذره عن الخروج، وقد دخل عليه الشتاء، فانتظر

---

[1] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 49/4.
[2] المقريزي، أحمد، ***اتعاظ الحنفا***، 75/1.
[3] عماد الدين، إدريس، ***تاريخ الخلفاء الفاطميين***، 373.
[4] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 217/2،216.
[5] ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 190/7؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 212/2.
[6] العبادي، أحمد، ***دراسات في تايخ المغرب والأندلس***، 77.

حتى تحسن الجو، وما أن وصل قائد الأسطول حائط بونة[1] حتى بلغه أنباء هزيمة أبي يزيد فرجع الأسطول إلى تنس ثم الأندلس، بعد معاناة شديدة غرقت بها كثير من المراكب في البحر لسوء الأحوال الجوية[2]. وقد انتهت الثورة بالفشل، وتم قتل زعيمها "صاحب الحمار" سنة336هـ/948م[3].

لقد دخل العداء بين الطرفين: الفاطمي، والأموي طورًا أكثر حدة، فبعد أن كان الصراع في أرض المغرب بين القبائل المغربية الموالية لكل فريق (أدوات الصراع)، أصبح العداء بين الطرفين قويًا ومباشرًا بين القوتين الفاطمية بزعامة المعز لدين الله الفاطمي[4]، والناصر لدين الله أمير الأندلس منذ عام 344هـ/955م.

ويرجع سبب هذا التطور في العلاقات الفاطمية الأموية، إلى اعتراض إحدى المراكب التجارية التابعة للناصر بمركب على متنه رسول من صقلية إلى المعز لدين الله، فأخذ المركب الأندلسي ما على متن مركب الفاطميين، حاملًا معه الكتب الموجهة للمعز، فعلم الأخير بالخبر، فجهز أسطولًا بحريًا بقيادة عامله على صقلية، الحسن بن علي، وأرسله إلى المرية[5] فأحرق جميع ما فيها من مراكب، ثم قتل ونهب من أهل الأندلس، ثم رجع إلى المهدية، فما كان من الناصر إلا أن أمر بإطلاق اللعنة على ملوك الشيعة على جميع منابر الأندلس، وإنفاذ كتبه بذلك إلى العمال في سائر

---

[1] بونة عنابة من شرق الجزائر حالياً، وربما قصد بالحائط الميناء، فهي مدينة برية بحرية. البكري، عبد الله، ***المغرب***، 55.

[2] عماد الدين، إدريس، ***تاريخ الخلفاء الفاطميين***، 386،385.

[3] للوقوف على ثورة أبي يزيد "صاحب الحمار" وأسباب فشلها، ينظر: ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 190/7 وما بعدها؛ المقريزي، أحمد، ***اتعاظ الحنفا***، 75/1؛ الدشراوي، فرحات، ***الخلافة الفاطمية بالمغرب***، 247-270.

[4] أبو تميم معد بن إسماعيل (المنصور) بن القائم محمد بن عبيد الله المهدي، الملقب بالمعز لدين الله، صاحب مصر وأفريقية، بويع للخلافة الفاطمية بعد وفاة أبيه عام 341هـ/953م. في عهده تم فتح مصر بعد وفاة كافور الإخشيدي، فدخلها جوهر الصقلي سنة 358هـ/968م، ثم غادر المعز المنصورية، دار ملكه بالمغرب، متجهًا نحو القاهرة، فدخلها سنة 362هـ/ 972م، بعد أن ولى سيف الدولة بلكين بن زيري بن مناد (ت.373هـ/983م) على إفريقية والمغرب. وقد توفي المعز عام 365هـ/ 975م. ابن خلكان، أحمد، ***وفيات الأعيان***، 224/5-228؛ المقريزي، أحمد، ***اتعاظ الحنفا***، 134/1؛ ابن خلدون، عبد الرحمن ***العبر***، 55/4-59؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 1/ 221؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 162/7،261.

[5] تقع المرية على السواحل الشرقية للأندلس، وهي من أعمال كورة إلبيرة، منها يركب التجار، وفيها تحل مراكبهم وفيها مرفأ مرفأ ومرسي للسفن. الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 119/5.

الأقطار، كما حرك أسطوله تجاه إفريقية، فاقتتل الطرفان قتالًا عنيفًا حتى اضطر الأسطول الأندلسي بالعودة، ثم أرسل أسطوله مرة ثانية نحو إفريقية عام 345هـ/956م، فدمر المدن الإفريقية وأحرقها[1].

- **التدابير العسكرية الفاطمية للسيطرة على المغرب وثغوره**

وأمام هذه الهجمات على الفاطميين، أمر المعز لدين الله وزيره جوهر الصقلي[2] بإخضاع بلاد المغرب من شرقه إلى غربه؛ لتحجيم القوة الأموية المتمثلة بالقبائل المغربية واستنزافها، فاتجه جوهر الصقلي سنة 347هـ/958م مع جموع من كتامة وصنهاجة نحو فاس فأخضعها، كما أخضع سجلماسة. وأمام هذا الخطر المحدق بالناصر، وخصوصًا إذا ما سيطر جوهر الصقلي على الثغور المغربية المطلة على العدوة الأندلسية، فقد قام بإرسال قوة عسكرية رافقها عدد من الموالي وعرفاء الأندلس الذين عبروا المضيق تجاه سبتة للدفاع عنها، إذ كانت مستهدفة من قبل جوهر الصقلي، الذي حاول إخضاعها سنة 348هـ/955م، إلا أنه فشل في ذلك؛ لحصانتها وقوة جندها المدافعين عنها[3].

---

[1] أحرق مرسي الخزر، ودمر جهات من سوسة، ونواحي من طَبَرقه، وأحرق باجه، ودمرها بعد أن أحمل متاعها. ابن خلدون عبد الرحمن، ***العبر***، 55/4،49؛ ابن الأثير، أحمد، ***الكامل في التاريخ***، 254/7،253؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب*** 221/2،220؛ العبادي، أحمد، ***في التاريخ العباسي والفاطمي***، 244.

[2] أبو الحسن، جوهر بن عبد الله، المعروف بالكاتب، الرومي، أحد موالي المعز لدين الله، فتح بلاد مصر، وعلى يديه بنيت القاهرة، وجامع الأزهر، والقصر المعزي الذي نزل به المعز لدين الله. توفي بالقاهرة عام381هـ/992م. ابن خلكان، أحمد، ***أعيان الوفيات***، 375/1، 380؛ ابن تغري بردي، يوسف، ***النجوم الزاهرة***، 29/4 وما بعدها؛ المقريزي، أحمد، ***اتعاظ الحنفا***، 102/1.

[3] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 223/2،222؛ السلاوي، أحمد، ***الاستقصا***، 255/1،254.

وننوه هنا إلى آخر الأعمال السياسية التي قام بها الناصر في صده للخطر الفاطمي، والمتمثلة بعقد التحالفات مع حكام الشرق من الإخشيديين في مصر، وملوك الغرب من بيزنطة وإيطاليا الذين كانوا يسعون إلى السيطرة على صقلية، وطرد النفوذ الفاطمي منها[1].

ويشير ابن حيان إلى تلك الصورة التي يعبر فيها عن أهمية العدوة المغربية للناصر لدين الله في حمايتها عن بلاد الأندلس، ومقارعة الدعوة العباسية، فيقول: "لم تزل نفس الخليفة الناصر لدين الله، منذ استولى على أمر الملك... مجاورة جبل البرابر الحالّين بلاد المغرب لملكتهم لعدوتهم الراكبة لعدوة بلد الأندلس، تكاد عدوتهما تتراءى لضيق بحر الزقاق الحاجز بينهما وسهولة مرامه أي أوقات الزمان رؤى ركوبه، فمنه طرقت الأندلس في الزمان الخالية، واكتسب أهلها المخافة فدعته همته العلية، وفكرته المصيبة، إلى التوقل[2] إلى تلك الباغية المرهوبة والسمو لتلك العورة المكشوفة، وذلك عندما كشف عند يكنف ذلك الساحل الغربي من طنجة الفتنة وضع ما كان أوهته من صدع الفرقة، وملك مفتاح الجزيرة الخضراء فرضة الأندلس الدنيا، الراكبة فتح ذلك البحر المرهوب، المحاضية لضرتها مدينة سبتة فرضة المجاز من بلد العدوة، فأذكى نظر عينه ما كان منبثًا بخاطره من الرهبة، فأرهف العزم، وألطف الحيلة، وابتدىء ففتح ذلك بمخاضة من تقدمت له بأسلافه، ملوك بني أمية من أمراء تلك البلاد وصلة أو سلفت بينهم أصرة، يستثير وصايلهم ويصل أحبلهم، ويستدعي ولايتهم، ويسبب ذلك ما شاء مهاداتهم، وإكرام أسبابهم، وقضاء حوايجهم فلم يلبث أن هويت إليه أفئدة كثير منهم، وزعمايهم بين مصحح في ولايته، مستجيب لدعوته، مغتنم لعطيته، مستعين بقوته على مدافعة من قد هدّ ركنه من بني عبيد الله إمام الشيعة المقتحم أرضه

---

[1] للتفصيل حول هذه العلاقات السياسية الخارجية مع الإخشيديين وملوك الفرنجة، ينظر: ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 319/2 وما بعدها؛ العبادي، أحمد، ***دراسات في تايخ المغرب والأندلس***، 77،78؛ L. Provencal، ***Histoier de Espagne***،T.2،p.144.145

[2] هكذا وردت في المخطوط، وربما قصد: التوصل.

عليه ودونه، وبين منافق مقيم لسوقه بينه وبين تلك الشيعة، منذ بدت العداوة، مايل مع الدولة، مجتلب لعاجل ما استمسك به من الرشوة...

فتمكنت بذلك قدم الناصر لدين الله، فيما حازه من مدينة سبتة والقطعة التي استضمها إليها من أرض العدوة، واجتذب من أجله كثيرًا من فرسان البربر وحماة رجالهم إلى حضرته، استعان بهم في حروبه... فمتنت بذلك أسباب ملكه، وجل مقداره وبعد صيته، وهابته ملوك الأمم حوله، وظهرت نتيجة ما عاناه من مواصلة أمراء البربر، وسعي لهم سعيه لصدر دولته الفاضلة، سنة سبع عشرة وثلث مايه وما يليها، إذ ترددت فيها عليه كتب محمد بن خزر عظيم أمراء زناتة في وقته، وأنفرهم عن عبيد الله الشيعي، وأدناهم من داره، وأول من تناوله الناصر لدين الله من جماعتهم بمكاتبته واجتذبه بوصلته"[1].

لقد كانت بلاد المغرب مسرح الصراع الدائر بين القطبين _إن صح لنا التعبير_ الفاطمي الأموي، إذ شكل نقطة الفصل والنهاية عند استيلاء أحدهما عليه، لذلك اهتم الناصر بتوثيق العلاقات السياسية مع القبائل المغربية، ودعمها بالمال والسلاح؛ لإبعاد الفاطميين عن بلادهم وجعلها خطًا أمنيًا لصد هجماتهم الهادفة للسيطرة على المغرب والأندلس. وقد أخلصت تلك القبائل في دفاعها عن المغرب وإخضاع القبائل الأخرى لطاعة الخليفة الناصر لدين الله.

ولم يكتفِ االخليفة الناصر باصطناع الأتباع في المغرب في محاربتهم للفاطميين؛ ليضمن سلامة بلاده فحسب _جاعلًا بذلك الحرب وما يخلف عنها من خراب في المغرب لا في بلاده_، بل قام بتحريك الأسطول العسكري للسيطرة على الثغور المغربية، جاعلًا منها قواعد عسكرية محاربة للفاطميين في حالة سيطرتهم على المغرب ودخولهم على بلاد الأندلس. كما حصن ثغور عدوته بالاستعدادات العسكرية والأمنية في حالة اختراق الثغور المغربية.

[1] *المقتبس*، مخطوط ورقة رقم 103،104.

(ثانياً) العلاقات السياسية والعسكرية بين المغرب والأندلس في عهد الحكم "المستنصر بالله"

(350/366هـ-961/976م)

لقد نهج الحكم[1] نهج أبيه الناصر في إدارة الشؤون السياسية للدولة، ولا سيما في الصراع مع الفواطم وحلفائهم من القبائل المغربية. فقد كان الناصر يشاركه في الشؤون السياسية طيلة الخمسين سنة، مما أكسبه خبرة وحنكة سياسية كبيرة في مواجهة الأحداث ومعالجتها، حتى كان الناصر يمازحه بقوله: "لقد طولنا عليك يا أبا العاصي"[2]. فكانت سياسة المستنصر بالله تجاه العدوة المغربية هي سياسة أبيه وأجداده نفسها في الأندلس، الرامية إلى جعل العدوة المغربية خطًا دفاعيًا أولًا للأندلس من جهة، وجذب القبائل المغربية إلى جانبه، وتحريضهم على الدولة الفاطمية خصوصًا بعد هجمات جوهر الصقلي على المغربين الأوسط والأقصى.

وأمام هذه الهجمات، قام الحكم باتخاذ الإجراءات الأمنية للحفاظ على المواقع الاستراتيجية التي سيطر عليها والده الناصر في العدوة المغربية، فاستهل المستنصر عمله بإسقاط الوظائف المخزنية والمغارم السلطانية على أهل سبتة سنة 353هـ/964م، وخاطب زعماء القبائل المغربية للالتفاف حول مواجهة المد الفاطمي ونفوذهم في المغرب، فاستجاب له العديد من أمراء زناتة[3]. وتضاعف عزم الحكم في حماية أعمال العدوة، فحشد من عزائم القبائل المغربية ضد الفاطميين، وبسط آمالهم[4].

---

[1] أبو العاصي، الحكم بن عبد الرحمن، بن محمد، بن عبد الله، بن محمد، بن عبد الرحمن، بن الحكم، الملقب بالمستنصر بالله، العالم بالفقه والأنساب، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه الناصر سنة 350هـ/961م، وهو ابن سبع وأربعين سنة أو ثمان وأربعين استمرت خلافته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام، إذ توفي سنة 366هـ/976م. ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء*** 200/1؛ لسان الدين، الخطيب، ***أعمال الأعلام***، 43،41؛ الصفدي، صلاح الدين خليل، ***الوافي بالوفيات***، 75/13،74؛ المراكشي، عبد الواحد، ***المعجب***، 59.

[2] ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء***، 200/1.

[3] من هؤلاء: محمد بن الخير، بن محمد، بن خزر، أمير زناتة، وإسماعيل بن البوري أمير مكناسة، وفلفول بن سعيد أمير مغراوة، وآخرين. ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 23/7.

[4] مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 96.

كما شجعهم على الهجرة نحو الأندلس؛ لتحقيق توازن في القوى في بلاد المغرب، خصوصًا بعد هيمنة صنهاجة على النصف الشرقي من المغرب[1]، إذ أراد أن يكسب أكبر عدد من القبائل المغربية إلى جانبه لتدعيم قوته العسكرية، وكسبه القبائل التي خرجت من طاعة الفاطميين كآل حمدون[2]، وزناتة التي كاد أن ينتهي دورها في المغرب بعد سيطرة صنهاجة عليه، فرفعهم الخليفة الحكم منزلة عالية، فقلد منهم في قيادة الجيوش والمعارك؛ لما يتميزون به من شجاعة وبأس[3]. كما أنفق على القبائل المغربية من الهدايا والأموال الشيء الكثير لاستمالتهم في صراعه مع الصنهاجيين في المغرب، وأغدق الأموال على القبائل الخارجة من صفهم، الداخلة في طاعة الحاكم الأندلسي، كل ذلك لمسك زمام المغرب الذي يشكل استراتيجية أمنية مهمة للعدوة الأندلسية. كما أخذ يتفقد بنفسه التحصينات الأمنية للعدوة الأندلسية، استعدادًا منه لمواجهة أي هجوم فاطمي متوقع نحو الأندلس من الجهة الجنوبية أو الشرقية للأندلس، فقد ذهب سنة 353هـ/964م إلى

---

[1] لقد دخلت قبيلة صنهاجة البربرية الحياة السياسية والعسكرية من أوسع أبوابها في المغرب بعد أن قلدها المعز لدين الله الفاطمي زمام ولاية المغرب، قبل مغادرته البلاد نحو مصر بعد شعوره بعدم الاستقرار للدولة الفاطمية في المغرب، بحيث أصبح بقاؤهم محفوفًا بالمخاطر أمام وثبات البربر وتقلباتهم من جهة، واستحالة غزوهم للأندلس من جهة ثانية، لذلك قام المعز قبل مغادرته للمغرب بمحاولة اختبار لكل حلفائه في المغرب إلا أنهم لم يظهروا الولاء الخالص له كصاحب المسيلة والزاب الذي اشترط أن يكون شبه مستقل في الولاية. أما كتامة، فقد انهكتها الحروب الطويلة مع القبائل المغربية، كما رفض مشايخها دفع الصدقات للفاطميين، إذ اعتبروها جزية على كتامة وضريبة تسجل عليهم في الديوان. أما قبيلة زناتة فهي محسوبة في ولائها وطاعتها للأمويين. أما بنو زيري الصنهاجيون، فقد فقد أظهروا ارتياحهم لقيام الدولة الفاطمية، وساندوها في مواجهة ثورة أبي يزيد الخارجي الذي حاصروه في المهدية، ليتقربوا للفاطميين بدلاً من كتامة، كما أبدى المعز ارتياحاً عند مقابلة زعيم بني زيري، بلكين بن زيري عندما عرض عليه الولاية، فقلده بلاد المغرب. النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 24/ 93؛ المقريزي، أحمد، ***الخطط***، 37/2،36؛ العبادي، أحمد، ***في تاريخ المغرب والأندلس***، 229،228؛ فيلالي، عبد العزيز ***العلاقات السياسية***، 188-197.

[2] دخل جعفر بن علي المعروف بالأندلسي-صاحب مدينة المسيلة وإقليم الزاب- وأخوه يحيى في طاعة الخليفة الحكم بن عبد الرحمن بعد أن خلع طاعته من الفاطميين، ويرجع ذلك إلى تغير الموازين السياسية والعسكرية لصالح الأمويين في الأندلس وانسحاب المعز من المغرب نحو مصر، وضعفت كتامة التي أرهقتها الحروب لصالح الفاطميين، وميل القبائل للأمويين الذين أصبحوا على قوة عسكرية كبيرة، بالإضافة إلى الضغائن في النفوس بينه وبين بني زيري بسبب الولايات، فكان زيري الصنهاجي يهاجم القبائل المغربية التي تسكن بالقرب من المسيلة الداخلة في ذمة جعفر بن علي، ثم أعلن جعفر انضمامه للزناتيين أنصار بني أمية، فجيش زعيم صنهاجة زيري الصنهاجي جيشه لقتاله وتأديبه على فعلته، فتعارك الخصمان سنة 360هـ/970 م،وقد أسفرت المعركة إلى قتل زيري الصنهاجي، فأرسل جعفر شقيقه يحيى للخليفة الحكم يعلنه ما جرى لزعيم صنهاجة، ودخول آل حمدون في طاعة بني أمية، والوقوف في صفهم ضد الفاطميين والصنهاجيين في المغرب. مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 96؛ الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 42؛ ابن أبي دينار، محمد، ***المؤنس***، 73،72.

[3] كان الحكم المستنصر بالله معجباً بهؤلاء القوم، فقد كان يتسلى بأعمالهم الاستعراضية الجميلة أثناء لعبهم بالخيول، فيقول فيهم: "ما أعجب انقيادها- الخيول- بهم". ابن حيان، ***المقتبس***، 193.

المرية _قاعدة أسطوله_ لمعاينة ما يجري بها من تحصينات، ونظر إلى أسطولها وجدده، فقد كانت المرية مرفأ أساطيل الأندلس، ودار الصناعة للسفن والعدة والآلات اللازمة للسفن، وما يقوم به الأسطول[1]. كما حصن مدينة طريف الواقعة على العدوة الأندلسية[2].

كان لتلك السياسة الأموية، والخطر الفاطمي الآخذ بابتلاع المغربين، أن أسرع الأدراسة في إعلان طاعتهم وولائهم لخليفة الأندلس الجديد الحكم بن عبد الرحمن[3]، فقد استقبل الحكم في قصر الزهراء رسولين من الأدارسة سنة 356هـ/967م لتجديد المبايعة، والتزام الطاعة[4]. ثم استقبل وفدًا منهم سنة 360هـ/ 970م، مجددًا في ولائه وطاعته لخليفة الأندلس، طالبًا من الخليفة تزويدهم بالقوة العسكرية، وإيفاد بعثة تتكون من الرماة خشية أي هجوم قد يتعرضون له من قبل الفاطميين، فانشرح صدر الخليفة لذلك محملًا الوفد من الهدايا ما تطيب له النفس ويميل، كالخيل والجمال ترسيخًا للعلاقة بينهما[5]. وهذا ما يؤكد قولنا: إن ولاء هؤلاء للناصر كان نتيجة خوفهم على نفوذهم في المغرب من الفاطميين الذين يدّعون الحق في الخلافة.

شهدت بلاد المغرب سنة 361هـ/971م حملة عسكرية واسعة، ابتلع فيها الفاطميون بلاد المغرب من أدناه إلى أقصاه، بقيادة بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي؛ لإعادة سلطان الشيعة والثأر لمقتل أبيه زيري على يدي بني خزر، وجعفر ويحيى ابني علي بن حمدون اللذين هربا مع أهلهم من المسيلة إلى المغرب الأقصى، خوفًا من سطوة عاملهم زيري الصنهاجي، وذلك في

---

[1] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 236/2؛ الخطيب، لسان الدين، ***الإحاطة***، 268/1؛ سالم، عبد العزيز، ***تاريخ البحرية الإسلامية***، 179.

[2] Henri Terrasse، **Histoire du moroc**، p156

[3] يرى المؤرخ محمد عبد الله عنان أن ذلك التقارب من جانب الأدراسة للحكم المستنصر بالله ما هو إلا مصانعة ورياء، إذ إنهم يبغضون بني أمية، ويترقبون الفرصة للخروج عليهم، فلم تكن طاعتهم لهم إلا خوفاً من السيطرة عليهم واستئصال شأفتهم لوقوع مملكتهم في شمال العدوة على مقربة من الأندلس. ***دولة الإسلام في الأندلس***، العصر الأول (ق.2)، 492.

[4] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 240/2،239.

[5] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***،، 241/2.

رمضان سنة 360هـ/970م، فحزوا رأس زيري، وقدموها إلى الحكم في الأندلس، فغمرهم بعطفه وصلاته[1].

عند ذلك، طمع زعيم الأدارسة العلوي الحسن بن جنون الإدريسي[2] في منطقة أصيلا، فوثب على أصحاب الحكم بن عبد الرحمن الأموي، بعد أن خلع طاعته من الأمويين، وأعلن ولاءه للمعز لدين الله الفاطمي، بعد أن مزقت زناتة وآل خزر على أيدي ابن زيري الصنهاجي. فكانت ثورته بمثابة الضربة القاضية للنفوذ الأموي في المغرب. ولولا التدخل العسكري المباشر من قبل الخليفة الحكم الذي ألحق به الهزيمة، وجعله يدخل قرطبة لمبايعته، لخرجت بلاد المغرب من كنف الأمويين وكفَّتهم.

فقد سيطر ابن جنون على العديد من الثغور الساحلية المغربية سنة 361هـ/972م، مثل: طنجة وتطوان[3] بعد أن اتخذ حصن الحجر[4] أو حجر النسر _كناية عن ارتفاع المكان_ مقرًا لقيادة الثورة. فأرسل له الحكم أسطوله العسكري؛ لسحقه في مهده، متذرعًا بحماية الدين في المغرب من الهرطقة الشيعية، والمحافظة على العدوة المغربية التي تشكل خطًا دفاعيًا أماميًا للأندلس من الجهة الجنوبية[5]. فعبر الأسطول المضيق بقيادة محمد بن القاسم بن طلمس لإعادة المناطق المغربية ولا سيما الحيوية منها من ابن جنون، ثم أتبعه الحكم بأسطول ثانٍ بقيادة عبد الرحمن بن رماحس

---

[1] مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 97،98.

[2] الحسن بن القاسم، بن جنون، أو قنون، بن محمد، بن القاسم، بن إدريس، الحسني، آخر حكام دولة الأدارسة العلوية، تولى حكم البلاد بعد أخيه أحمد الإدريسي سنة 348هـ/ 957م. كانت شخصيته مذبذبة تدور مع صاحب القوة، فقد بايع الناصر الأموي، ثم خلع الطاعة بعد أن سير المعز جيشه بقيادة جوهر الصقلي، معلنا الطاعة للمعز، ثم خاف على نفسه بعد انسحاب المعز على مصر معلنا الطاعة للأمويين، ثم خلع طاعته منهم مبايعًا الفاطميين عندما قدم عليه الجيش الصنهاجي، وبقي مذبذباً بين الطرفين حتى تم قتله على يد الأمويين سنة 373هـ/993م. وبقتله سقطت دولة الأدارسة العلوية في المغرب الأقصى التي نشأت سنة 172هـ/788م على يد إدريس بن عبد الله. السلاوي، أحمد، ***الاستقصا***، 253/1؛ ابن أبي الزرع، أحمد، ***روض القرطاس***، 55؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 258/6.

[3] تقع مدينة تيطاوان أو تطوان بالقرب من مليلة. الحميري، محمد، ***روض المعطار***، 145.

[4] حصن أو قلعة عظيمة محدثة على جبل عظيم شامخ لآل إدريس، وهو حصن منيع فيه أملاكهم، ليس عليه طريق ولا إليها سبيل إلا من جهة واحدة يسلكه الراجل بعد الراجل، وقد قام ببنائه محمد بن إبراهيم بن محمد بن قاسم بن إدريس سنة 317هـ/ ابن حوقل، محمد، ***صورة الأرض***، 81.

[5] ابن أبي الزرع، أحمد، ***روض القرطاس***، 57-58.

وقد التقى القائدان في سبتة المغربية، فشنوا هجومًا بحريًا وبريًا على طنجة، حتى فرَّ منها ابن جنون وصحبه، فخضعت طنجة للنفوذ الأموي مرة أخرى، وأعلن أهلها الطاعة للخليفة الأموي في الأندلس. كما خضعت مدينة أصيلا التي أحرق فيها منبر مسجدها المنقوش عليه اسم الخليفة المعز الفاطمي. وبقيت الإمدادات العسكرية ترد إلى المغرب عبر المضيق لمساندة الجيش الأندلسي. وقد أسفرت تلك المطاردات لابن جنون إلى قتل القائد الأندلسي ابن طلمس، الذي غضب له الخليفة الحكم لمقتله محرضًا القبائل المغربية على قتال الأدارسة، وأرسل أسطوله الثالث بقيادة غالب بن عبد الرحمن؛ لتدعيم القوة الأندلسية، وحمله بالهدايا والأموال والكسوة لتوزيعها على القبائل الموالية له، واستمالة قبائل أخرى، قائلًا له:" سِرْ سَيْرَ مَنْ لا إذن له في الرجوع حيًا إلا منصورًا أو ميتًا فمعذورا، وأبسط يديك في الإنفاق؛ فإن أردت، نظمت الطريق بيننا قطار ميل"[1]. ثم أرسل الحكم قوة عسكرية أخرى بقيادة يحيى بن محمد بن التجيبي، الذي عبر المضيق للالتحاق بغالب بن عبد الرحمن، وحمله الهدايا والأموال للقبائل المغربية[2].

لقد كان لهذه السياسة المحنكة من الخليفة الحكم الأثر البالغ في إضعاف حركة ابن جنون الذي لم يبقَ حوله إلا القليل، فأعلن استسلامه ومبايعته للخليفة الحكم، خصوصًا بعد أن اشتد عليه الحصار في قلعته حجر النسر، ثم عاد القائد غالب إلى قرطبة ومعه ابن جنون مع سبعين رجلًا من الأدارسة، وأملاك بني محمد الأدارسة، وتم استقبالهم استقبالًا حافلًا سنة 363هـ/973م[3]. وهذا يدل على ذكاء الخليفة الحكم في التعامل مع خصومه بشدة في حال معاداته، وإكرامهم إن رجعوا إلى صوابهم بطاعته.

---

[1] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 174/4،173؛ المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 367/1؛ مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 99

[2] مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 99.

[3] ابن أبي الزرع، أحمد، ***روض القرطاس***، 57-60؛ السلاوي، أحمد، ***الاستقصا***، 258/1؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 244/2-248. وقيل سنة 364هـ/974م. ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 260/6؛ مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 101،98.

وبذلك، سيطر الخليفة الحكم على المضيق، واطمأن على بلاده من أي خطر شيعي ربما يهدد الأندلس من الجهة الجنوبية، خصوصًا بعد أن أخذت القبائل المغربية ترسل وفودها إلى قرطبة مؤكدة من خلالها على طاعتها وولائها للخليفة الأندلسي[1].

وعندما اشتد مرض الخليفة الحكم، وساءت حاله، آلت السلطة إلى وزرائه ونساء القصر فاضطربت أمور البلاد، فقام وزيره وصاحبه جعفر بن عثمان[2] بتدبير شؤون الدولة داخليًا وخارجيًا، لا سيما مع بلاد المغرب، فقام بتعيين الأمير جعفر بن علي "الأندلسي" وأخيه يحيى على المغرب لخبرتهما بأحوال البلاد المغربية من جهة، وبغضهما لبني زيري الصنهاجيين، ولاة الفاطميين في المغرب من جهة ثانية، وكان ذلك كله بموافقة الخليفة الحكم، وأعطاهما قبل مغادرة قرطبة من الأموال والهدايا لتوزيعها على القبائل المغربية؛ لتوثيق العلاقة المغربية الأندلسية، وقد استطاع جعفر بمساندة القبائل من رد هجمات بلكين الصنهاجي عن أراضيهم، إذ كان يهدف إلى إعادة سلطان الشيعة فيها[3]. وهذا يدل على مدى اهتمام الحكم بن عبد الرحمن بالعدوة المغربية والمحافظة عليها، ورعاية أهلها لما تمثله العدوة من أمن وسلامة للعدوة الأندلسية من أي هجوم محتمل من الجهة الجنوبية. فكان المكتوب لبلاد المغرب _في ظل هاتين الدولتين_ أن تكون ساحة للقتال، تسفك فيها دماء أمراء القبائل وخيرة شبابهم، وتخرب مدنهم كما حصل للبصرة على أيدي جيش بلكين بن زيري. فخضع المغرب مرة أخرى تحت النفوذ الأموي بطاعة قبائله للحكم المستنصر.

---

[1] من هذه القبائل: قبيلة مصمودة الذين انشقوا عن الأدارسة العلويين، ووفدا مدينتي الأندلسيين والقرويين في فاس، وأبو العيش ابن أيوب بن بلال رئيس كتامة، ووفد من شيوخ البصرة المغربية. ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 2/247-248؛ فيلالي، عبد العزيز، ***العلاقات السياسية***، 207-210.

[2] أبو الحسن جعفر بن عثمان الوزير الحاجب المعروف بابن المصحفي، من برابر بلنسية، من أهل العلم والأدب، استوزره المستنصر بالله، وانتهى أمره إلى أن سجنه المنصور بن أبي عامر، واستمر في السجن إلى أن توفي عام 372هـ/ 982م. الضبي، أحمد، ***بغية الملتمس***، 218؛ ابن بسام، علي، ***الذخيرة***، 37/4،36؛ ابن سعيد، علي، ***المغرب في حلى المغرب***، 201/1،200؛ المراكشي، عبد الواحد، ***المعجب***، 62.

[3] مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 103؛ عنان، محمد، ***دولة الإسلام في الأندلس***، العصر الأول (ق.2)، 493.

وبهذا، حافظ الحكم "المستنصر بالله" على منطقة المضيق بالقوة العسكرية؛ وذلك بتعزيز القوة في العدوة الأندلسية وتحصينها، وحماية العدوة المغربية من الفاطميين وأنصارهم في المغرب بإرسال الأساطيل البحرية، ودعم القبائل المغربية بالأموال والهدايا لتمكين الصلة بين الجانبين للدفاع عن المغرب، وإخضاع القبائل الناكثة عن بيعة الخليفة الأموي في الأندلس واستمالتها مرة أخرى بغدقها من الأموال والهدايا.

وعليه، فقد كانت سياسة الحكم "المستنصر بالله" على منوال سياسة أبيه في المحافظة على العدوتين، بالقوة العسكرية وتطويرها، وكسب ولاء القبائل وتعزيز الصلة بها بوصفها القوة الأولى في مواجهة أي خطر يهدد المغرب وعدوته.

(ثالثاً) العلاقات السياسية والعسكرية بين المغرب والأندلس في عهد هشام المؤيد (366/403هـ -976/1013م)

1- سياسة المنصور بن أبي عامر[1]

بعد وفاة الخليفة الحكم بن عبد الرحمن الناصر سنة 366هـ/976م، تقلد ولي عهده هشام[2] زمام الخلافة الأموية في الأندلس، ولصغر عمره _آنذاك_ كان لا بد من وجود جهة ترعى شؤونه

---

[1] محمد بن عبد الله، بن عامر، بن أبي عامر، محمد بن الوليد، بن يزيد، بن عبد الملك، المعافري، الملقب بالمنصور، دخل جده عبد الملك مع جيش طارق في فتح الأندلس. وقد اختلفت الروايات حول ارتباط المنصور بالأسرة الحاكمة في الأندلس، فقيل: إنه صحب الخليفة متحزباً له، وقد ولاه الحكم على الأعمال من القضاء والإمامة، ثم استكفاه وصار من أهل الخدمة، ثم اختصه بخدمة أم ولده هشام وهي السيدة صبح. وقيل: إنه تعلق بوكالة السيدة صبح والنظر في أموالها وضياعها، فزاد أمره في الترقي إلى أن أصبح حاكم البلاد والوصي على الخليفة هشام، وقيل: إن الحاجب المصحفي رشحه ليكون وكيلاً لولي العهد هشام. توفي المنصور عام 392هـ/1002م، فأخذ ابنه أبو مروان عبد الملك الملقب بالمظفر منصبي الوزارة والحجابة مكان أبيه. الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 59؛ ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء***، 275/1؛ المراكشي، عبد الواحد، ***المعجب***، 74،85؛ الخطيب، لسان الدين، ***الإحاطة***، 58/2؛ ابن بسام، علي، ***الذخيرة***، 35/4-37؛ الصفدي، صلاح الدين خليل، ***الوافي بالوفيات***، 59،60/26؛ الذهبي،محمد، ***سير أعلام النبلاء***، 124/17.

[2] أبو الوليد، هشام بن الحكم، بن عبد الرحمن، بن محمد، بن عبد الله، بن محمد، بن عبد الرحمن، بن الحكم، بن هشام، الملقب بالمؤيد بالله، أمه تسمى صبح البشكنشية، كانت مغنية عند الخليفة الحكم، تقلد هشام الخلافة، وعمره عشر سنوات وعشرة أشهر، وقيل: إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر، خلع عن عرشه سنة 399هـ/1009م على إثر الفتنة التي قامت بقرطبة، ثم عاد إلى العرش في نهاية عام 400هـ/1010م . وقد قتل هشام في قرطبة عام 403هـ/1013م بعد أن قام البرابرة بتنصيب سليمان

وشؤون البلاد داخليًا وخارجيًا، فظهر فريقان متنافسان على إدارة الدولة، والوصاية على الخليفة الصغير، تمثل الفريق الأول بالعسكريين الذين أدركوا أن البلاد بحاجة إلى شخصية سياسية وعسكرية فذة تدافع عنها من شمالها وجنوبها، وأن البلاد لا يمكن أن تصان من خلال ذلك الولد الصغير، وفريق آخر من المدنيين الذي كان يرأسهم جعفر بن عثمان المصحفي _سابق الذكر_ إذ كان يرى هذا الفريق بضرورة التمسك بوصية الخليفة الحكم المستنصر بالله وتنفيذها[1].

وكان لهذا الخلاف "المصلحي" لكل طرف أن دخل الفريقان في حبك المؤامرات لبعضهما بعضا[2] حتى دخلت شخصية المنصور بن أبي عامر حلبة النزاع، فرجحت كفة الفريق الأول، فتخلص من المصحفي، وأخذ يوقع الخلافات بين رجالات الدولة حتى تمكن من إخضاع الدولة[3]. وتغلب على الخليفة الصغير الذي وصفه الذهبي بـ "صورة بلا معنى"[4]، وذكر المراكشي[5] حال هشام بقوله: "فلم يزل _أي هشام_ متغيبًا لا يظهر ولا ينفذ له أمر، وكان الذي تولى على أمره أولًا، وتولى حجابته وتنفيذ أموره وتدبير مملكته أبا عامر محمد بن عبد الله..."، الذي منع الوزراء من الوصول إليه إلا في النادر من الأيام، يسلمون وينصرفون[6].

لقد اتبع المنصور في إدارته لشؤون الدولة[7] نهج حكام بني أمية السابقين، ولا سيما مع الجانب المغربي من حيث اصطناع الأتباع، وإلحاق رجالهم في الجيش الأندلسي لصد هجوم نصارى الشمال، وإخماد الحركات الثائرة على النفوذ الأموي في المغرب. فكان يرمي عبر سياسته

بن الحكم الذين لقبوه بالمستعين بالله. الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 41؛ الضبي، أحمد، ***بغية الملتمس***، 24؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 253/1- 101/3،100؛ الذهبي،محمد، ***سير أعلام النبلاء***، 131/17؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 261/6.

1 المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 379/1.

2 نفسه، 379/1.

3 للوقوف على تفاصيل تلك الأحداث، ينظر: نعنعي، عبد المجيد، ***تاريخ الدولة الأموية في الأندلس***، 419-422؛ فيلالي، عبد العزيز، ***العلاقات السياسية***، 217-226.

4 ***سير أعلام النبلاء***، 124/17.

5 ***المعجب***، 72؛ الضبي، أحمد، ***بغية الملتمس***، 24.

6 المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 379/1.

7 ينظر: ملحق الخرائط، الشكل 7، 147.

إلى حماية المغرب وثغوره المطلة على العدوة الأندلسية؛ لحماية الدولة الأموية من أي هجوم يشن عليها من جهة العدوة المغربية. فقد جاء اعتماده على البربر بعد أن رأى في الطبقة العربية العريقة الخمول والعرقلة في حكمه وتنفيذ خططه، لذلك لا يمكنه الاعتماد عليهم، فاتجه ببصره نحو العدوة المغربية، والاستعانة ببربرها، مشكلًا منهم جيش البلاد في الأندلس للجهاد في سبيل الله، والحصول على غنائم الحرب[1].

فقام بتوثيق العلاقة مع القبائل المغربية، وكسبهم إلى جانبه باستضافتهم في الأندلس مغدقًا عليهم من المال والنعيم الذي أدى إلى التحاق إخوانهم من فرسان المغرب إلى الإسراع في عبور المضيق ودخول الأندلس[2]، ويقول المقري في ذلك:"...ثم لما خلا الجو من أولياء الخلافة والمرشحين للرياسة رجع إلى الجند، فاستدعى أهل العدوة من رجال زناتة والبرابرة، فرتب منهم جندًا، واصطنع أولياء، وعرَّف عُرفاء من صنهاجة، ومغراوة، وبني يفرن، وبني برزال، ومكناسة، وغيرهم..." [3]. وقد وصل عدد الفرسان البرابرة الذين قيدوا في ديوان المنصور ثلاثة آلاف فارس[4]. فشَكّل منهم المنصور قوة عسكرية ذات بأس لصد أي خطر يوجه لهما، فمصير العدوتين واحد فالطرفان بحاجة ماسة إلى بعضهما بعضًا عند تعرض إحداهما لأي حرب أو كارثة، إذ وقع البلدان في فكي كماشة بين أنصار الفاطميين من الصنهاجيين الذين أخذوا يتربصون بالمغرب والعدو الإسباني المسيحي الآخذ على طرد المسلمين من الأندلس، والذي يهدد حتمًا العدوة المغربية. فجاءت تشكيلة الجيش الأندلسي من رجال زناتة والقبائل البربرية من جهة[5]، ومن جهة أخرى، أراد المنصور بهذه

---

[1] يقول الأمير ابن بلكين في ذلك: "فاستجلب من رؤساء البربر وحماتها وأنجادها من بلغه فروسيته وشدته، وتسامع الناس بالجهاد، فبادر إليه من شرق العدوة من كان لهم من الآثار، والمكارم، والبأس، على النصارى ما لا خفاء به، وبهم كان يصول ابن أبي عامر على العدو، وهم كانوا العدة في الجيش، والموثوق بهم عند اللقاء، ومعترك الوغاء..." ***التبيان***، 31.

[2] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 294/2.

[3] ***نفح الطيب***، 380/1.

[4] الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 102.

[5] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 177/4.

بهذه التشكيلة المختلفة من العناصر المغربية، حتى "إن همَّ أحد الطوائف بخروجٍ عن الطاعة، غلبها بسائر الفئات"[1].

وقد عبرت قوة عسكرية بقيادة جعفر بن علي بن حمدون المضيق تعدادها ستمائة جندي وذلك سنة 367هـ/977م، بعد أن استدعاه المنصور إلى الأندلس، فاستوزره وعظم شأنه [2]، وترك أخاه يحيى على عمل المغرب[3].

كما دعا زناتة إليه بعد أن تحصنوا في سبتة على إثر هجوم بلكين بن زيري الصنهاجي فقد ضاقت عليهم أرض العدوة، فدعاهم المنصور إلى دخول الأندلس، فعبروا المضيق إليه، فرفع شأنهم وأحسن إليهم، وأثبت من رغب منهم الإثبات في ديوانه[4]. فرأى المنصور فرصة جيدة في كسب هؤلاء، وضمهم إلى جيشه في محاربته للمناوئين في الأندلس وبلاد المغرب.

وأكرم آل خزر المغراويين، إذ أغدق المنصور على زعمائهم الهدايا والأموال لاستمالتهم إلى جانبه وثبت جندهم في ديوانه[5]. وقد قدمهم المنصور في مسك زمام الجيش وقيادة المعارك، وبالمقابل أسقط رجال العرب من مراتبهم[6]، خوفًا من أن ينازعوه الحكم، إذ أصبحوا طبقة أرستقراطية لا تستطيع الدفاع والقتال عن البلاد[7].

---

[1] ابن بلكين، عبد الله، ***التبيان***، 31.
[2] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 279/2،278.
[3] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 248/6.
[4] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 294/2،293؛ مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 105.
[5] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 261/6.
[6] نفسه، 64/7.
[7] فيلالي، عبد العزيز، ***العلاقات السياسية***، 227.

وعليه، فقد أراد المنصور من سياسته تلك أن يحقق ما يلي:

1- تشكيل الجيش اللازم للدفاع عن الأندلس من هجمات نصارى الشمال، فوجد في الأندلس جيشان اثنان، ألا وهما: جيش الحضرة الذي اصطنعه المنصور من أبناء القبائل المغربية وجيش الثغر الذي كان يقوده غالب بن عبد الرحمن[1].

2- ترسيخ العلاقة مع القبائل البربرية في المغرب للحفاظ على المغرب الأقصى وثغوره؛ لتأمين حدود الأندلس من الجهة الجنوبية، ويصف لنا صاحب مفاخر البربر[2] تلك السياسة بقوله: "واقتصر محمد لأول قيامه على ضبط مدينة سبتة وما والاها بجند السلطان الأندلسي وقلدها كبار رجاله من أصحاب السيوف والأقلام على حسب الحاجة..."، وهذا يدل على مدى اهتمام المنصور في شؤون الثغور المغربية المطلة على عدوة الأندلس.

3- كما هدف المنصور من جلب القبائل المغربية إلى الأندلس أن يحد من نفوذ الطبقة العربية الأندلسية، إذ خشي المنصور منهم، فجلب تلك القبائل ليحارب من خلالها تلك الطبقة إن ثارت عليه، وهذا ما قصده ابن بلكين في قوله: "إن همَّ أحد الطوائف بخروجٍ عن الطاعة غلبها بسائر الفئات"[3].

كما اتخذ من الجزيرة الخضراء قاعدة له لمراقبة الثورات التي حدثت في المغرب الأقصى وقاعدة انطلاق الجيوش التي عبرت المضيق نحو المغرب؛ لسحق الثائرين المناوئين للنفوذ الأموي في بلاد المغرب. ونسوق من الأحداث ما يبرز أثر ذلك التقارب الجغرافي وأهميته للأندلس وتعامل المنصور تجاهها.

---

[1] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 265/2.
[2] مؤلف مجهول، 105.
[3] ابن بلكين، عبد الله، ***التبيان***، 31.

فبعد سيطرة بني خزر على سجلماسة سنة 367هـ/977م _واغتنام أموالها وسلاحها، ماحين بذلك أثر دولة بني مدرار_، والدعوة فيها للخليفة هشام المؤيد، قام بلكين بن زيري الصنهاجي بالتحرك نحو المغرب الأقصى سنة 369هـ/979م، فأطاح الهزيمة بزناتة، وتعقبهم إلى سبتة (درع الأندلس) مما جعل أمراءها يجتازون المضيق، مستغيثين بالمنصور لمعالجة الموقف، فأسرع الأخير بتجهيز جيش من المغاربة والأندلسيين، وسير عليه جعفر بن علي بن حمدون الذي اجتاز المضيق متوجهًا نحو سبتة، وخرج المنصور من قرطبة، متجهًا إلى الجزيرة الخضراء لتتبع الأحداث. وأمام عظم هذا الجيش، وحصانة سبتة، كرّ بلكين على عقبه، واصفًا ثغر سبتة بقوله: "إنما سبتة حية ولت ذنبها هوانا، وفغرت فاها نحونا". وقد استعمل عليها المنصور بعد رجوع الجيش إلى الأندلس خاله[1] القاضي، محمد التميمي[2].

كما حرك المنصور جيشه تجاه المغرب لإخماد ثورة ابن جنون _سابق الذكر_، التي دعمها الفاطميون في القاهرة؛ لإعادة نفوذهم في بلاد المغرب بإحياء دولة الأدارسة من جديد، إذ أمر خليفة الفاطميين _آنذاك_ العزيز بالله[3] عامله على المغرب بلكين بن زيري بدعم ابن جنون بالقوة والمال، فتحرك ابن جنون بثلاثة آلاف جندي، يصاحبه فيها العلويون تجاه المغرب، فقد جاء التحالف بين الأدارسة والفاطميين للقضاء على عدوهما المشترك، وهم: بنو أمية وأنصارهم من القبائل المغربية، ولإدراك ابن جنون الإدريسي أن الفاطميين لم يعد لهم أي خطر على سلطة الأدارسة العلويين في حكمهم للمغرب، أرسل له المنصور جيشًا _ بقيادة ابن عمه عمرو المعروف

---

[1] النويري، أحمد، ***نهاية الأرب***، 24/ 96؛ مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 105-107؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 185/6.

[2] أبو عبد الله، محمد بن يحيى، بن زكريا، بن يحيى التميمي، المعروف بابن برطال، صرفه المنصور من القضاء إلى الوزارة، توفي عام 394هـ/ 1003م. الذهبي، محمد، ***سير أعلام النبلاء***، 57/17؛ ابن الفرضي، عبد الله، ***تاريخ علماء الأندلس***، 105-107؛ النباهي، علي، ***تاريخ قضاة الأندلس***، 84. وفي كتاب مفاخر البربر يذكر اسمه مخلد بن محمد. مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 107.

[3] أبو منصور، نزار بن معد، بن المنصور، العبيدي، الفاطمي، خامس الخلفاء الفاطميين، الملقب بالعزيز بالله، بويع للخلافة بعد وفاة أبيه سنة 365هـ/975م، فأقام في الخلافة إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفا، توفي في بلبيس وحمل إلى القاهرة عام 386هـ/996م. المقريزي، أحمد، ***الخطط***، 38/2؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 477/7.

بعسكلاجة[1] _ سنة 375هـ/985م وقلده على المغرب، فعبر المضيق نحو سبتة وقد انضم إليه آل خزر المغراويون، ثم أرسل المنصور القائم على الجزيرة الخضراء قوة عسكرية إضافية، التحمت بجيش عسكلاجة في سبتة. وقد استطاع الجيش الأندلسي أن يلحق الهزيمة بابن جنون الذي اضطر إلى الاستسلام بعد أن أخذ الأمان من القائد عسكلاجة بموافقة المنصور، إلا أن الأخير غدر به فقتله وأرسل رأسه إلى قرطبة في جمادى الأولى من السنة نفسها؛ لفساده، ونكثه العهود. ثم قام المنصور بإخراج الأدارسة العلويين من بلاد الأندلس والمغرب، فتفرقوا بين القبائل المغربية متخلين عن نسبهم العلوي. وبذلك محى المنصور أثر دولة الأدارسة من الوجود، وولى على المغرب أحمد بن عبد الودود السلمي سنة 376هـ/986م، وكانت ولايته عامة، وأمره المنصور باستمالة القبائل المغربية وتقريب زعيمي مغراوة: مقاتل، وزيري ابني عطية المغراوي لبلائهما الحسن في إخماد ثورة ابن جنون، وطاعتهما للخليفة الأموي[2].

وفي محافظته على تماسك المغرب وهدوء عدوته في ظل انشغاله في المحافظة على البلاد وسلامتها من هجمات نصارى الشمال، أمر المنصور زعيم مغراوة _آنذاك_ زيري بن عطية[3] بتولي الحملة العسكرية؛ للقضاء على ثورة يدو بن يعلى بن محمد اليفرني، الذي ثار على عامل المنصور في المغرب أحمد بن عبد الودود السلمي وقتله، فأخمد زيري الثورة، وخضعت للمنصور بلاد المغرب من الزاب، وتاهرت، وتلمسان شرقًا، إلى سجلماسة جنوبًا، بعد أن أعلن أبو البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي _صاحب تاهرت_ الطاعة للخليفة الأموي في الأندلس، مخالفًا بذلك

[1] أبو الحكم، عمرو بن أبي عامر، بن محمد، بن عبد الله، المعافري، القحطاني، ولاه المنصور على المغرب، ثم تخلص منه بعد أن أخذ عمرو يتنقص المنصور ويغض عنه، وحجز عنه الأموال، فاستقدمه المنصور، فجلده المنصور جلداً مبرحاً، كانت فيه منيته سنة 375هـ/985م. الزركلي، خير الدين، ***الأعلام***، 80/5.

[2] ابن أبي الزرع، أحمد، ***روض القرطاس***، 58،59؛ مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 108-110؛ السلاوي، أحمد، ***الاستقصا***، 264/1؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 100/4؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 181/2.

[3] زيري بن عطية، بن عبد الله، بن تيادلت، بن محمد، بن خزر، الزناتي، المغراوي، ملك زناتة سنة 368هـ/979م، فقام بالمغرب بدعوة هشام المؤيد وحاجبه المنصور بن أبي عامر، وقد غلب زيري بن عطية على جميع بوادي المغرب وفاس التي استوطنها وصيّرها دار ملكه سنة 377هـ/ 987م. ابن أبي الزرع، أحمد، ***روض القرطاس***، 63،64.

سياسة ابن أخيه، منصور بن بلكين بن زيري الصنهاجي(ت. 386هـ/996م)_صاحب القيروان وإفريقية_[1]، وتمت الخطبة في هذه البلاد للخليفة هشام المؤيد سنة 379هـ/989م، فأرسل لهم المنصور من الهدايا والأموال لتعزيز العلاقة بينهما، وبالمقابل أرسل أبو البهار وفدًا إلى قرطبة عام 381هـ/991م، وقد حمله المنصور عند رجوعه من المال والهدايا الشيء العظيم، وحثهم على مقاتلة بني يفرن، وزعيهم يدو بن يعلى، وقسم بينهما أعمال المغرب[2].

وفي السنة نفسها خلع خلوف[3] وأخوه عطيه طاعتهما من الأمويين، وعادا إلى ولائهما للفاطميين فأمر المنصور زيري بن عطية بقتالهما، فقتل خلوف، وهرب أخوه إلى الصحراء[4]. ثم قام زيري بمقاتلة يدو بن يعلى حتى أجهز عليه، وأرسل رأسه إلى المنصور سنة 383هـ/993م، وتم إخضاع "عدوة الأندلسيين" في فاس [5].

ثم خلع أبو البهار يده من طاعة الخليفة الأموي، مبايعًا الفاطميين للمرة الثانية، مما جعل المنصور يرسل إلى زيري بن عطية بقتاله حتى اكتسح الجيش الزناتي بلاد المغرب الأوسط، فخضعت بلاد المغربين الأوسط والأقصى للنفوذ الأموي بعد أن جمع له المنصور أعمال المغرب سنة 383هـ/993م[6]. وبهذا اطمأن المنصور بن أبي عامر على سلامة بلاده من ناحية العدوة المغربية المطلة على عدوة بلاده من خلال أيدٍ مغربية، مفرغًا طاقات بلاده العسكرية في التصدي لحركة الاسترداد المسيحية في شمال الأندلس. إلا أن هذا التحالف الزيري المنصوري انقلب إلى عداء

1 ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 485/7.
2 ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 37/7،25؛ مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 113.
3 خلوف بن أبي بكر، صهر أبي البهار صاحب تاهرت، كان من أكبر قواد الدولة الزيرية الصنهاجية في المغرب الأوسط. ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 25/7.
4 مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 115؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 37/7.
5 ابن أبي الزرع، أحمد، ***روض القرطاس***، 65؛ مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 108-110؛ السلاوي، أحمد، ***الاستقصا***، 270/1-273.
6 مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 116؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 38/7.

بينهما، فبعد عودة زيري بن عطية من قرطبة، وقف على ثغر طنجة، قائلًا: "الآن علمت أنك لي"[1].

ويوحي بذلك إلى الاستقلال عن حكام العدوة الأندلسية، وجاء ذلك بعد اتصالات جرت بينه وبين والدة الخليفة هشام المؤيد، السيدة صبح. ويبدو أن ثمة اتفاقًا بينهما للتخلص من المنصور الذي هيمن على مقاليد أمور الأندلس وحجره للخليفة هشام، يتضمن الاتفاق دخول جيوش زناتة إلى الأندلس والإطاحة به، واستقلال زيري بن عطية ببلاد المغرب.

وقد ترجم ذلك المخطط بثورته على المنصور سنة 386هـ/996م، فقد أمر بقطع ذكر اسم المنصور في الخطبة، والاكتفاء بذكر الخليفة هشام المؤيد، وطرد عمال المنصور في بلاد المغرب _باستثناء الثغور_، فما كان من المنصور إلا أن سارع بقطع رزق الوزارة عنه، ومحا اسمه من ديوانها، ونادى بالبراءة منه[2]، وأرسل إليه المنصور جيشًا ضخمًا برفقة عدد من الساخطين على زيري بن عطية[3]، وقد عبر الجيش المضيق، متجهًا نحو طنجة سنة 387هـ/997م، والتقى الفريقان جنوب طنجة، أسفرت المعركة عن هزيمة جيش المنصور، فأرسل الأخير _بعد أن نزل الجزيرة الخضراء لمراقبة الأحداث ودعم جيوشه_ قوة أخرى بقيادة ابنه عبد الملك المظفر الذي عبر المضيق إلى سبتة، وقد التحم الفريقان مرة أخرى سنة 388هـ/998م، وقد استطاع عبد الملك تحقيق الفوز، وإخضاع المغرب الأقصى للنفوذ الأموي سنة 389هـ/999م[4]. فاضطر زيري بن عطية إلى إعلان الطاعة للأمويين قبل وفاته، عام: 391هـ/1001م[5].

---

[1] السلاوي، أحمد، ***الاستقصا***، 267/1؛ مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 117.

[2] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 39/7.

[3] فقد اصطحب معه طائفة من ملوك العدوة كانوا بالحضرة، منهم: محمد بن الخير، بن محمد، بن الخير، وزيري بن خزر وابن عمهما بكساس بن سيِّد الناس، ومن بني يفرن أبو نوبخت بن عبد الله بن بكار، ومن مكناسة إسماعيل بن البوري، ومحمد ابن عبد الله، بن مدين، وغيرهم. نفسه، 39/7.

[4] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 253/2،252؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 40/7،39.

[5] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 41/7،40؛ مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 127 وما بعدها.

وبسحق جيش زيري بن عطية، أعاد المنصور بلاد المغربين الأوسط والأقصى تحت نفوذ الخلافة الأموية، واضطر المعز بن زيري بن عطية(ت.422هـ/1031م) _الذي خلف مكان أبيه على المغرب_في الدخول تحت طاعة الخليفة الأموي، مقيمًا الدعاء للمنصور ولابنه عبد الملك المظفر عقب الدعاء للخليفة هشام المؤيد على منابر المساجد(1).

وظلت بلاد المغرب تدين بالولاء والطاعة لعبد الملك المظفر بعد وفاة أبيه المنصور، فقد قام بتقليد المعز بن زيري على فاس بعد أن أخذ ابنه معنصر بن المعز، رهينة لضمان استقامة طاعة المعز للأمويين(2).

كما قام المظفر بكسب ولاء القبائل القاطنة بالمغرب ووثق بهم العلاقة، وادخلهم إلى الأندلس بوصفهم قوة تميزت بالبأس والشدة لحماية الثغور الشمالية من هجمات المسيحيين(3). وبقي المعز ابن زيري بن عطية على ولاء للأمويين في الأندلس، فقد أعلن طاعته لعبد الرحمن الناصر بن منصور المعروف بـ"شنجول" بعد وفاة أخيه عبد الملك المظفر عام 399هـ/ 1009م، إذ أرسل له المعز هدية ثمينة من تسعمائة فرس أو سبعمائة لبيان حسن الحال(4). وهكذا اطمأن الأمويون أو العامريون على دولتهم في العدوة المغربية ببسط نفوذهم على بلاد المغرب وسحق المناوئين من القبائل المغربية، وبقي هذا الحال حتى وقعت الثورة البربرية التي عمت بلاد الأندلس والمغرب وقضت على الخلافة الأموية.

---

[1] مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 130

[2] ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 41/7؛ مؤلف مجهول، ***مفاخر البربر***، 126.

[3] فيلالي، عبد العزيز، ***العلاقات السياسية***، 246.

[4] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 38/3؛ السلاوي، أحمد، ***الاستقصا***، .

وبذلك، يظهر مدى اهتمام حكام الدولة الأموية بربط المغرب بالأندلس؛ لما يشكله من قوة أهله وبأسهم الشديد في دفاعهم عن المغرب والخلافة الأموية السنية، كما شكلوا القوة التي كانت تغذي الجيش الأندلسي في دفاعه عن الأندلس من هجمات نصارى الشمال، الهادفين إلى استرداد بلادهم التي _من المحتم_ إن نجحوا في طرد المسلمين من الأندلس، أن يسيطروا على الساحل المغربي _أيضًا_ للمحافظة على نصرهم إن أفلحوا بذلك. ومن هنا جاءت سياسة تعزيز العلاقة بين المنصور ومن خلفه بالقبائل المغربية وتكريمها ورفعة شأنها، والدفاع عنهم عند الحاجة من أعدائهم أعداء الدولة الأموية. فكانت العلاقة بين العدوتين ذات صلة كبيرة، حتمتها الظروف السياسية والعسكرية.

2- الثورة البربرية ونهاية الخلافة الأموية

لقد دخلت بلاد الأندلس في مطلع القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي منعطفًا تاريخيًا، قلب مجرى تاريخ البلاد، إذ انفجرت دفعةً واحدةً التناقضات القبلية، والانقسامات السياسية التي أدت إلى سقوط الخلافة الأموية سنة 422هـ/1031م، وانقسام الأندلس إلى دويلات عديدة سمي عصرها بعصر **(دول الطوائف)**[1]. وقد لعب بربر المغرب _الذين عبروا المضيق نحو العدوة الأندلسية منذ الفتح_ دورًا كبيرًا في تلك الأحداث، التي ارتد أثرها إلى بلاد المغرب.

لقد بدأت الأحداث في الأندلس منذ أن خرج الأمويون ومن معهم من أهل قرطبة على الخليفة الأموي، هشام المؤيد وحاجبه ابن منصور، عندما كان الأخير مشغولًا في قتال المسيحيين في الثغور الشمالية، فخلعوا المؤيد، وبايعوا محمد بن هشام (المهدي)[2]، وذلك في جمادى الآخرة سنة

---

[1] ينظر: ملحق الخرائط، الشكل 8 ، 147.

[2] أبو الوليد، محمد بن هشام، بن عبد الجبار، بن عبد الرحمن الناصر، الملقب بالمهدي، باعث الفتنة بالأندلس، وموقد نارها الخامدة، وشاهر سيفها المغمد، فقد كان حاقداً على العامريين الذين قتلوا والده هشام في دولة المظفر عبد الملك بن منصور، إذ

399هـ/1009م[1]. إذ ثار هؤلاء بعد أن استشار شنجول المحافظين من أهل الأندلس في طلبه من الخليفة أن يعينه وليًا لعهده، فاستغل هؤلاء خروجه من قرطبة لإعادة حكمهم _مرة أخرى_ الذي فقدوه منذ تولي المنصور بن أبي عامر حكم البلاد، فلم يكن هؤلاء راضين عنه ولا عن سياسته في اصطناع البربر، وتقديمهم عليهم في الأندلس، إلا أنهم لم يستطيعوا الثورة على المنصور _آنذاك_ لقوته وقسوته في التعامل مع خصومه، وهذا ما لم يتصف به شنجول من الشجاعة والقدرة على إدارة البلاد[2].

فرجع ابن منصور إلى قرطبة للقضاء على التمرد، إلا أنه فشل في ذلك بعد أن تخلى عنه كبار المغاربة والصقالبة، إذ تخلوا عن ابن سيدهم؛ لأنهم لم يكونوا على استعداد للتخلي عن مراكزهم التي كسبوها بدمائهم، وهم على استعداد لعمل أي شيء حتى لا يعودوا فئة مهملة كما كانوا _عليه في السابق_ من سوء معاملة، فلما أدركوا ضعف شنجول، تخلوا عنه، وأسلموه لخصومه، باحثين عن شخص آخر يحافظ على مكانتهم. وعندما وصل ابن منصور مداخل قرطبة أرسل له المهدي من قتله وحز رأسه، وذلك في منتصف جمادى الآخرة سنة 399هـ/1009م، وبمقتله سقط الحكم العامري الذي دام ما يزيد عن ثلاثين عاما[3].

وبالرغم من اصطفاف كبار البربر مع المهدي، إلا أنه تخلى عنهم، فأهانهم، ولم يعتمد عليهم في إدارة شؤون البلاد، _إذ كان لأهل قرطبة غصة في قلوبهم منهم في بلادهم وتقديم أمراء بني أمية عليهم في الأندلس_، معتمدًا على العساكر الذين جندهم من مختلف طبقات المجتمع الأندلسي في مساندته، حتى لم يبقَ منهم أحد من ذوي المهنة الذليلة إلا وقد سخر لخدمته وطاعته، فاستند إليهم

اتهم هشام بن عبد الجبار بمحاولة الانقلاب على العامريين. ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء***، 5/2؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 50/3؛ المراكشي، عبد الواحد، ***المعجب***، 88.

[1] الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 109؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 370/7.

[2] الراشد، عبد الجليل، ***دور البربر في سقوط الدولة الأموية في الأندلس***، مجلة المؤرخ العربي، ع3، 1977، 85.

[3] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 51/3 وما بعدها؛ ابن بسام، علي، ***الذخيرة***، 26/1؛ الراشد، عبد الجليل، ***دور البربر في سقوط الدولة الأموية في الأندلس***، مجلة المؤرخ العربي، ع3، 1977، 85.

في مطاردة واضطهاد البربر في الأندلس، فقاموا بتخريب بيوت البربر في قرطبة، وقتلهم أينما وجدوا في الأزقة والشوارع والأسواق، معتدين على الحرمات، وسبوا النساء، وباعوهن في دار البنات[1].

ورغم العفو الذي صدر عن المهدي في حقهم بقرطبة _بعد أن تعهد لهم بعدم التعرض عليهم_، إلا أن المهدي عاد إلى سيرته الأولى، فتستر البربر عن أعين الدولة؛ ليجمعوا قوى تفكيرهم، ويتخذوا الإجراء المناسب الذي تمثل بالإطاحة بالمهدي، إذ التفوا حول أحد الأمويين الطامع بالخلافة بالأندلس، وهو هشام بن سليمان بن الناصر القائم (الرشيد)، وقد ثاروا على المهدي، إلا أنه استطاع من إخماد الثورة، والقضاء على الرشيد[2].

ثم حاول المغاربة الالتفاف حول سليمان بن الحكم، ولقبوه بـ(المستعين)[3]؛ للاطاحة بالمهدي والنيل منه، وذلك في عقب شوال سنة 399هـ/1009م، فوقعت الفتنة البربرية بينهما، التي كان المهدي وراءها في محاربته للمغاربة البرابرة، متناسيًا دور آبائهم وأجدادهم الذين فتحوا بلاد الأندلس، وعلى أكتافهم نشر الإسلام في طول البلاد وعرضها، ودافعوا عن البلاد من هجمات نصارى الشمال عبر توافدهم إلى الأندلس من جهة، ودفاعهم المستميت عن الدولة الأموية في بلاد المغرب من جهة أخرى. لذلك، كان قيام المهدي وسياسته في الأندلس "مشؤومًا على الدين والدنيا، فإنه فاتح أبواب الفتنة في الأندلس، وماحي معالمها، حتى تفرقت الدولة، وانتثر السِّلْك وكثر الرؤساء، وتطاول

---

[1] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 51/3.

[2] الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 113؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 83/3،82؛ ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء***، 6/2.

[3] أبو أيوب، سليمان بن الحكم، بن سليمان، بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، بن محمد، بن عبد الله، بن عبد الرحمن، بن الحكم، المستعين بالله، بايعه البربر خليفة عليهم بعد مقتل عمه هشام بن سليمان. ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء***، 6/2،5؛ ابن بسام، علي، ***الذخيرة***، 21/1.

العدو إليها، وأخذها شيئًا فشيئًا، حتى محا اسم الإسلام منها"[1]، وهو الذي أطلق عليه الناس لقب "النباذ"؛ لصنعه النبيذ في قصره، وعرف عنه الكذب والنفاق[2].

وفوق تلك الأحداث المؤسفة التي وقع بها المسلمون في الأندلس، فقد استعان كلاهما بالعدو المتربص بهم من نصارى الشمال، فقد استعان المستعين بملك قشتالة[3]، شانجة بن غارسية (Sanchogarcia) المعروف باسم "ابن مامة دونة" (ت.412هـ/1021م)، وذلك للاطاحة بالمهدي، إذ لا يمكنه الاعتماد على أتباعه بشكل مطلق، فسارع ملك قشتالة بتقديم العون اللازم إذ يدرك ملك قشتالة أن في دعمه إضعافًا للفريقين المتنازعين، ويكون هو الرابح الوحيد بينهم. وقد التقى الفريقان في منطقة قنتيش[4] التي أسفرت عن قتل ما يقارب خمسة وثلاثين ألف شخص[5] وهرب المهدي _بعد أن حاول استمالة المغاربة البربر للوقوف معه لِمَا كانوا يُكثرون من التَّرَحُّمِ عليه، والطلب بدمه[6]_ إلى جهة الثغور الشمالية _من طرطوشة[7] شرقًا، إلى لشبونة[8] غربًا_ إذ إذ بقيت تلك الثغور تحت طاعة المهدي_، متصلًا بحاكم برشلونة النصراني ريموند بوريل (Raimond Bonnell) الذي وافق على الوقوف مع المهدي ضد عدوه، المستعين بالله[9].

---

[1] المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 113/2.

[2] ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 370/7.

[3] إقليم عظيم في الأندلس، قصبته طليطلة. الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 4/ 352.

[4] قنتيش أو قنطش: اسم جبل عند وادي الحجارة، من أعمال طليطلة. نفسه، 4/ 402.

[5] ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 371/7.

[6] ابن بسام، علي، ***الذخيرة***، 26/1.

[7] تقع في الثغر الأعلى شرقي بلنسية. الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 30/4؛ حتاملة، محمد، ***موسوعة الديار الأندلسية***، 652/2.

[8] غرب مدينة باجه على نهر تاجه، موقعها من قرطبة إلى الغرب منها. نفسه، الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 16/5.

[9] كانت شروط حاكم برشلونة هي تسليم مدينة سالم قاعدة الثغر الأوسط، ودفع دينارين في اليوم لكل جندي نصراني، ومائة دينار للقومس، وتوفير الطعام والشراب، ويكون لهم ما يغنموه من البربر، وأن نساءهم ودماءهم وأموالهم حلال لهم لا يحول أحد بينهم. ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 94/3؛ وأنظر: ابن بسام، علي، ***الذخيرة***، 1/ 25؛ الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 113؛ المراكشي، عبد الواحد، ***المعجب***، 88،89؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 371/7.

ثم التقى الجمعان في مكان يعرف بدار البقر(Elvacar)[1]، وذلك في منتصف شوال سنة 400هـ/1010م، فقتل فيها خلق عظيم في صفوف المهدي على أيدي البربر، ورد كيد حليفه النصراني ريموند، ومع ذلك انسحب المستعين تجاه شاطبة، ناجيًا بنفسه من القتل بعد أن ظن بهزيمته عندما اخترق فرسان النصارى صفوف جنده، مما أدى إلى انسحاب البربر تجاه جنوب الأندلس إلى الجزيرة الخضراء المطلة على العدوة المغربية، وذلك لتجنب اضطهاد الأندلسيين، إذ كان المغاربة ينوون عبور المضيق، والعودة إلى بلادهم إذا ما ساءت ظروفهم أكثر، أو ليتمكنوا من تلقي الإمدادات والإعانات العسكرية اللازمة من الجند والسلاح من العدوة المغربية في قتالهم للمهدي وأنصاره[2].

لقد عاث أتباع المهدي في بلاد الأندلس، فنهبوا وقتلوا حتى طال النهب مسجد الزهراء، فأخذوا حصره وقناديله، ومصاحفه، وصحائف أبوابه، ولم يسلم أبناء البربر من الأطفال الذين تم قتلهم كما شقوا بطون نساء المغاربة الحوامل[3].

ثم نزل المهدي ومن معه من الفرنجة والقرطبيين نحو الجزيرة الخضراء؛ للتخلص من المغاربة وتطهير البلاد منهم، وقد التحم الفريقان في وادي آره(Guadiaro)[4] في ذي القعدة سنة 400هـ/1010م، قاتل فيها المغاربة قتالًا مستميتًا، إذ كانت معركتهم الفاصلة بين بقائهم والمحافظة على البلاد أو عبورهم إلى بلادهم. وقد استطاعوا في نهاية المطاف من تحقيق الفوز على المهدي

---

[1] دار البقر أو عقبة البقر، وهو حصن يقع في شمال قرطبة، يبعد عنها عشرون كيلومترًا. المراكشي، عبد الواحد، ***المعجب***، 89؛ ابن الأبار، محمد، ***الحلة السيراء***، 7/2، الحاشية رقم 1.

[2] ابن بسام، علي، ***الذخيرة***، 26/1؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 372/7.

[3] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 97/3.

[4] ويسميه ابن الخطيب وادي يارو أو وادي السقائين بأحواز مربلة(Marbella) بالقرب من رندة، وعند ابن خلدون يسميه وادي أيره. المراكشي، عبد الواحد، ***المعجب***، 89؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 96/3؛ الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 115؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 27/7.

وأنصاره من النصارى، وغنموا منهم السلاح والمال والدواب، فخضعت البلاد لحكم المستعين بالله[1].

ولا يستبعد أن يكون هذا الفوز للمغاربة مدعومًا بمساندة القبائل المغربية التي هبت لنجدة إخوانهم ضد المهدي والنصارى، فالمسافة بينهما تكاد تكون معدومة لولا المجاز الضيق الذي يفصل بين العدوتين.

ولأهمية العدوة المغربية على أمن الأندلس، أرسل المستعين بالله أحد قواده _وهو علي بن حمود الإدريسي المغربي_ إلى العدوة المغربية، فقد ضبط شأن ثغر سبتة، وقطع الخطبة للمهدي فيها، وبذلك خضع الثغر ومضيق جبل طارق لحكم المستعين بالله، وبالتالي تأمين الإمدادات من الجند والسلاح القادمة من المغرب باتجاه الأندلس[2]، ثم عاد ابن حمود إلى الأندلس؛ ليقود فرقته المغربية[3].

وبهذه الثورة، انقسمت البلاد إلى شطرين؛ بين المستعين الذي خضعت له جنوب الأندلس والثغور المغربية، مثل: سبتة، وطنجة، وبلاد غمارة، وخضعت قرطبة وثغور شمال البلاد الأندلسية للمهدي. إلا أن قرطبة سرعان ما خضعت للمستعين في شوال سنة 403هـ/1013م، فقام بتعيين المغاربة على حكم المناطق الخاضعة له في المغرب والأندلس، فهم سنده ورجاله في العدوتين، وأعاد قائده علي بن حمود الإدريسي المغربي إلى المغرب، وولاه ثغر سبتة، وعيّن أخاه الأكبر القاسم بن حمود على الجزيرة الخضراء ومدينتي طنجة وأصيلا، تكريمًا لهما. فخضعت الثغور

---

1 الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 115.

2 ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 96/3.

3 الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 121،120.

المغربية ومضيق جبل طارق لحكم الحموديين ونفوذهم، وبذلك سيطر المستعين بالله على بلاد المغرب والأندلس بفضل القبائل المغربية[1].

ويبدو أن فكرة إحياء الدولة العلوية في المغرب لم تمت بعد، فقد أخذ علي بن حمود الإدريسي العلوي يحشد من القوة المغربية ما يكفيه للخروج على المستعين، وإعلان الدولة العلوية _مرة أخرى_ في بلاد المغرب والأندلس، خصوصًا وأن قرطبة ما زالت ضعيفة، فطلاب الخلافة من بني أمية كثر [2].

وقد ثار علي بن حمود على المستعين في قرطبة بعد أن استبد هو وأخوه القاسم، وسيطرا على الجنوب الأندلسي والعدوة المغربية، متذرعًا بأن الخليفة هشام المؤيد قد قلده ولاية العهد، وأوصاه بالخلافة من بعده[3]، وقد استطاع أن يكسب ولاء بعض حكام الأقاليم الأندلسية حوله، الذين ساندوه في العبور إليهم والوقوف معه، وقد سيطر على مالقة سنة 405هـ/1014م[4].

ثم دخل علي بن حمود قرطبة بجيشه المغربي البربري بعد أن أطاح بالمستعين، الذي وقع أسيرًا ومعه أبوه وأخوه اللذان قتلا معه، وقد استلم ابن حمود حكم قرطبة في محرم سنة 407هـ/ 1017م، داعيًا الجمهور إلى مبايعته، وتلقب بـ "أمير المؤمنين الناصر لدين الله". وبقي أخوه القاسم

---

[1] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 3/ 113،114؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 59/8؛ الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 119؛المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 26،27/1.

[2] ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 97،98/8.

[3] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 3/ 113،114؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 303/4؛ ابن بسام، علي، ***الذخيرة***، 36،37/4.

[4] فقد وقف معه حاكم منطقة المرية خيران العامري، الذي كان يحقد على المستعين؛ لاستعانته بالمغاربة في قرطبة، وكذلك بنو زيري أصحاب إلبيرة الذين كانوا على النسب الشيعي، كما التف حوله حبوس بن ماكسن. ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 3/ 113،114؛ الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 119؛ المراكشي، عبد الواحد، ***المعجب***، 89؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 98/8.

بالجزيرة متأهبًا لتقديم الإمدادات اللازمة عند الحاجة من الجانب المغربي، خوفًا من أي ثورة عليهما، وبذلك انتقلت الخلافة في بلاد الأندلس إلى البيت العلوي الهاشمي[1].

وبهذا الحدث، تغيرت المعادلة السياسية لدى الجانبين المغربي والأندلسي، فبعد أن كان حكام بني أمية هم من يتولون ويتدخلون بالشؤون المغربية، أصبح الجيش المغربي بقيادة ابن حمود من يحكم ويرسم في البلاد.

لقد قامت سياسته بحكم البلاد على تحقيق العدل والإنصاف بين أبناء الرعية في الأندلس والمغرب، التي عيّن عليها ولده يحيى لما تشكله من قاعدة استراتيجية للعدوة الأندلسية، كما أقر أخاه القاسم على الجزيرة الخضراء وإشبيلية[2]. إلا أن سياسته الرامية لتحقيق العدل بين العباد لم تستمر طويلًا، فقد ساء في رعايتهم، فانقلبت عليه النفوس، وكرهه الجمهور حتى دبر له صقالبة المروانيين_الذين كانوا من المقربين له_مؤامرة أودت بحياته في ذي العقدة سنة 408هـ/1018م[3]. ثم تولى الخلافة القاسم الذي استمر في حكمه أربع سنوات، إذ ثار عليه ابن أخيه يحيى بن علي "المعتلى"، مطالبًا بالخلافة بعد أن أخذ يرسل الرسائل من سبتة إلى المغاربة في الأندلس، فيقول لهم: "إن عمي أخذ ميراثي من أبي، ثم إنه قدّمَ في ولاياتكم التي أخذتموها بسيوفكم العبيدَ والسودان، وأنا أطلب ميراثي، وأوليكم مناصبكم، وأجعل العبيد والسودان كما هم عند الناس"[4].

[1] ابن بسام، علي، ***الذخيرة***، 60/1؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 3/ 116؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 98،99/8؛ الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 121؛ المراكشي، عبد الواحد، ***المعجب***، 91.

[2] المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 27/2.

[3] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 3/ 121؛ ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 100/8؛ الخطيب، لسان الدين، ***أعمال الأعلام***، 129؛ المراكشي، عبد الواحد، ***المعجب***، 98.

[4] المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 30/2.

وقد عبر مضيق جبل طارق بقوة عسكرية مغربية، متجهًا نحو مالقة التي كان يحكمها أخوه إدريس بن علي، واستطاعا إخضاع قرطبة بمساندة بني حبوس وغيرهم من القبائل المغربية القاطنة بالأندلس، إذ كانوا يكرهون القاسم بسبب تقريبه للعنصر السوداني والعبيد عليهم في جنده وخدمه[1]. وظلت الخلافة يتنقلها ابن حمود وعمه القاسم _وأحياناً بنو أمية_ فكان حكم المستظهر بالله، عبد الرحمن بن هشام الذي بويع في رمضان سنة 414هـ/1023م، ثم انتقل مقاليد حكم قرطبة إلى ابن عمه المستكفي، محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله الذي بويع في ذي القعدة من السنة نفسها إلى أن سقطت الخلافة الأموية رسميًا سنة 422هـ/1031م بعزل آخر الخلفاء الأمويين هشام الثالث المعتد بالله هشام بن محمد بن عبد الله بن الناصر الثالث _ وقد كان تعيين هؤلاء من قبل مشايخ قرطبة دون استشارة مجموعة الولايات الأخرى، إذ لم يكن هناك وقت للتشاور والتباحث في ظل الفوضى السياسية القائمة على حكم البلاد_، وإجلاء من تبقى من المروانية عن قرطبة بعد أن أصدر مشايخ قرطبة مرسومًا في 13 من ذي القعدة سنة 422هـ/1031م ينص فيه على إنهاء الخلافة الأموية، وجلاء من بقي من بني أمية في المدينة، فنودي في الأسواق والأرباض، بأن لا يبقى أحد من بني أمية في قرطبة[2].

لقد كان لهذه الثورة وعظم أمرها وشدتها أن جعلت الكثير من المغاربة من سكان الأندلس يعودون إلى بلادهم الأصلية عبر اجتياز المضيق، إذ أصبحت حياتهم محفوفة بالمخاطر، ولا سيما عندما سيطر المهدي على قرطبة[3]. والناظر المدقق للأحداث، يرى أن قيام الإمارة إلى سقوط خلافة بني أمية في الأندلس كانت مستندة ومرهونة بمدى ولاء القبائل المغربية وتبعيتهم في

[1] ابن الأثير، علي، ***الكامل في التاريخ***، 101/8؛ المراكشي، عبد الواحد، ***المعجب***، 99.
[2] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 3/ 152.
[3] فيلالي، عبد العزيز، ***العلاقات السياسية***، 276.

المغرب والأندلس لبني أمية، ذلك الولاء الذي لا سيما رفع تصدعات الخلافة الأموية، وبدأت تنهار منذ عام 399هـ/1009م.

وفي ظل هذا التخبط والتدهور في أحوال الأندلس، كانت بلاد المغرب على الوتيرة نفسها من التدهور والانقسام، فبعد أن هيمن الأمويون على المغرب، بواسطة مغراوة الزناتية التي خضعت لها معظم بلاد المغرب من الزاب شرقًا، إلى سجلماسة إلى السوس الأقصى جنوبًا، فقد أراد زعيمها _آنذاك_ المعز بن زيري بن عطية المغراوي(ت.416هـ/1026م) استرداد عدد من تلك المناطق التي خرجت من نطاقهم، فأراد استرجاع سجلماسة، إلا أنه هزم سنة 407هـ/1017م، ففر إلى مقر أعماله بفاس، ممكنًا أصحاب سجلماسة من السيطرة على بعض ممتلكاته[1]. كما قامت إمارة بني يفرن في سلا[2] وتادلا[3]، وانقسمت الدولة الزيرية الصنهاجية في إفريقية، إذ انفصل حماد بن بلكين الصنهاجي (ت.419هـ/1028م) عن السلطة المركزية في المنصورية ببعض أعمال المغرب الأوسط، وأقام دولة ورثها آل حماد من بعده وجعل عاصمته قلعة بني حماد بنواحي المسيلة[4].

لقد كان هذا الاستنجاد ببربر المغرب _رغم ما اتصف به ظاهريًا من عمل ديني انقاذي للجانبين_ يحمل في طياته من الجانب المغربي بالإضافة إلى تحقيق مكاسب دينية وأخرى دنيوية شعورًا باقتناع الأندلسيين بعجزهم عن الوقوف، منفردين في وجه هجمات أعدائهم النصارى، وأنهم من دون المغرب ما كانوا ليستطيعوا أن يحققوا حتى حماية وجودهم ضد عدوهم التقليدي، ومن هنا أرادوا باتجاههم هذا إشعار الأندلسيين بأن علاقاتهم القديمة بهم التي حملت الأندلس على أن يعتبروا بربر المغرب مجرد تابعين، ومواد خام تمد الأندلس بما تحتاج إليه من وقود بشرية لخوض

---

[1] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 3/ 121؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 340/6.

[2] مدينة بأقصى بلاد المغرب، منها إلى مراكش عشر مراحل، وهي من مراكش غربية جنوبية. الحموي، ياقوت، ***معجم البلدان***، 231/3.

[3] من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس. نفسه، 5/2.

[4] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 253/1 وما بعدها؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، ***العبر***، 48/7،40.

معارك الحروب، التي كانت المعين الوحيد الذي يمد شرايين الحياة في الأندلس بالبقاء، بأن تلك العلاقة أو النظرة كانت خاطئة ومجحفة لحقوقهم، أما وقد استنجد بهم الأندلسيون، معترفين بتفوق المغاربة وقوتهم، فإن من حق المغاربة أن يمسكوا مقاليد البلاد التي فتحها أجدادهم، ولم يستطع بنو أمية من المحافظة عليها. لذلك عملوا على زحزحتهم عن مراكز القيادة ما دام أنهم غير قادرين على إدارتها وحمايتها[1].

يتضح لنا _مرة أخرى_ واقع أثر التقارب الجغرافي بين العدوتين: المغربية والأندلسية، فقد أدت المحنة السياسية التي تعرضت لها بلاد الأندلس _من خلال الثورة البربرية_ إلى عدم استقرار بلاد المغرب، فكلا البلدين تفرقت وحدته في الوقت نفسه، وأصبح المسلمون في العدوتين شيعًا متحاربين. فالتقارب الجغرافي بينهما _الذي كان من شأنه أن يسهل عملية الانتقال بين الدخول أو الخروج_ أدى إلى جعل الأحداث _وكأنها_ تدور في منطقة واحدة غير منفصلة عن بعضها، فكان استقرارهما واحدًا، والتناحر والانقسام مشتركًا في الجانبين، فما يجري بالأندلس تتأثر به بلاد المغرب، والعكس صحيح. ولولا هذا التقارب بين العدوتين، لما كانت هذه الأحداث بهذه الشاكلة بل لكان تاريخ المنطقة مغايرًا تمامًا لما جرى.

وبهذه الأحداث، "انخرمت الإمامة، وتفرقت الجماعة، وانهدمت الدولة المروانية، وصار أمر الناس بجزيرة الأندلس شيعا متفرقين، يقتل بعضهم بعضًا وينهب" [2]، ودخلت بلاد الأندلس والمغرب نحو تاريخ آخر تميز بالفرقة والضعف وحب الدنيا، والاستعانة بالنصارى. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

[1] الشطشاط، حسين، ***نهاية الوجود العربي في الأندلس***، 93.

[2] مؤلف مجهول، مفاخر البربر، 131؛ ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 254/1.

الخاتمة

بعد هذا البيان عن سهولة الانتشار بين المغرب والأندلس، وأثرها في الحياة السياسية والعسكرية بينهما، فإننا نورد النتائج الآتية:

- ❖ شكل مضيق جبل طارق قاعدة استراتيجية على الصعيد الأمني لدى المغاربة والأندلسيين، لذا حرصت الشعوب التي هيمنت على منطقة المغرب أو إسبانيا_ كالأيبيريين، والفينيقيين والإغريق، والرومان، والوندال، والبيزنطيين، والقوطيين_ بالسيطرة على المضيق كجسر للوصول إلى العدوة الأخرى، مما جعل تاريخ البلدين تاريخًا مشتركا في المجالين السياسي والعسكري. كما كان لذلك القرب الجغرافي الأثر في تقدم وازدهار المنطقتين المغربية والإسبانية: اقتصاديًا: عبر العلاقات التجارية، وثقافيًا ودينيا: تمثل في نشر اللغات والأديان (المظاهر الحضارية)، واجتماعيًا: تمّ بالزواج والمصاهرة، وعلميًا: ظهر في مجالات الزراعة والصناعة. ونتيجة لذلك التقارب الذي سهل التواصل ونسج العلاقات بين العدوتين جاء القول: إن حدود أوروبا تنتهي عند جبال البرتات_جنوب فرنسا_، معتبرين إسبانيا جزءًا لا يتجزأ من قارة البلاد الإفريقية؛ لاتصالها الوثيق بالمغرب.
- ❖ جاء الفتح الإسلامي لإسبانيا عقب فتح شمال إفريقية والمغرب، وذلك لنشر الإسلام والمحافظة على ما فتحه المسلمون في بلاد المغرب من أي هجوم من قبل العدوة الإسبانية القوطية التي كانت ترى في ذلك الفتح خطرًا يهدد أركانها. فقد كان التقارب الجغرافي بين العدوتين يحتم على المسلمين السير باتجاه إسبانيا التي لا يفصلها عن العدوة المغربية إلا المضيق، ثم السير نحو فتح روما والقسطنطينية.
- ❖ لم يكن الفتح الإسلامي لبلاد إسبانيا عملًا مرتجلًا، بل اتخذت كل الإجراءات العسكرية لإتمام الفتح، فتم توسيع دار الصناعة بالقيروان لإنشاء السفن الحربية التي كان يجلب لها

بربر المغرب من الأخشاب ما يلزم لصناعتها، وتهيئة سكان المغرب للقتال لنشر الإسلام في تلك البلاد، وإبعاد الأسطول البيزنطي عن مركز العمليات العسكرية في شمال إفريقية، والقيام بحملات عسكرية على جزر البحر الأبيض المتوسط لاختبار البحرية الإسلامية وقدراتها وكذلك تتبع أحوال المجتمع القوطي. فجاء هذا الفتح للبلاد مستغلين دعوة الكونت يوليان لاجتياز المضيق من ثغر سبتة.

- تعدّ سبتة حصن العدوة الإسبانية، بوصفها أقرب نقطة للدخول إلى إسبانيا من الجنوب فهي مفتاح إسبانيا والمضيق حيث زوّدها القوط بالطعام والإمدادات، عندما حاصرها المسلمون لفتحها. كما شكلت ملجأ لكثير من الساخطين والمضطهدين على الحكم القوطي، الذين خرجوا من بلادهم. كما شكل ثغر سبتة القاعدة العسكرية للجيش الإسلامي للانطلاق لفتح تلك البلاد، بوصفه الثغر الأقرب على العدوة الإسبانية.
- اعتمد موسى بن نصير في فتح إسبانيا على سكان البربر من أهل المغرب الذين اعتنقوا الإسلام، وفهموا واجبهم في نشر الإسلام للناس كافة بالدعوة والجهاد. فكانوا الفاتحين لأرض الأندلس، الذين استقروا فيها. وقد لحقهم إخوان لهم بعد أن اجتازوا المضيق للعيش في تلك البلاد، التي تتميز بكثرت الخيرات واعتدال مناخها.
- قامت الثورة البربرية في المغرب نتيجة سوء معاملة ولاة بني أمية وعمالهم لهم إذ وقع على مسلمي المغرب من الظلم والإجحاف على أيدي حكامهم العرب الذين عاملوهم معاملة السيد والمسود، فثاروا عليهم، وقاتلوهم في إفريقية والمغرب، ولم يستطع ولاة إفريقية من قمعهم رغم دخول قوات عسكرية من الأندلس؛ لإنقاذ الوضع، وإخماد الثورة في منطقة طنجة، فانتقل أثر ذلك الصراع على بلاد الأندلس.

- تعود أسباب انتقال الثورة البربرية إلى الأندلس إلى عدة عوامل: انتشار البربر في الأندلس، إذ فتحت البلاد على أيديهم، والهجرات التي لم تتوقف من دخول البربر المغاربة، وعبورهم نحو الأندلس لتحسين ظروفهم المعيشية، والابتعاد عن مناخ الصحراء وسوء عيشها، وتولي العرب زمام حكم بلاد الأندلس، مستأثرين بخيرات البلاد والمواقع الجغرافية الخضراء، ولا نستبعد دخول عناصر من الخوارج أرض الأندلس، وتحريض البربر على الثورة، خاصةً أن المسافة قصيرة جدًا بين العدوتين، وتدخل القوة العسكرية الأندلسية في قتال إخوانهم البربر في المغرب، والتي انتهت بسحق ثورتهم عند عبور طالعة بلج بن بشر، التي كانت محاصرة من البربر في سبتة.
- دخلت بلاد الأندلس في صراع عربي عربي (القيسيين واليمنيين) بعد عبور تلك الطالعة، مما أدى إلى تردي الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية بالبلاد، مهدًا ذلك شمال الأندلس من هيمنة نصارى الشمال في حركتهم لاسترداد الأندلس من المسلمين الفاتحين، بعد أن هاجر البربر القاطنون على الثغور الأندلسية في الشمال نحو المغرب، فاتحين بذلك الثغرة للنصارى في استرداد البلاد، وطرد المسلمين أو قتلهم.
- شكل المغرب بقبائله نقطة الانطلاق لعبد الرحمن الداخل في إقامته الإمارة الأموية في الأندلس، بعد أن حاول جعل نقطة ارتكازها المغرب. كما حمته تلك القبائل، وآوته في بلادها بعد أن فرَّ من العباسيين وعيونهم الذين أخذوا يطاردون بني أمية؛ لإنهاء وجودهم بعد أن أسقطوا الخلافة الأموية في دمشق.
- استند عبد الرحمن الداخل في حماية إمارته الجديدة على المغاربة الذين عبروا المضيق نحو الأندلس، مشكلًا منهم الجيش والشرطة التي حافظت على الإمارة من الثائرين عليها، كما اعتمد على القبائل المغربية في المغرب في حمايته من جهتهم من أي اعتداء محتمل يهدد

سلامة الإمارة من الجنوب. وبذلك استبعد من جيشه وحاشيته العنصر العربي الذي لم يأمن من مكرهم واستحواذهم على السلطة، فقلده أبناؤه وأحفاده ممن حكموا الأندلس في اعتمادهم على القبائل المغربية وعدم الاستغناء عنها للدفاع عن الأندلس من جهة الجنوب. فشكل المغرب قاعدة الانطلاق لعبد الرحمن بن معاوية لإقامة إمارته في الأندلس وحمايتها.

- ❖ شكل المغرب حلقة استراتيجية أثناء الصراع بين العباسيين والأمويين للسيطرة عليه، بوصفه خطًا أمنيًا للأندلس، فهو بمثابة الدم والقلب للإمارة الأندلسية، لذلك دافع عنه عبد الرحمن الداخل من خلال أنصاره من القبائل البربرية في مناوشتهم للولاة العباسيين في إفريقية والمغرب، خصوصًا أنه كان مشغولًا في ملاحقة مناوئيه في الداخل. ورمى العباسيون ثقلهم بالقوة تارة، وبالسياسة تارة أخرى؛ للسيطرة على المغرب والأندلس، وإخضاعهما للحكم العباسي. لذلك لم تهدأ الأوضاع السياسية والعسكرية في بلاد المغرب مما أعطى عبد الرحمن الداخل فرصة كبيرة في توطيد أركان إمارته، ومحاربة الثورات الداخلية على أيدي الموالي ورجال القبائل البربرية التي انخرطت في جيشه.

- ❖ قامت السياسة الخارجية للإمارة الأموية بعقد التحالفات السياسية مع الإمارات التي نشأت في بلاد المغرب لدفع خطر العباسيين وعمالهم من بني الأغلب في القيروان، فجاءت التحالفات بين الإمارة الأموية والإمارات لحماية إماراتهم من ذلك الخطر، رغم الخلاف المذهبي بينهما. فكان التحالف مع الأدارسة (العلويين) في المغرب الأقصى لدرء خطر العباسيين من إخضاعه، والدخول للأندلس عبر المضيق. إلا أن تلك العلاقة الودية بينهما سرعان ما تحولت إلى كراهية بعد استقبال الفرسان العرب الساخطين على الحكم بن هشام، الذين شكلوا قوة للأدارسة، مهددة الإمارة الأندلسية، ودخول الثائرين الربضيين الذين عبروا المضيق واتجهوا إلى الأدارسة الذين لعبوا دورًا كبيرًا في تطوير المدنية للأدارسة ببناء "عدوة الأندلسيين". فما

كان من الحكم إلا أن اتخذ من التدابير ما يلزم لحماية إمارته منهم، فحمى العدوة الأندلسية خشية أي هجوم من الأدارسة ومن وفد إليهم، وحافظ على المذهب السني بالبلاد، محاربًا للمذهب الشيعي. كما أقام علاقة صداقة مع شرلمان، ملك الفرنجة؛ لمساندة الإمارة عند أي هجوم من قبل الأدارسة، والتحالف مع الرستميين في تاهرت للهدف نفسه.

- ❖ اتخذ التحالف مع الرستميين طابعًا سياسيًا، واقتصاديًا، وعسكريًا. فقد كان هذا التحالف بمثابة شريان الحياة للإمارة الأموية التي كانت شبه محاصرة من الشمال (هجمات النصارى) والجنوب في المغربين الأدنى (الأغالبة) والأقصى (الأدارسة)، كما هدف الرستميون من ذلك _أيضًا_ حماية إمارتهم من شرقها وغربها من جيرانهم المحيطين بهم. وقد لعب الرستميون دورًا كبيرًا في حماية الأندلس من أعدائها بإرسال قوة عسكرية للأندلس؛ لدفع العدو الشمالي وصد الأغالبة عنهما. كما قلد الطرفين مناصب حساسة في إمارة كل منهما. عدا العلاقات التجارية بين البلدين التي لعب فيها الرستميون دور الوسيط التجاري لنقل البضائع الأندلسية للشرق والسودان، وتمويل الأندلس بما يحتاج من حاجات.
- ❖ عقدت الإمارة الأموية مع أغلب الإمارات التي قامت بالمغرب تحالفات ومعاهدات؛ لتحجيم توسع الأدارسة (العلويين) من الهيمنة على المغرب وتهديد الأندلس، فجاء التحالف مع بني ناكور شمالًا، وبرغواطة غربًا، وبني مدرار جنوبًا. تلك التحالفات التي أخذت طابعًا سياسيًا وتجاريًا في بعض الأحيان.
- ❖ أمام هذه التحالفات الأندلسية المغربية، لم يستطع الأغالبة القتال وإعادة وحدة المغرب والأندلس لدولة الخلافة العباسية، لذلك دعموا الثائر عمر بن حفصون الذي ثار على الأمويين في الأندلس. وكذلك دعموا الأدارسة للهدف نفسه، ومن ثم اتصل معه الفاطميون _الذين هدفوا إلى السيطرة على المغرب والأندلس؛ لإقامة خلافتهم الفاطمية الكبرى_ الذين دعموه

بالعتاد والسفن. إلا أن ثورته قد خمدت بفضل سياسة الناصر لدين الله، الذي وحد الصف الداخلي وقام بتطوير أسطوله العسكري، وحماية العدوة الأندلسية، وتقوية دفاعاتها، والسيطرة على العدوة المغربية.

- ❖ اشتد الصراع الأموي الفاطمي في عهد الخليفة الأموي الناصر لدين الله، متخذًا ذلك الصراع من الأساليب والوسائل السياسية والعسكرية الممكنة للسيطرة على المغرب من قبل الفريقين. فقد رمى الفاطميون ثقلهم السياسي والعسكري للتخلص من القبائل المغربية الموالية لبني أمية في الأندلس؛ ليسهل عليهم الانتقال وعبور الأندلس من خلال المجاز، وإقامة الخلافة الفاطمية في الغرب الإسلامي (المغرب والأندلس)، وكذلك اعتمدوا على نشر الفكر الشيعي في الأندلس لايجاد كتلة أو قاعدة من السكان، تنقل لهم المعلومات وتسهل عليهم العبور من خلال إيجاد قاعدة للفكر الشيعي في البلاد، كما عمدوا إلى معرفة مختلف أوضاع الأندلس من خلال التجسس.

- ❖ اتخذ الناصر لدين الله من الأعمال السياسية والعسكرية ما يكفي لصد هجوم الفاطميين الفكرية والعسكرية، وذلك بالمحافظة على المذهب السني في الدولة، والتجسس على الفاطميين، والسيطرة على الثغور المغربية وتحصينها، كما أسند عملية القتال إلى القبائل المغربية _بوصفهم الخط الدفاعي الأمامي للأندلس_ لدفع الخطر الفاطمي عن المغرب وفرفدهم بالأموال، والعتاد، والهدايا، وما يلزم للدفاع وتوثيق العلاقة.

- ❖ نهج الخليفة الحكم نهج أبيه الناصر لدين الله في الدفاع عن الأندلس من الخطر الفاطمي وذلك بدعمه القبائل المغربية وإغداقه عليهم الهدايا والأموال، وتحريك الأسطول الأندلسي في الدفاع عن الثغور المغربية، وإخماد كل ثورة من شأنها زعزعة أمن المغرب، وعمل على كسب مناوئيه في المغرب بالهدايا والمال، واستقبالهم في بلاده خير استقبال، كل ذلك لصد

الفاطميين عن المغرب، وجعله في مأمن منهم؛ لما يشكله من خط دفاعي على العدوة الأندلسية. فكان لذلك التقارب الجغرافي الأثر في رسم تلك العلاقات السياسية بين الجانبين واتخاذ التدابير العسكرية اللازمة لحماية المضيق.

- ❖ اهتم المنصور بن أبي عامر أثناء قيادته لبلاد الأندلس في عهد الخليفة الصغير، هشام المؤيد بترسيخ العلاقة وتوطيدها بينه وبين القبائل المغربية في المغرب، مصطنعًا منهم القوة الضاربة_جيش الحضرة_ لكل عدو يهدد أمن المغرب والعدوة الأندلسية كالصنهاجيين، فقد كان المنصور مسخرًا القوة الأندلسية في الدفاع عن الثغور الشمالية المهددة من قبل نصارى الشمال. كما حافظ على تلك العلاقة مع قبائل المغرب الموالية بالأندلس، بأن أغدق عليهم الأموال والهدايا، لا سيما بعد إخمادهم كل ثورة وكل انشقاق عن الطاعة لبني أمية، كما اتخذ من الجزيرة الخضراء قاعدة له لمراقبة العدوة المغربية عن كثب، وإطلاق الأسطول لحماية الثغور. وقد اتبع أبناء المنصور السياسة نفسها في المحافظة على المغرب، وكسب ولاء القبائل المغربية.

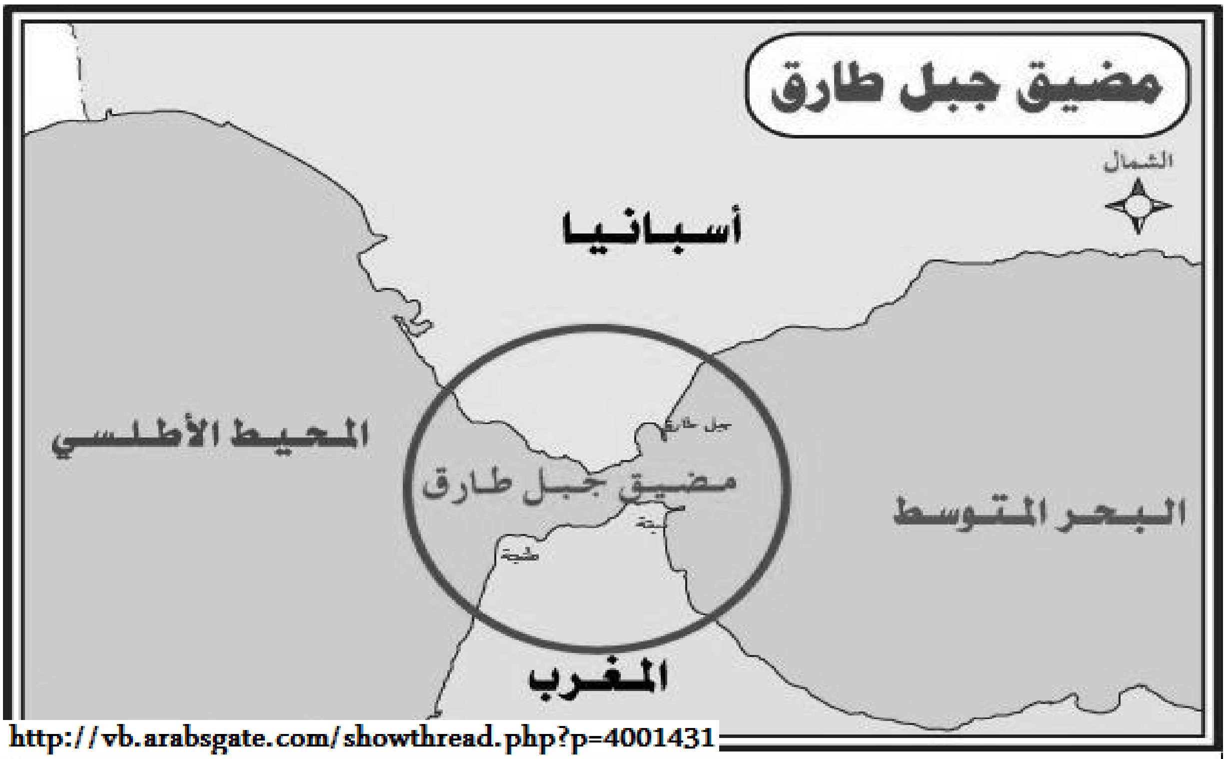
- ❖ اندثرت الخلافة الأموية في الأندلس على أثر الثورة البربرية التي نشبت في الأندلس، إذ أصبح البربر _دائمًا_ يمثلون الجماعات المهيئة للثورة، وظلوا يستغلون كل فرصة للانتفاض على العرب، وانتزاع السلطان منهم نتيجة سوء السياسة التي طبقت عليهم منذ الفتح الإسلامي الأموي لبلادهم، فنشبت الثورة الأهلية بقيادة محمد بن هشام "المهدي" ومن معه من سكان الأندلس من أهل قرطبة، وبين المغاربة _الذين اضطهدهم المهدي_ بقيادة سليمان بن الحكم "المستعين بالله"، فقد بدأ المهدي بحملة تطهير الأندلس من المغاربة، ودخلت البلاد في حالة من الفوضى والسفك، استعان فيها كل طرف بالعدو النصراني. وقد اتخذ المغاربة الجزيرة الخضراء قاعدة لهم في مقارعتهم للمهدي وأنصاره، وذلك لقربها من العدوة المغربية التي يمكن

اللجوء إليها بسهولة عند الفرار من جهة، ودعم المغاربة سكان العدوة المغربية إخوانهم في العدوة الأندلسية بالسلاح والجند والمؤن، ما ساعدهم على القضاء على المهدي وحزبه. وقد انتهت بسيطرة المستعين على قرطبة بعد أن قاتل المغاربة قتالًا مستميتًا عن وجودهم في الأندلس فهي البلاد التي فتحها آباؤهم بدمائهم وعرقهم. كما كانت لتلك الأحداث أثر كبير في هيمنة نصارى الشمال على الثغور الشمالية للبلاد بعد أن فتح البربر ثغرة أمنية كبيرة في تركهم لتلك المناطق، عابرين المضيق نحو بلادهم الأصلية في المغرب.

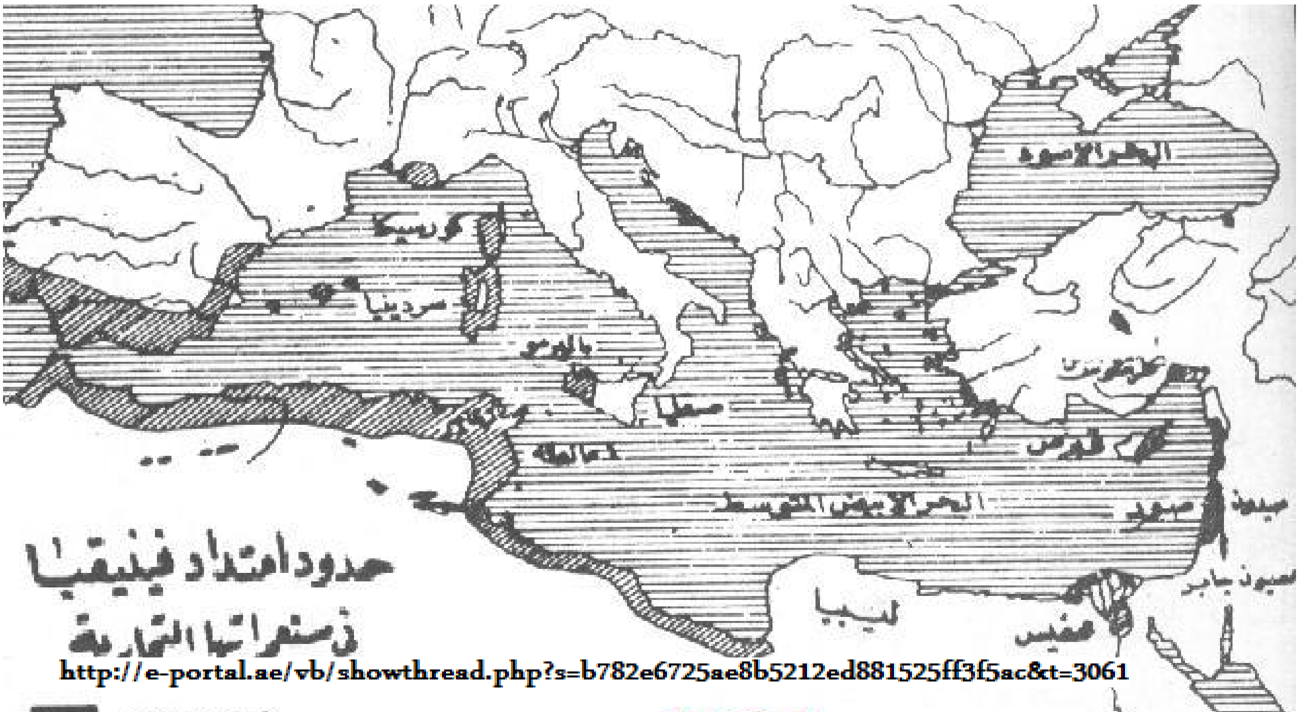
- كان سقوط حكم المستعين في قرطبة على يد آل حمود العلويين الذين كانوا حكامًا على سبتة والجزيرة الخضراء بأمر المستعين، فقد حشد هؤلاء من القوة المادية ما يعينهم على مرامهم فعبروا المضيق، متخذين الجزيرة الخضراء قاعدة لهم في محاربتهم للمستعين، وقد استطاعوا قتل المستعين والسيطرة على الأندلس، ثم أخذ الصراع بين آل حمود يدب بينهم للسيطرة على الحكم، فوقعت البلاد في حالة من الفوضى على استلام الحكم حتى سقطت الخلافة الأموية سنة 422هـ/1030م، ولم يكن المغرب بأفضل حال من حال الأندلس. وبدأت مرحلة تاريخية اتسمت بالتفرقة والضعف، سميت بعصر دول الطوائف في الأندلس.

الملاحق

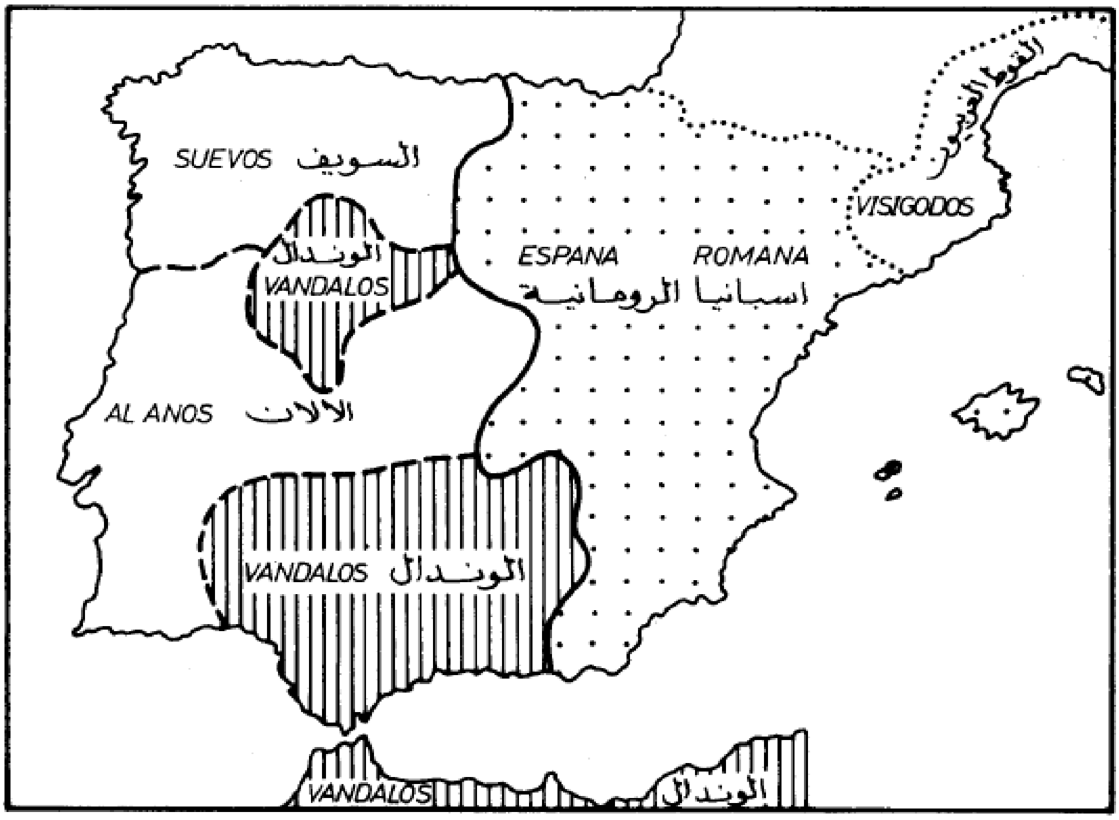
ملحق الخرائط / 1



الشكل ١



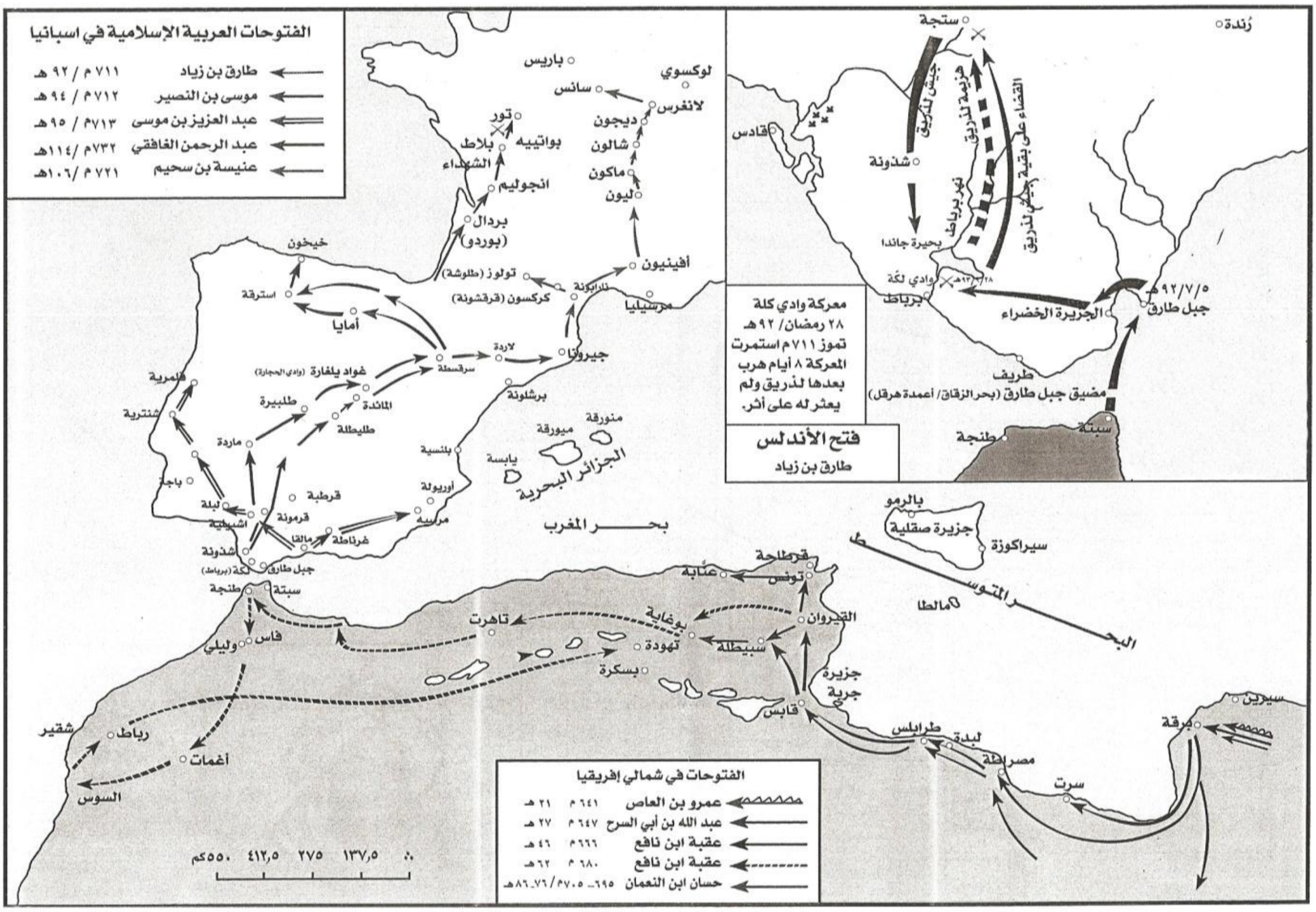
الشكل ٢



توزيع القبائل الجرمانية في شبه الجزيرة الايبيرية في بداية القرن الخامس الميلادي

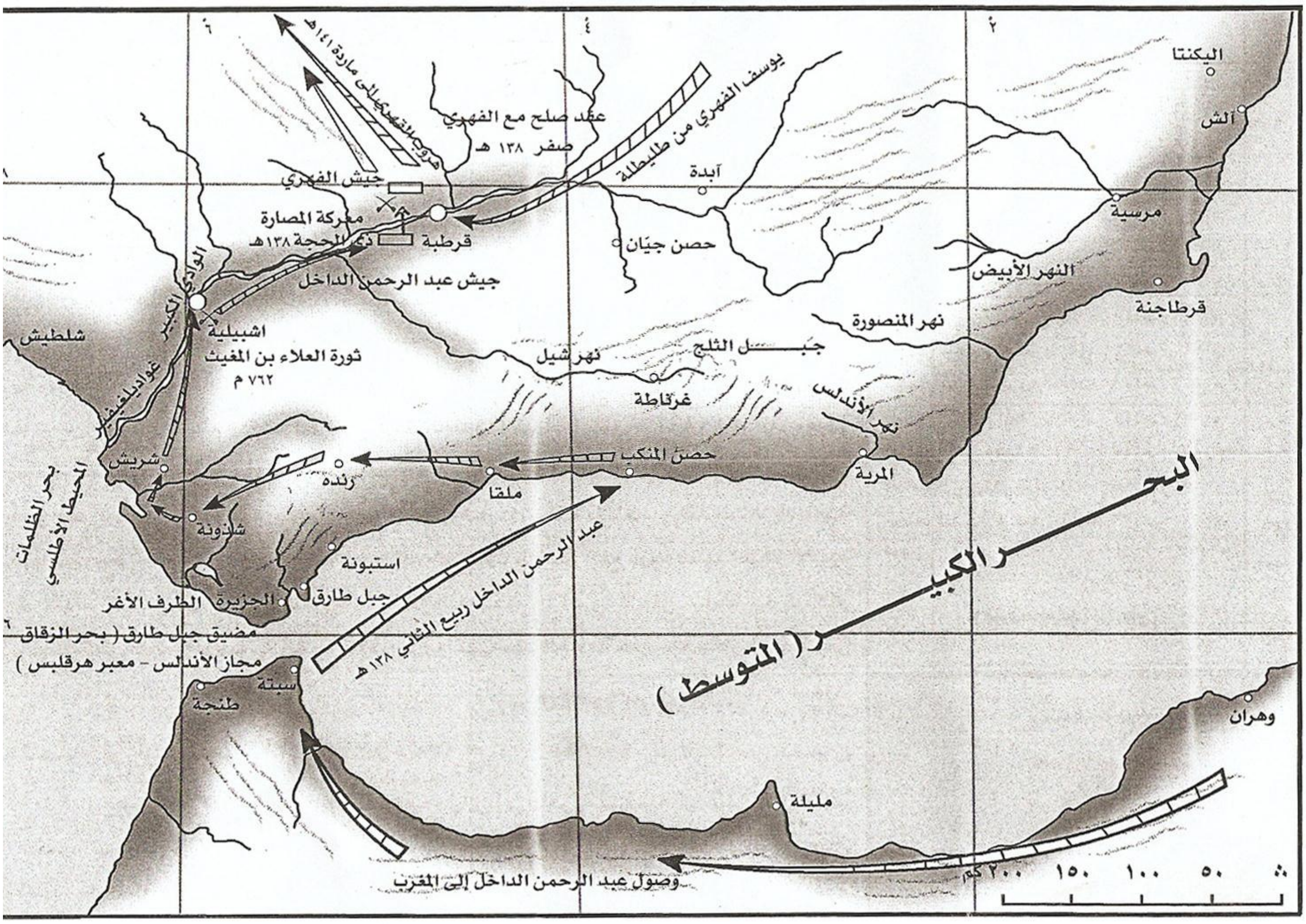
حتاملة، محمد، أيبريا قبل مجيء العرب المسلمين، ١٩٤

الشكل ٣



الشكل 4

الفتوحات في شمالي إفريقية والأندلس



الشكل 5

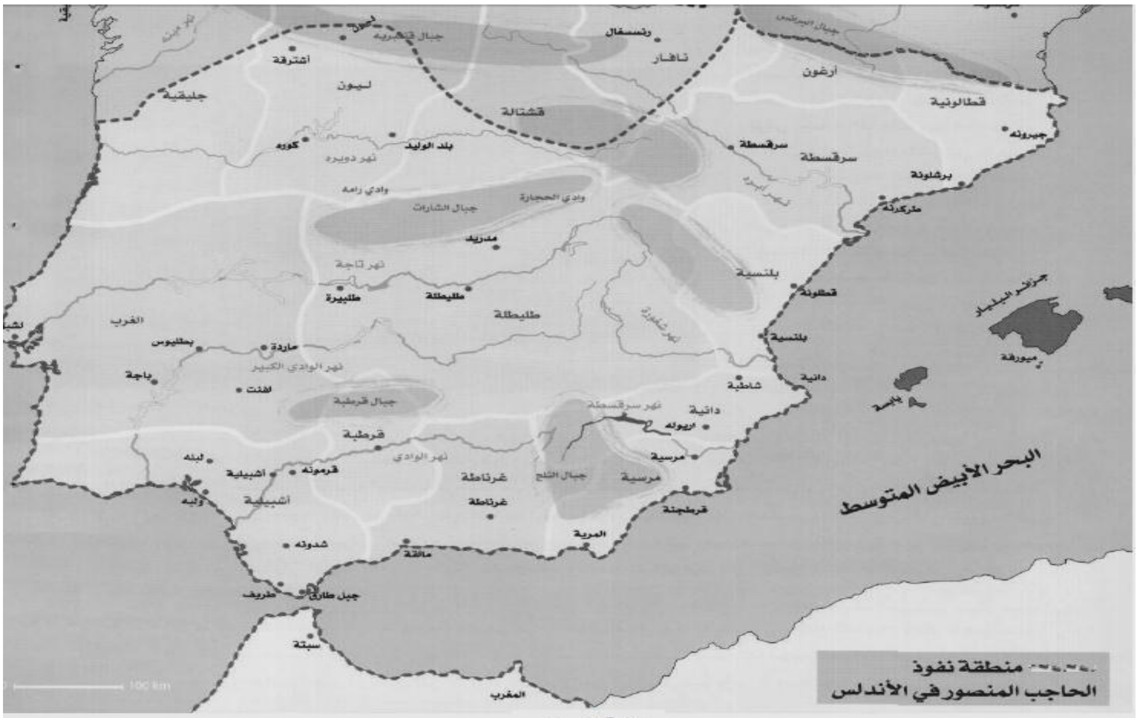
خط عبور عبد الرحمن الداخل للأندلس، وثورة العلاء الجذامي، وموقع معركة المصارة



الشكل ٦

http://www.hukam.net/essay/maps/idrissids2.png

الإمارات التي قامت في المغرب (الأقصى، والأوسط، والأدنى)



الشكل ٧

الأندلس التاريخ المصور، 150



الشكل ٨

الأطلس التاريخي، 85.

ملحق 2

نص الخطبة المنسوبة لطارق بن زياد

"أيها الناس، أين المفرُّ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته، وأقواته موفورة وأنتم لا وَزَر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم، ولم تنجزوا لكم أمرًا، ذهبت ريحكم، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت.

وإني لم أحذركم أمرًا عنه بنجوة، ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس أبدأ بنفسي، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلًا استمعتم بالأرفه الألذ طويلًا، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي، فما حظكم فيه بأوفى من حظي، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحِسان، من بنات اليونان، الرافلات في الدُّر والمرجان، والحُلَلِ المنسوجة بالعِقيان، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عُربَانًا، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارًا وأختانا، ثقةً منه بارتياحكم للطعان، واستماحكم بمجالدة الأبطال والفُرسان، ليكونوا حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة، وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم، والله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون لكم ذكرًا في الدارين، واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه، وإني عند مُلتقى الجمعين حاملٌ بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى، فاحملوا معي، فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره، ولم يعوزكم بطلٌ عاقل تسندون أموركم عليه، وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه، واحملوا بانفسكم عليه، واكتفوا الهمَّ من فتح هذه الجزيرة بقتله، فإنهم بعده يُخذّلون"[1].

---

[1] المقري، أحمد، ***نفح الطيب***، 232/1،231.

ملحق 3

نص الوثيقة الرسمية التي صدرت عند إعلان الناصر الخلافة الأموية في الأندلس

"بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فإنا أحق من استوفي حقه، وأجدر من استكمل حظه، ولبس من كرامة الله ما ألبسه، للذي فضلنا الله به، وأظهر أثرتنا فيه، ورفع سلطاننا إليه، ويسر على أيدينا إدراكه، وسهل بدولتنا مرامه، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا، وعلو أمرنا، وأعلن من رجاء العالمين بنا، وأعاد من انحرافهم إلينا، واستبشارهم بدولتنا. والحمد لله ولي النعمة والإنعام بما أنعم به، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه! وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين، وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك، إذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له، ودخيل فيه، ومتسم بما لا يستحقه. وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه، واسم ثابت أسقطناه. فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به، وأجر مخاطباتك لنا عليه، إن شاء الله. والله المستعان! وكتب يوم الخميس لليلتين خلتا من ذي الحجة سنة 316"[1].

---

[1] ابن عذاري، أحمد، ***البيان المغرب***، 198،199/2

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر العربية المخطوطة

- ابن حيان، حيان، (ت.469هـ/1076م).

قطعة من كتاب ***المقتبس من أنباء أهل الأندلس***، مصور ميكرو فيلم، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، تحت رقم 208.

2- المصادر العربية المطبوعة

- ابن الأبار، محمد، (ت.635هـ/1238م)

- ***التكملة لكتاب الصلة***، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، (د.ط)، بيروت، (د.ت)، (1_4).

- ***الحلة السيراء***، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1985، (1_2).

- ابن أبي دينار، محمد، (ت.1110هـ/1699م).

المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، (د.ط)، تونس، 1869.

- ابن الأثير، علي، (ت.630هـ/1232م).

- ***أسد الغابة في معرفة الصحابة***، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1996، (1_8).

- ***الكامل في التاريخ***، تحقيق عبد الله القاضي وآخرين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987، (1_11).

- ابن أبي الزرع، علي، (ت. 726هـ/1326م).

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق كارل بوحن نورنبرغ، طبعة فاس الحجرية، (د.ط)، المغرب، 1885.

- الإدريسي، محمد، (ت.558هـ/1162م)

- ***المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس***، مطبعة بريل، (د.ط)، ليدن، 1863.
- ***نزهة المشتاق في اختراق الآفاق***، مكتبة الثقافة التونسية، (د.ط)، تونس، 1994، (1_2).

- ابن أسعد، عبد الله، (ت.768/ 1366م)

مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997، (1_4).

- البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت.256هـ/869م).

التاريخ الكبير، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت، 1986، (1_12).

- ابن بسام، علي، (ت.542هـ/1146م).

الذخيرة في ذكر محاسن أهل الجزيرة، تحقيق مصطفى سالم البدري، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998، (1_4).

- البلاذري، أحمد، (ت. 279هـ/ 892م)

- ***أنساب الأشراف***، تحقيق سهيل زكار وآخرين، دار الفكر، ط1، لبنان، 1996، (1_13).
- ***فتوح البلدان***، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعاف، (د.ط)، بيروت، 1987.

- ابن بلكين، عبد الله، (ت. بعد 483هـ/1090م).

التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، حرره علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2006.

- البكري، عبد الله، (ت.487هـ/ 1049م)

المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).

- ابن تغري بردي، يوسف، (ت.874هـ/1469م).

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1992، (1_16).

- الجزنائي، علي، (ت.749هـ/ 1348م)

جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1991.

- ابن حزم، علي، (ت.456هـ/1063م).

جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط5، القاهرة، (د.ت).

- ***الحموي، ياقوت، (ت.626هـ/1229م)***

معجم البلدان، دار صادر، (د.ط)، بيروت، 1977، (1_5).

- ***الحميري، محمد، (ت.900هـ/ 1494م)***

روض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1985.

- ابن حوقل، محمد، (ت. 380هـ/ 990م)

صورة الأرض، دار صادر، ط2، بيروت، 1983.

- ابن حيان، حيان، (ت.469هـ/1076م).

المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، (د.م)، (د.ط)، القاهرة، 1994.

- الخطيب، لسان الدين محمد، (ت. 776هـ/ 1374م)

- ***الإحاطة في أخبار غرناطة***، شرحه وضبطه يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2002، (1_4).

- ***أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام،*** تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، (د.ط)، بيروت، 1956. والقسم الثالث منه تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، (د.ط)، الدار البيضاء، 1964.
- ***اللمحة البدرية في الدولة النصيرية،*** صححه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، (د.ط)، القاهرة، 1928.

- ابن خَلدون، عبد الرحمن، (ت. 808هـ/ 1406م)

- ***العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر***، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 2006، (1_8).
- ***المقدمة،*** دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 2006.

- ابن خلكان، أحمد، (ت.681هـ/1282م)

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، (د.ط)، بيروت، (د.ت)، (1_8).

- ابن خليل، أحمد شهاب الدين، (ت. 896هـ/1491م)

النجوم الزواهر في معرفة الأواخر، تحقيق مأمون الصاغرجي ومحمد أديب الجارود، مطبعة الضياع، (د.ط)، دمشق، (د.ت).

- الذهبي، محمد، (ت.748هـ/1347م)

- ***دول الإسلام،*** تحقيق حسن إسماعيل مروة، دار صادر، ط1، بيروت، 1997، (1_2).
- ***سير أعلام النبلاء،*** تحقيق حسين الأسد وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط11، بيروت، 1996، (1_25).

- الرشاطي، عبد الله، وآخرون، (ت.542هـ/1147م).

الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، (د.ط)، مدريد، 1990.

- السلاوي، أحمد، (ت.1315هـ/ 1879م)

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، (د.ط)، الدار البيضاء، 1997، (1_3).

- السيوطي، جلال الدين، (ت.911هـ/ 1505م)

تاريخ الخلفاء، دار الفجر للتراث، ط2، القاهرة، 2004.

- ابن سعيد، علي، (ت.685هـ/ 1286م)

المُغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، القاهرة، (د.ت)، (1_2).

- الصفدي، صلاح الدين خليل، (ت.764هـ/1263م)

الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2000، (1_29).

- الضبي، أحمد، (ت.559هـ/1163م)

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، ط1، 1997.

- ابن طباطبا، محمد، (ت.322هـ/934م)

الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

- الطبري، محمد، (ت.310هـ/923م)

تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، القاهرة، (د.ت)، (1_10).

- ابن عبد البر، يوسف بن محمد (463هـ/1070م)

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط1، بيروت، 1993.

- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن، (ت.257هـ/871م)

فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، (د.ط)، بيروت، 1964.

- ابن عذاري، أحمد، (ت.695هـ/1295م)

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط5، لبنان، 1998، (1_4).

- العذري، أحمد، (ت.310هـ/923م)

ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تحقيق عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، (د.ط) مدريد. (د.ت).

- عماد الدين، إدريس، (ت.894هـ/1488م)

تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تحقيق محمد العيلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1985.

- ابن العماد، عبد الحي، (ت.1089هـ/1678م)

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، دمشق، 1986، (1_10).

- ابن الفرضي، عبد الله، (403هـ/1013م).

تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية السويفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997.

- الفيروز آبادي، محمد، (817هـ/1415م).

المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ط6، بيروت، 1998.

- ابن القاضي، أحمد، (1025هـ/1616م).

جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، (د.ط)، الرباط، 1973، (1_2).

- ابن قتيبة، عبد الله، (ت.276هـ/889م)

الإمامة والسياسة، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، ط1، بيروت، 1990، (1_2).

- ابن القوطية، محمد، (ت.367هـ/977م)

تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأيباري، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، 1989.

- القيرواني، الرقيق، (ت.367هـ/977م)

تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، ط1، القاهرة، 1994.

- ابن كثير، إسماعيل، (ت.774هـ/1373م)

البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1، الأحساء، 1997، (1_20).

- ابن الكردبوس، عبد الملك، (ت. بعد575هـ/1179م)

تاريخ الأندلس، معهد الدراسات الإسلامية، (د.ط)، مدريد، المجلد 13، 1966.

- مؤلف مجهول،

أخبار مجموعة، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط2، لبنان، 1989.

- مؤلف مجهول،

الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، (د.ط)، بغداد، 1985.

- مؤلف مجهول،

ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لويس مولينا،(د.ط)، مدريد، 1983، (1_2).

- مؤلف مجهول،

مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، ط1، الرباط، 2005.

- المالكي، عبد الله، (484هـ/1091م).

رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1994، (1_2).

- المراكشي، عبد الواحد، (ت. بعد647هـ/1179م)

المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، (د.ط)، القاهرة، 1962.

- المسعودي، علي، (ت. بعد346هـ/957م)

مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر، (د.ط)، بيروت، 2005.

- المقدسي، محمد بن أحمد (390هـ/999م)

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط2، مدينة ليدن، 1906.

- المقري، أحمد، (ت. بعد1041هـ/1631م)

- ***أزهار الرياض في أخبار ابن عياض***، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة للنشر، (د.ط)، القاهرة، 1940، (1_5).
- ***نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب***، تحقيق مريم طويل ويوسف طويل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998، (1_11).

- المقريزي، أحمد، (ت. بعد845هـ/1441م)

– ***اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا***، تحقيق جمال الدين الشيال،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية_ وزارة الأوقاف، ط2، القاهرة، 1996، (1_3).

– ***الخطط***، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1998، (1_3).

- النباهي، علي، (ت. بعد792هـ/1390م)

تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط5، بيروت، 1985.

- النويري، أحمد، (ت. بعد733هـ/1333م)

نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق حسين نصار وعبد العزيز الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، القاهرة، 1983، (1_30).

- ابن هانىء، محمد، (ت.362هـ/973م)

ديوان ابن هانىء، تحقيق كرم البستاني، دار بيروت، (د.ط)، بيروت، 1980.

- ابن وردان، (مجهول الشخصية والوفاة).

تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1988.

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (282هـ/895م).

تاريخ اليعقوبي، دار صادر ، (د.ط)، بيروت، (د.ت)، (1_2).

3_ المراجع العربية والمعربة

- إبراهيم حسن، حسن، ***تاريخ الإسلام: السياسي والديني والثقافي والاجتماعي***، دار الجيل، ط11، بيروت، 1996، (1_4).

- أحمد، عزيز، ***تاريخ صقلية الإسلامية***، ترجمة أمين توفيق الطيبي، دار العربية للكتاب، (د.ط)، القاهرة، 1980.
- أرسلان، شكيب، ***الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية***، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997. (1_3).
- إسماعيل، محمود،

– ***الأدارسة 172هـ/375هـ***، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1991م.

– ***الأغالبة سياستهم الخارجية***، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط3، القاهرة، 2000.

– ***الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري***، دار الثقافة، ط2، دار البيضاء، 1985.

- أمين، أحمد، ***ضحى الإسلام***، مكتبة الإسرة، (د.ط)، القاهرة، 1997، (1_3).
- الباروني، سليمان، ***الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية***، مطبعة الأزهار البارونية، (د.ط)، ليبيا، (د.ت)، (1_2).
- بشير، عبد الرحمن، ***اليهود في المغرب العربي***، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 2001.
- بروفنسال، ليفي، ***الإسلام في المغرب والأندلس***، ترجمة عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة الشباب الجامعية، ط1، الإسكندرية، 2004.
- البستاني، بطرس، ***دائرة المعارف***، دار المعرفة، (د.ط)، بيروت، (د.ت)، (1_11).
- تسيركين، يولي، ***الحضارة الفينقية في إسبانية***، ترجمة يوسف أبو فاضل، المطبعة العربية، ط1، بيروت، 1988.

- الجارم بك، علي، ***قصة العرب في إسبانيا***، مطبعة المعارف، (د.ط)، مصر، (د.ت).
- جوليان، شارل، ***تاريخ إفريقية الشمالية***، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، (د.ط)، 1969.
- حتاملة، محمد،
  - ***أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين،*** (د.م)، ط1، الأردن، 1996.
  - ***موسوعة الديار الأندلسية،*** (د.م)، ط1، الأردن، 1999، (1_2).
- حتي، فيليب، ***تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين***، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، (د.ط)، بيروت، 1985، (1_2).
- الحجي، عبد الرحمن، ***التاريخ الأندلسي***، دار القلم، ط2، دمشق، 1981.
- الحريري، محمد، ***الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي***، دار القلم، ط2، الكويت، 1987.
- حلاق، حسان، ***العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى***، الدار الجامعية، ط1، بيروت، 1986.
- خطاب، محمود، ***قادة فتح المغرب العربي***، (د.م)، ط3، (د.م)، 1987.
- خنفر، خلقي، ***الدولة الأموية تاريخ وحضارة***، (د.م)، ط1، الخليل، 2001.
- دبوز، علي، ***تاريخ المغرب الكبير***، مؤسسة ناوالت، ط2، ، 2010، (1_2).
- الدراجي، بوزياني، ***القبائل الأمازيغية***، (د.م)، ط4، الرباط، 2010، (1_2).
- الدشراوي، فرحات، ***الخلافة الفاطمية بالمغرب***، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1994.
- دوزي، وينهرت، ***المسلمون في الأندلس***، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، 1963، (1_3).

- دويدار، حسين يوسف، ***المجتمع الأندلسي في العصر الأموي***، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، القاهرة، 1994.
- دياب، محمد، ***تاريخ العرب في إسبانيا***، مطبعة الجمالية، (د.ط)، مصر، 1913.
- ديورانت، ول، ***قصة الحضارة***، إعداد محمد عبد الرحيم، دار الفكر، ط1، بيروت، 1992، (1_42).
- الذنون، عبد الحكيم، ***آفاق غرناطة***، دار المعرفة، ط1، دمشق، 1988.
- رمضان، عبد المحسن طه، ***الحروب الصليبية في الأندلس***، مكتبة الإنجلو المصرية، (د.ط)، القاهرة، 2001.
- الزركلي، خير الدين، ***الأعلام***، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002، (1_8).
- أبو زهرة، محمد، ***تاريخ المذاهب الإسلامية***، دار الفكر العربي، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
- زيدان، جورجي، ***فتح الأندلس***، دار الهلال، (د.ط)، بيروت، 1984.
- سالم، عبد العزيز،
  - ***تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس***، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ط)، الإسكندرية، 2008.
  - ***تاريخ المغرب في العصر الإسلامي***، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ط)، الإسكندرية، (د.ت).
  - ***قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس***، دار النهضة، (د.ط)، بيروت، 1971، (1_2).
  - سالم، عبد العزيز وزميله، ***تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس***، دار النهضة، (د.ط)، 1969.
- سيسالم، عصام سالم، ***جزر الأندلس المنسية***، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1984.
- الشطشاط، حسين، ***نهاية الوجود العربي في الأندلس***، دار قباء، (د.ط)، القاهرة، 1981.

- الطالبي، محمد، ***الدولة الأغلبية***، ترجمة المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1985.
- طرخان، إبراهيم علي، ***دولة القوط الغربيين***، مكتبة النهضة المصرية، (د.ط)، مصر، 1958.
- طقوش، محمد سهيل، ***تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام***، دار النفائس، ط1، بيروت، 2001.
- طه، عبد الواحد ذنون، ***الفتح والاستقرار العربي الإسلامي***، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، 2004.
- عاشور، سعيد، ***تاريخ أوروبا في العصور الوسطى***، دار النهضة العربية، (د.ط)، بيروت، 1976.
- العبادي، أحمد،
  - ***دراسات في تاريخ المغرب والأندلس***، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ط)، الإسكندرية، (د.ت).
  - ***صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس***، منشاة المعارف، ط1، الإسكندرية، 2000.
  - ***في التاريخ العباسي والفاطمي***، دار النهضة العربية، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
  - ***في تاريخ المغرب والأندلس***، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ط)، الإسكندرية، (د.ت).
- عبد الحليم، رجب، ***دولة بني صالح في تامسنا بالمغرب الأقصى***، دار الثقافة، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
- عبد الوهاب، لطفي، ***معالم التاريخ الروماني***، (د.م)، (د.ط)، بيروت، 1966.
- علي، زاهد، ***تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانيء***، طبعة المعارف، (د.ط)، مصر، 1934.
- علي، سيد أمير، ***مختصر تاريخ العرب***، ترجمة عفيف البعلبكني، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1967.

- علي مكي، محمود، ***التشيع في الأندلس إلى نهاية ملوك الطوائف***، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، (د.ط)، مدريد، مج2، ع1_2، 1954.
- عنان، محمد عبد الله. ***دولة الإسلام في الأندلس***_العصر الأول (ق1)، والعصر الأول (ق2)، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1997.
- الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، ***موسوعة المغرب العربي***، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1994، (1_3).
- فيلالي، عبد العزيز، ***العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب***، الشركة الوطنية للنشر، (د.ط)، الجزائر، 1982.
- كولان، ج.س، **الأندلس**، ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1980.
- لويس، أرشيبالد، ***القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط***، ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، (د.ط)، القاهرة، 1960.
- لينبول، ستانلي، ***العرب في إسبانيا***، ترجمة علي الجازم بك، دار المعارف، ط9، مصر، 1960.
- مؤنس، حسين،
  - ***فتح العرب للمغرب***، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
  - ***فجر الأندلس***، دار المناهل، ط1، بيروت، 2002.
- مجموعة باحثين، ***دائرة المعارف الإسلامية***، ترجمة أساتذة من الجامعات العربية، مركز الشارقة للابداع الفكري، ط1، الشارقة، 1998، (1_32).
- مجموعة باحثين، ***موسوعة تاريخ الحضارات العام***، ترجمة فريد م. داغر وفؤاد ج. أبو ريحان، منشورات عويدات، ط4، بيروت، 1998، (1_7).

- محمد، عبد الله، ***الدولة الفاطمية***، دار الثقافة، (د.ط)، القاهرة، 1991.
- محمد، عمر، ***السياسة الفاطمية في جزيرة صقلية***، (دون أي بيانات عن البحث).
- محمود، منى، ***المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة***، دار الفكر العربي، (د.ط)، القاهرة، 1986.
- أبو مصطفى، كمال السيد، ***بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي***، مركز إسكندرية الكتاب، (د.ط)، الإسكندرية، 1997.
- نعنعي، عبد المجيد، ***تاريخ الدولة الأموية في الأندلس***، دار النهضة العربية، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- وات، مونتغمري، ***في تاريخ إسبانيا الإسلامية***، ترجمة محمد رضا المصري، ط2، شركة المطبوعات للنشر، بيروت، 1998.
- وجدي، محمد فريد، ***دائرة معارف القرن العشرين***، دار المعرفة، ط3، بيروت، 1971، (1_10).

4_ الدوريات

- بوباية، عبد القادر، ***علاقة الرستميين بالإمارة الأموية في الأندلس***، مجلة التراث العربي، ع99،100، سوريا، 2005.
- بوفلاقة، سعد، ***خطبة طارق بن زياد بين الشك واليقين***، مجلة الذخائر، ع15،16، لبنان، 2003.
- الراشد، عبد الجليل،

– ***دور البربر في سقوط الدولة الأموية في الأندلس***، مجلة المؤرخ العربي، ع3، العراق، 1977.

– ***المغرب في ظل الصراع الأموي الفاطمي***، مجلة آفاق عربية، ع3، العراق، 1978.

- شلبي، عمر، ***أساطير الفتح الإسلامي في الأندلس***، مجلة جامعة الخليل للبحوث، مج 3، ع1، الخليل، 2007.
- طه، عبد الواحد ذنون، ***تاريخ المغرب والأندلس: مدخل لدراسة نقدية جديدة***، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج48، ج1، العراق، 2001.
- عثمان، محمد عبد العزيز، ***ثورة الربض ثورة شعبية عن تاريخ الأندلس***، مجلة آفاق عربية، ع3، العراق، 1978.
- مؤنس، حسين، ***ثورات البربر في إفريقية والأندلس بين سنتي 102هـ_136هـ***، مجلة جامعة القاهرة، مج 1، ع10، القاهرة، 1948.
- محمد، سوادي، ***الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن السابع الهجري***، مجلة آداب المستنصرية، ع13، بغداد، 1986.

5_ رسائل جامعية

- الدليمي، انتصار، ***التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (300_366هـ/ 912_976م)***، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، الموصل، 2005.
- شلبي، عمر، ***عبد الرحمن الأوسط سياسته الداخلية والخارجية في الأندلس (226_238هـ)***، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، 1991م.
- العصيمي، إيمان، ***العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس من بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة***، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2009.
- نجار، ليلى، ***العلاقات بين المغرب والأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر***، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة. 1983.

6_ مؤتمرات:

- **بحوث ندوة: "الأندلس الدرس والتاريخ"، القاهرة، 1994.**

- الشعراوي، أحمد إبراهيم، ***هياج الربض ثورة شعبية على الحكم الأموي الأندلسي***، (37_60).
- العبادي، أحمد مختار، ***الزراعة في الأندلس وتراثها العلمي***، (107_129).
- العجلان، عبد الرحمن، ***التضامن الإسلامي في الأندلس وأثره في تحقيق قوة المسلمين***،(347_361).
- عويس، عبد الحليم، ***العصبية القومية وأثرها في سقوط الأندلس***، (307_344).

7_ المراجع الأجنبية:

- Bleye، Pedro Aguado، ***Manual de Historia de España***، Tomo I، Madrid، 1967.
- Comas (Maria)، ***Historia de España***، 2a edicion، Barcelona، MCMXLIV.
- Henri Terrasse، ***Histoire du Maroc***، 2tomes، Casablanca، 1948.
- Live Provencal، ***Histoier de Espagne***، Paris، 1950. (1_3)
- Martorell، Federico، ***Historia de España***، Barcelona، 1962
- Peman، Jose Maria، ***La Historia de España***، Madrid، MCML.
- Vivo، Jose Zahonero، ***Historia de España***، Valencia، 1949.

8_ المواقع الإلكترونية:

- البوابة التعليمية – قسم الخرائط

http://e_portal.ae/vb/showthread.php?s=b782e6725ae8b5212ed881525ff3f5ac&t=3061

- منتديات بوابة العرب – قسم العلوم السياسية

http://vb.arabsgate.com/showthread.php?p=4001431

- تاريخ الحكام والسلالات الحاكمة

http://www.hukam.net

the Fatimids supported some Moroccan tribes such as: Snhadjiyan، and moved their army towards Morocco in order to overthrow the supporters of the Ummayds and to take control over the stomata of Morocco as a preface to take control over Andalusia. They continued their procedures to prevent the Umayyds from destroying their state until the end of their state in Morocco and moving it to Egypt. In addition، the Amriyon strengthened their alliance with the Moroccan tribes by forming a military force of the Berbers of Morocco to defend the country from the north and in Morocco from the south.

The geographic proximity played its role in the entering and in the immigration of the Berbers to Andalusia since the Islamic conquest to Andalusia. Therefore، the leaders of Al-Andalusia count on the Barbarian to protect them from attack from the Moroccan side. This convergence، this policy and this dependency on the Berbers made the Berber people realize that they deserve to govern this country (Andalusia). As a result، the Berber revolt started in Andalusia and lead the country into a civil war which resulted in a political disintegration and formed what was called (age of Sects).

Andalusia which threatened the Umayyad rulers on both sides during the era of Governors. The transmission of the Berber revolt was due the presence of Moroccan Berbers who settled in Andalusia at the beginning and after the Islamic conquest as immigrants and who tried to improve their living conditions. Unless the Sham soldiers under the leadership of Balj Bin Bisher intervened to end the Berber revolution، it could result in the greatest threat to the rule of the Arab Muslims in Andalusia.

The easiness of deployment between the two sides has also played an important role in drawing the attention of Abdul Rahman Bin Mu'awiyah (Aldakhel)، who settled in the Moroccan side، to look to Andalusia after failing in establishing a client state in Morocco. His presence in Morocco has helped him in founding out the first nucleus of his army for taking control over Andalusia. The Umayyad rulers consolidated their relations with the anti-Abbasid states that have arisen in Morocco. Those alliances were of political and of defendant nature; they formed a protective shield of the Andalusian state on the Moroccan side. They also formed the lifeline of the state through the construction of economic relations between them.

The clarity of this convergence is clearly reflected the Andalusian Moroccan relationships during the existence of two states: the Fatimid in near Morocco and the Umayyad in Andalusia; the Umayyads used all their political and military power to control far Morocco in order to hinder the Fatimids from crossing to Andalusia and from controlling over it. In order to avoid the Fatimids' control over Andalusia، the Umayyads controlled over the stomata of Morocco، strengthened the stomata، developed the Umayyds' navy and supported the Moroccan tribes (such as:Zinata) with money and gifts so as to keep closer to them. On the other hand، the Fatimids did some political and military acts to prevent the Ummayds from destroying their state. To do so،

Abstract:

This study aims to find the easiness of deployment between the two parties; Morocco and Andalusia، and its effects politically and militarily. The geographical proximity between them (they are just separated with the Strait of Gibraltar) has played an important role in determining the nature of the political، the military، the economical and the social relationships amongst them through their long history.
Thus، their history has become common through the old ages till now.

This effect has been manifested in the past out of the groups' transmission between North Africa and Spain. The nations that took over of North Africa or Spain have to hold a complete control over the Strait of Gibraltar for its strategic importance to preserve their security and stability. In addition، The ease of movement between Morocco and Spain caused prosperity in trade in both sides. This prosperity was represented by the establishment of commercial centers and by the transfer of diverse culture and science of Spain by the Phoenicians who expanded their trade to Spain after settling on the shores of Morocco. The Goths made sure to take control of the two Moroccan cities: Ceuta and Tangier to protect southern Spain from any attack coming from that region.

The importance of convergence between North Africa and Spain appeared with the beginning of the Islamic conquest when Uqba Ben Nafi' lead a campaign in entire North Africa but he failed in his campaign because of the lack of a marine fleet.
Musa Bin Nusair، however، could conquer North Africa after completely opening it، and could own a fleet which he used to pass the Strait.

This study also aims to show the effect of geographical proximity between Morocco and Andalusia and its role in the transmission of the Berber revolt to

Hebron University
Deanship of Graduate Studies

The Ease of Deployment between Morocco and Andalusia, and its Effect on Political and Military Life from the conquest to the fall of the Umayyad Caliphate (92 -422 e / 710 -1030 AD)

By:
Hamed, "Mohammed Adnan" Ismail Shaheen

Supervised by:
Dr. Omar Rajeh Shalaby

This study is provided as a complement to the master degree program in Islamic History, Faculty of Graduate Studies and Research at Hebron University.

2012